

# الصراط المستقيم في القرآن الكريم

- تفسير موضوعي -

إعداد

حسين عبد الجليل عبد الرحيم علي

المشرف

جميع الحقوق محفوظة  
أحمد إسماعيل نوفل  
مكتبة الجامعة الأردنية  
مركز أيداع الرسائل الجامعية

الدكتور

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

أصول الدين / التفسير

تعتمد كلية الدراسات العليا  
هذه النسخة من الرسالة  
التاريخ: ١١/١٠/٢٠٠٥

كلية الدراسات العليا  
الجامعة الأردنية

كانون الثاني 2005م

## قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة ( الصراط المستقيم في القرآن الكريم ) و أجازت بتاريخ :

2005/ 1/4

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

الدكتور أحمد إسماعيل نوفل ( مشرفا )

أستاذ مشارك - تفسير

مكتبة الجامعة الاردنية

الدكتور مصطفى المشني (عضوا)

أستاذ مشارك - تفسير

الدكتور أمين المناسبة (عضوا)

أستاذ مشارك - تفسير

الدكتور سامي عطا حسن (عضوا)

أستاذ مساعد - تفسير ( جامعة آل لبيت )

تعتمد كلية الدراسات العليا  
هذه النسخة من الرسالة  
التوقيع: ..... التاريخ: .....

# الصراط المستقيم في القرآن الكريم

- تفسير موضوعي -

إعداد

حسين عبد الجليل عبد الرحيم علي

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة المشرف الأردنية  
مركز أبحاث الرسائل الجامعية  
الدكتور أحمد إسماعيل نوفل

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

أصول الدين / التفسير

تعتمد كلية الدراسات العليا  
هذه النسخة من الرسالة  
التوثيق التاريخي...  
كلية الدراسات العليا  
الجامعة الأردنية

كانون الثاني 2005م



## قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة ( الصراط المستقيم في القرآن الكريم ) و أجازت بتاريخ :

2005/ 1/4

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة



الدكتور أحمد إسماعيل نوفل ( مشرفاً )  
جميع الحقوق محفوظة  
أستاذ مشارك - تفسير  
مكتبة الجامعة الأردنية



الدكتور مصطفى المشني ( عضواً )  
مركز البحوث الجامعية

أستاذ مشارك - تفسير



الدكتور أمين المناسبة ( عضواً )

أستاذ مشارك - تفسير



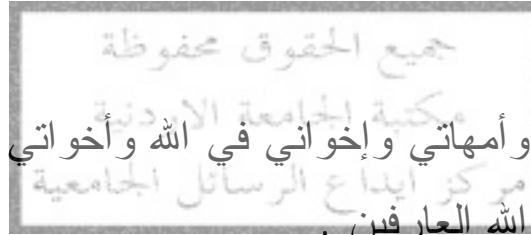
الدكتور سامي عطا حسن ( عضواً )

أستاذ مساعد - تفسير ( جامعة آل البيت )

تعتمد كلية الدراسات العليا  
هذه النسخة من الرسالة  
التوقيع... التاريخ... 2005/1/4

## الإهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى كل الباحثين عن الحق ، الراغبين في الوصول إلى الحقيقة وإلى كل الدعاة إلى الله على بصيرة الذين هدوا إلى الطيب من القول ، وهدوا إلى صراط مستقيم إلى كل العلماء العاملين وطلبة العلم الغيارى على هذا الدين .



إلى آبائي وأمهاتي وإخواني في الله وأخواتي ، وإلى جميع عباد الله الصالحين وأولياء الله العارفين .

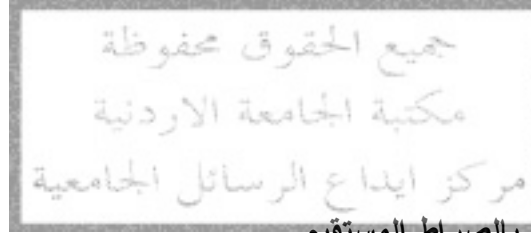
## شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساهم في إبراز هذا البحث إلى حيز الظهور ، سواء أكان بلفت النظر إليه ، أو بالمساهمة في خطة البحث وإقرارها أو الإشراف عليها ، وأخص بالذكر والدي الذي لم يأل جهداً في دعمي وتوفير كل ما يلزم لمتابعة سيرتي في هذا الموضوع ، ومن ثم أستاذي المشرف فضيلة الدكتور أحمد نوفل الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ، وكذلك كل أساتذتي الذين درّسوني وفتحوا أمامي آفاق العلم ، وكانوا يحرصون كل الحرص على تسديدي وتقويتي ، جزاهم الله عني كل خير .

والشكر كله أولاً و آخرأ لله رب العالمين صاحب المنة والفضل والهادي إلى سواء السبيل ، وإلى رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه الذي به أتم الله النعمة على عباده المؤمنين .

## فهرس المحتويات

رقم الصحيفة	الموضوع
ب	قرار لجنة المناقشة
ج	الإهداء
	الشكر والتقدير
٥	قائمة المحتويات
ي	الملخص باللغة العربية
١	المقدمة
٧	التمهيد
١٧	الفصل الأول : التعريف بالصراط المستقيم
١٧	المبحث الأول: معنى الصراط المستقيم والاستقامة في اللغة
٢٣	المبحث الثاني : الصراط المستقيم في عبارات المفسرين
٢٤	§ الإسلام
٢٥	§ القرآن
٢٦	§ العبادة
٢٧	§ طريق الهداية
٢٨	§ الطريق الموصلة إلى الله عز وجل
٢٩	§ العلم بالله عز وجل والفهم عنه
٣١	§ طريق الجنة
٣٣	§ أعيان من هداهم الله
٣٤	§ قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا
٣٤	§ صراط الأولين في تحمل المشاق العظيمة



§ النبي وصاحبه أبي بكر وعمر .. وأخير أهل البيت ٣٥

المبحث الثالث : مناقشة أقوال المفسرين وتوجيهها . ٣٧

المبحث الرابع : نماذج من الآيات ذات العلاقة بالصراف ودلالاتها . ٤٢

§ الآيات التي تقرر أن الهداية إلى الصراف المستقيم

خاصة بالله سبحانه ٤٢

§ آيات تولت الكشف عن حقيقة الصراف المستقيم ٤٧

§ آيات كشفت عن أهل الاستحقاق لهذه الهداية ٥٣

§ آيات تحدثت عن أسباب الحرمان من هذه الهداية ٥٧

المبحث الخامس : حقيقة الصراف المستقيم في ضوء الآيات القرآنية ٦٠

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الجامعة الأردنية

مركز أيداع الرسائل الجامعية

الفصل الثاني : مرتكزات الصراف المستقيم ٧٠

المبحث الأول : الإسلام ٧٠

§ الإسلام في اللغة ٧١

§ الإسلام في الاصطلاح ٧٣

§ متطلبات إسلام الوجه لله ٨١

المبحث الثاني : الإيمان الحق بالله ولوازمه ٨٦

§ الإيمان في اللغة ٨٦

§ الإيمان في الإصطلاح ٨٨

§ حقيقة الإيمان ٨٩

§ لوازم الإيمان الحق ٩٧

المبحث الثالث : التقوى مراتبها والثمار المترتبة عليها ١٠٢

§ التقوى في اللغة ١٠٢

§ التقوى في الإصطلاح ١٠٣



- ١٠٦ § حقيقة التقوى
- ١١٠ المبحث الرابع : الإحسان وأثاره
- ١١٠ § الإحسان في اللغة
- ١١٤ § حقيقة الإحسان
- ١١٧ § آثار الإحسان
- ١١٩ الفصل الثالث : الثمار المترتبة على الالتزام بالصرط المستقيم
- ١١٩ المبحث الأول: الثمار الدينية
- ١١٩ § الهداية الربانية إلى كل خير في الدنيا والآخر
- ١٢٠ § زيادة الإيمان الموصل إلى مرتبة اليقين
- ١٢٢ § تنوير القلب وجلاء البصيرة
- ١٢٥ § الدخول في معية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
- ١٢٨ § محبة الله ورضوانه
- ١٣٠ § الدخول في معية الله
- ١٣٢ § الحكمة والعلم
- ١٣٥ § استحقاقهم البشارة من الله والكرامة
- ١٣٨ المبحث الثاني: الثمار الدنيوية التي وعد الله أهل الاستقامة بها
- ١٣٨ § تكفير السيئات وغفران الذنوب
- ١٤٠ § السعة مع الهناءة في العيش
- ١٤١ § عناية الله ورعايته وولايته
- ١٤٣ § تركية النفس وتطهير القلب
- ١٤٥ § إخراج العبد من كل ضيق ألم به وتقريج كل كرب عنه
- ١٤٧ § التمكين في الأرض ونصرتهم على الأعداء
- ١٤٩ § الثبات في الشدائد

١٥١ § الأمن والطمأنينة

١٥٥ المبحث الثالث : الثمار الأخروية التي بشر الله المؤمنين بها

١٥٦ § أمنهم من الخوف والحزن وتلقى الملائكة لهم بالبشرى

١٥٧ § والتكريم لأنهم وفد الرحمن الرحيم

١٥٨ § خصوصيتهم بظل العرش

١٥٩ § الجزاء بأحسن الأعمال

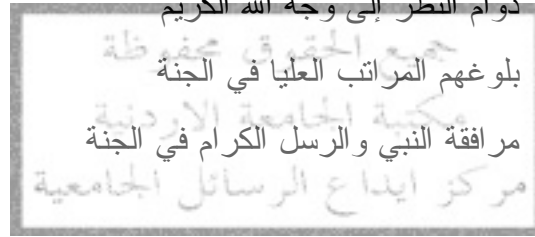
١٦٠ § دخول الجنة بغير حساب

١٦١ § إسباغ نعمة الرضوان عليهم

١٦٢ § دوام النظر إلى وجه الله الكريم

١٦٣ § بلوغهم المراتب العليا في الجنة

١٦٤ § مرافقة النبي والرسول الكرام في الجنة



١٦٥ الفصل الرابع: مخالفة الصراط المستقيم و العواقب المترتبة عليها

١٦٥ المبحث الأول : العواقب الدنيوية المترتبة على مخالفة الصراط المستقيم

١٦٦ § دحض حججهم وكشف باطلهم

١٧٠ § ولاية الطاغوت لهم

١٧٢ § تسليط الشياطين عليهم

١٧٤ § سلب النعمة ورفع الأمن عنهم

١٧٦ § ضنك العيش وعدم الهناء فيه

١٧٧ § توالي المصائب عليهم والانتقام منهم

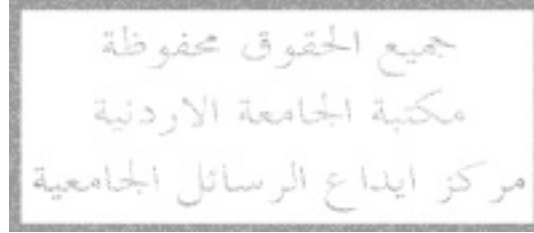
§ الغلبة عليهم وتمكين المؤمنين من

١٧٨ بسط نفوذهم والسيطرة عليهم

١٧٩ § التدمير والهلاك والاستئصال

- المبحث الثاني : العواقب الأخروية المترتبة على مخالفة الصراط المستقيم ١٨٢
- § الفزع والخوف ١٨٢
- § الذل الهوان ١٨٤
- § طمس الوجوه واسودادها ١٨٦
- § الخسران في الدنيا والآخرة ١٩٠
- § الجزاء بأسوء الأعمال ١٩٤
- § مضاعفة العذاب يوم القيامة ١٩٦
- § النسيان والإهمال ١٩٨

٢٠١



الخاتمة

# الصراط المستقيم في القرآن الكريم

- تفسير موضوعي -

إعداد

حسين عبد الجليل عبد الرحيم علي

المشرف

الدكتور أحمد إسماعيل نوفل

مكتبة الجامعة الاردنية

مركز ايداع الرسائل الجامعية

ملخص

تضمنت هذه الرسالة الكشف عن أهم وأخطر قضية شغلت الفكر البشري ولا زالت . هي قضية الهداية إلى الصراط المستقيم ، التي هي الغاية من كل الرسائل السماوية ، ومحور الاختلاف بين كل أصحاب الديانات و الجماعات الإنسانية . وقد سعت هذه الرسالة إلى تجلية هذه القضية - في حدود الممكن - بالنظرة الشمولية المحيطة بكل جوانبها ، الموضحة لحقيقتها وكل مقوماتها ، الكاشفة عن جوهر الهداية و ثمارها الدنيوية و الأخروية ، كل ذلك من خلال آيات الكتاب الكريم والذكر الحكيم ، المشرقة على الدوام بأنوار الهداية للتي هي أقوم ، في صدور ورتتها العظماء وحملتها الأمناء ، الداعين بها إلى الله على بصيرة ، والقائمين عليها بأحسن سيرة .

## المقدمة :

الحمد لله حق الحمد الذي يليق بجلاله وكماله ، - والصلاة والسلام على سيدنا محمد - الهادي بإذن ربه إلى الصراط المستقيم .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾<sup>(١)</sup> ، فلم يدع مجالاً لأحد من أعدائه أن يصل إلى ما يريد من النيل من قدسيته ، وصدقته ، رغم الجهود المتضافرة للنشكيز فيه ، وفي قدرته على أن يظل قبس النور ومشعل الهداية ، الذي يبدد عن الأمة حيرتها ، ويكشف عنها كربتها ، ويرفعها من كبوتها ، ويوقظها من سباتها ، ويبصرها بأعدائها، ويهديها سواء السبيل للتحرر من قبضة المتآمرين عليها وعلى مقدراتها .

وهو مع ذلك لم يترك مجالاً لفتنة ، ولا دسياسة ، من الشيطان وأوليائه ، إلا نبه المسلمين عليها ، وأشهدهم سبل الخلاص منها والتغلب عليها .

ولم يترك باباً لأهل الزيغ والهوى يلجؤون منه لزرع بذور الشقاق وتفريق الصف إلا جعل دونه سداً منيعاً ، وحجاباً لا يمكن لصاحب عقل سوي أن يتجاوزه إن كان ممن يحترم عقله أو يقيم وزناً للعقلاء غيره .

ولما كان القرآن الكريم كتاب الهداية المطلق ، كما وصفه رب العزة والجلال في قوله ﴿ الْم ﴾ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴿<sup>(٢)</sup> كان لا بد من أن يتنبه المؤمنون إلى جلال شأنه، وعظيم قدره ، وبالغ أهميته في الاهتداء به إلى حل كل ما يشكل عليهم أمره من شؤون الدنيا والآخرة ، وما يعترض الفرد

<sup>١</sup> - سورة الكهف آية ١ .  
<sup>٢</sup> - سورة البقرة آية ١-٢ .



والجماعة من مشكلات في حياتهم التي يعيشون ، نفسية كانت أو اجتماعية ، ضعفاً أو فقراً ، جهلاً أو عجزاً .

هذا بالإضافة إلى كل أنواع التحديات التي تهدد وجودهم كأمة ، أو حضارتهم وكل ما لديهم من القيم والحرمان .

فحيث الهداية قد أطلقت ولم تقيد بجهة من الجهات دل هذا الإطلاق على شمولها لهذا وغيره من سائر أنواع الهدايات ، التي توصل العباد إليها بأقصر السبل وأقل التكاليف ، لتحقيق الأمن والطمأنينة وتوفير السلامة من كل الشرور والآفات في الدنيا والآخرة .

ولما كان القرآن الكريم بهذه الصفة ، وعلى هذه الدرجة من الأهمية ، كان لا بد من الإقبال عليه ، وتدبر آياته ، لاستخراج ما يحويه من كنوز المعارف والهدايات ، التي تجعل القائمين عليها المتبعين لإرشاداتها في مقام الريادة والسبق ، في كل المجالات ، وأهلاً للسيادة والخلافة في الأرض ، التي بها يتحقق الخير للإنسانية جمعاء .

وإذا تخلت أمة الإسلام عن رسالة ربها فقد ظلمت نفسها ، وأفسحت المجال لأعدائها أن يتحكموا في مصير البشرية ومصيرها ، ويعيثوا في الأرض الفساد ، حيث تتحكم الأهواء وتغلب المصالح والأطماع على القيم والمبادئ .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الهداية العامة قد خص الله بها المتقين من عباده ، وفي هذا لفت للأذهان إلى أمر هام جداً في تقرير مصير الأمة ، فحيث يكون هؤلاء هم ولاة الأمر فيها فإنهم يأخذون بيدها إلى كل ما تصبو إليه من عزة وسيادة وتمكين في الأرض ، ورفاه في العيش وأمن وطمأنينة .

وغير المتقين لا ينبغي أن يسند إليهم أمر من الأمور العامة ، لأنهم في معزل عن هذه الهداية وبالتالي فهم غير أمناء ، ولا أكفاء بكل ما يسند إليهم ويؤمنون عليه من المال والعباد .

والناظر في تاريخ هذه الأمة يشهد بوضوح مصداقية هذه الحقيقة القرآنية ،  
انظر إلى ولادة هذه الأمة الإسلامية ، وسر نشأتها ، وما وصلت إليه من مجد  
وعزة ، وما حققته من خير ورحمة للإنسانية ، وما قدمته حضارتها من هداية  
للبشرية في كافة مجالات العلم والمعرفة . تجد أنه كلما ولي أمرها المتقون لله حقا  
صلح شأنها ، وتوحدت كلمتها ، وعز سلطانها ، وأمن الناس في ظلها ، وكانت  
الرائدة في كل تقدم يحقق الخير والرحمة للناس جميعاً .

أما إذا كانت ولاية الأمر فيها لغير الأتقياء ، الذين ابتعدوا عن جادة  
الصراط المستقيم واتبعوا أهواءهم وغلبوا مطامعهم ومصالحهم الشخصية ، فإنك  
ترى الفساد يستشري والظلم ينتشر ، والفوضى تعم ، والفرقة تسود ، والمسارة  
إلى موالاة الأعداء .

من هنا نلمس مدى أهمية هذا الموضوع ، ووجه الحاجة الماسة إليه في هذا  
العصر ؛ عصر الغربة عن الإسلام وتعاليم القرآن ، والتردي في ظلمات الجاهلية  
الأولى ، حيث التحل من القيم والأخلاق ، وموالاة الأعداء مع الضعف والفرقة  
والانقسام وعدم المبالاة بكل ما يرتكبون من الجرائم ، والفواحش ، وتدنيس  
المقدسات ، وانتهاك لكل الحرمات ، ونهب وسلب وإفساد في الأرض .

لذا كان من الضرورة بمكان أن تتضافر جهود الباحثين وتتوجه همهم  
للنظر في سبل خلاص أمة القرآن مما هي فيه من سبات وغفلة ، والكشف عن أقوم  
السبل في عودتها إلى سالف عهدها عزيزة ، كريمة قد تحررت من سيطرة الأعداء  
، بعد أن تجمع كلمتها ، وتوحد صفها ، وتكون لها الإرادة المستقلة عن غيرها ،  
الإرادة المنبثقة عن إرادة الله في كل ما أرشدها إليه وحذرنا منه .

ولما كان الصراط المستقيم كما يوضحه القرآن الكريم والسنة المشرفة هو  
أقصر السبل وأسهلها في تحقيق المراد وأجمعها للكلمة وأوجبها في الالتزام ، حيث  
لا يستطيع مسلم مؤمن بالله أن يجاهر بالاستغناء عنه ، أو أن يتخذ بديلا له بعد أن

ضلت بهم كل السبل ، وتقطعت كل الحبال التي تمسكوا بها ، وباءت بالفشل كل الدعوات لإقامة وحدة عربية أو إسلامية ، ولم تحقق الحد الأدنى لآمال الشعوب العربية والإسلامية .

لأجل ذلك توجهت نحو هذا الموضوع ، راجيا من الله العلي القدير أن يوفقني ، ويعينني على أن أضع اللبنة الأولى في مضمار هذا الميدان ، عسى أن يجعل الله أفئدة من العلماء تهوى إليه ، ويحقق الله هذا الخير العميم والفضل الكبير لهذه الأمة على أيديهم .

و اعتمدت في بحثي هذا على منهج التفسير الموضوعي ، من بين مناهج التفسير المختلفة . هذا المنهج الذي يقوم على البحث والاستقراء لمسائل الموضوع ، الذي يراد بحثه ، من خلال جمع الآيات القرآنية ذات العلاقة ، وما تناولته كتب التفسير المختلفة من آراء فيها وأقوال ماثورة ، ثم التحليل و المناقشة للوصول إلى الصواب الذي ينسجم مع وحدة الموضوع المتكاملة .

أما بالنسبة للدراسات السابقة فإنني قد أنعمت النظر في فهارس الكتب في مكتبة الجامعة الأردنية وغيرها ، و وقفت على مجموعة من الكتب اتخذ أصحابها الصراط المستقيم عنوانا لكتبهم ، ولكن أيا منها لم يتطرق إلى الموضوع الذي تناولته في بحثي هذا من حيث اقتصاره على القرآن الكريم وتفسيره ، تعريفاً للصراط وكشفاً عن حقيقته في إطار آيات القرآن الكريم وما تضمنته كتب التفسير .

فعلى سبيل المثال نجد كتاب ابن تيمية المعنون : (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ) لم يتعرض إلى شيء مما بحثته ، بل كان مدار الموضوع الذي تناوله هو الحديث عن النهي عن التشبه بالكفار ، والأمر بمجانبة هديهم على

العموم ، وفي أعيادهم على الخصوص ، وبيان ما جاءت به الشريعة من مخالفة أهل الكتاب والأعاجم ونحوهم (١) .

وكتاب (الإسلام الصراط ) لكنيث مورغان ، يبين مؤلفه أنه عرض موجز لتاريخ الإسلام ، وانتشاره وعرض لعقائد المسلمين والتزاماتهم كما شرحها فريق من علماء المسلمين البارزين في زماننا (٢) .

وبحث جل الكتاب هذا العنوان تحت مفاهيم متعددة ، كل حسب وجهة نظره مثل كتاب : (الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم ) لصاحبه ابن قدامة المقدسي ، فإن موضوع هذا الكتاب إثبات أن كلام الله على الحقيقة ، وأنه بحرف وصوت ، والرد على من زعم أنه كلام نفسي قائم بنفس الله تعالى (٣) .

ونحو كتاب : (الصراط المستقيم في الدين المحمدي القويم ) لسيد إبراهيم الحيدري ، تكلم فيه عن إثبات النبوات بالبراهين ، والآيات البينات وبيان شبه النصارى والجواب عنها ، وعن استدلالاتهم وإثبات نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وإعجاز القرآن بالأدلة القاطعة ، مع بيان محاسن الدين المحمدي (٤) .

١- ينظر ابن تيمية . أحمد بن عبد الحلیم ، (ت ٧٢٨هـ) ، اقتضاء الصراط المستقيم ، تحقيق د.ناصر العقل ، مكتبة الرشد الرياض شركة الرياض للنشر والتوزيع ، ط ٥ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ج ١ ص ٣٠ .

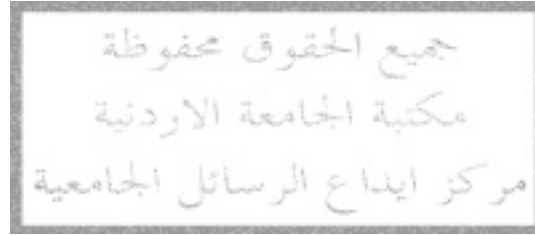
٢- ينظر كنيث مورغان ، ومحمد عبد الله دراز ، و محمود شلتوت وآخرون : الإسلام الصراط ، مكتبة الحياة بيروت ، شركة النبراس بغداد ١٩٦٣م

٣- ينظر المقدسي . ابن قدامة موفق الدين ، (ت ٦٢٠هـ) الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم ، تحقيق وتعليق د.محمد عبد الرحمن الخميس ، مكتبة الفرقان الإمارات العربية ، ط ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، ص ٩ .

٤- ينظر سيد الحيدري . إبراهيم فصيح ، ت ١٢٩٩هـ ، كتاب الصراط المستقيم في الدين المحمدي القويم ، مكتبة الحقيقة تركيا ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م ط ١ ١٩٨٦م ، ص ٣ .

ونحو كتاب : (الهداية إلى الصراط المستقيم) أحمد زناتي ، وموضوعه ما يرشد إلى معرفة الله-تعالى - ، باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الكمال ، وبيان العبادات وما اشتملت عليه من الحكمة والأسرار ، وبيان ما يجب على الشخص نحو نفسه من الآداب الفاضلة والأخلاق الكاملة (١) .

ونحو كتاب : ( الصراط المستقيم ) لعبد الله الهرري المشهور بالحبشي ، وتكلم فيه عن صفات الله سبحانه وتعالى ، والآيات المحكمات والمتشابهات ، والنبوة ، والإيمان بأحوال يوم القيامة (٢) .



<sup>١</sup> - ينظر زناتي . أحمد : كتاب الهداية إلى الصراط المستقيم ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٣م ، ص ٩ .

<sup>٢</sup> -الهرري . عبد الله ، الصراط المستقيم ، دار المشاريع ، بيروت لبنان الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م .



## تمهيد

من المعلوم أن القرآن الكريم هو مصدر الهداية إلى الصراط المستقيم ، ولما كان كذلك كان لا بد من الكشف عن المنهج الذي سلكه في هدايته ، خصوصا في القضايا والمعضلات التي تجد في كل عصر ، ويراها الكثيرون عقبة في توحيد صف الأمة وجمع كلمتها وتحقيق الآمال التي تنشدها .

والتفسير الموضوعي : هو أحدث مناهج التفسير التي اهتدى إليها علماء التفسير في العصر الحديث ، ويعد أقرب هذه المناهج وأيسرها في الوقوف على هداية القرآن الكريم ؛ ذلك أن التركيز فيه على الغايات والثمار التي أنزل من أجلها القرآن إصلاحا للنفس وتقويما للبناء ، مع استغلاله للوسائل من العلوم والمعارف التي اشترطها العلماء للمفسر أحسن استغلال للوصول إلى حقيقة المعاني المرادة دون أن يجعلها غاية في حد ذاتها ، ويشغل أذهان الكثيرين من العامة الذين لا معرفة لهم بهذه الوسائل ، ولا يعينهم الوقوف على مسائل الخلاف فيها بقدر ما يعينهم الوقوف على مراد الله ، وما تهديهم إليه كلماته وآياته في كل ما يواجهونه في حياتهم ويشكل أمره عليهم .

ولا شك في أن هذا هو الأصل الذي ينبغي أن يؤخذ بالاعتبار لدى أهل التفسير للقرآن الكريم ، تيسيرا لفهمه وبلوغا للغاية التي نزل من أجلها ، في تقويم ما اعوج وإصلاح ما فسد .

وأما الاهتمام بالوسائل التي هي سبب الوصول إلى فهم القرآن الكريم والوقوف على مراد الله من كلامه فهي من اختصاص العلماء وطلبة العلم ، وهي غاية في الأهمية بالنسبة لأهل التفسير ، حتى لا يدخل هذا الباب غير أهله ، فيحمل كلام الله ما لا يحتمل ويحرف الكلام عن مواضعه .

أما ما ينبغي تقديمه للعامة الذين يجهلون قواعد التفسير و أصوله ، فالأولى أن يكون مقتصرًا على الثمار التي يجنيها علماء التفسير من معارفهم وعلومهم ، ويتوصل عن طريقها إلى الكشف عن مراد الله من كلامه .  
والتفسير الموضوعي يعد من هذه الناحية محققاً لهذه الغاية التي من أجلها أنزل الله كتابه .

أما المنهج الذي اعتمده العلماء في هذا المجال فهو يتلخص فيما يأتي :  
أولاً : إذا كان مجال البحث قائماً على الكشف عن قضية من القضايا الدينية أو الدنيوية وقد تناولها القرآن الكريم بالذكر ، أو الإشارة فإن أول ما يتوجه إليه نظر الباحث فيه - التفسير الموضوعي - جمع الآيات ذات العلاقة في المواطن المختلفة ، مع التعمق في فهمها وما تحمله من دلالات في موضعها ، بالاستعانة بكتب التفسير ، ثم لا بد من أن يكون المفسر على دراية بأخر ما توصل إليه العلم حول هذه القضايا والموضوعات وما أثير حولها من الأسئلة ودار من الجدل ليعرف مواطن القصور والخلل ويهتدي بما ترشد إليه الآيات إلى الإجابة عن كل ما يثار حول هذه القضايا من الشبهات ويعطي عنها صورة جلية متكاملة .

ثانياً : إذا كان البحث خاصاً بسورة من سور القرآن الكريم ، فإن منهج البحث في التفسير الموضوعي يعتمد بداية على الكشف عن الموضوع العام الذي تناولته السورة ، بالاستعانة بتاريخ نزولها ، وأسباب النزول والأحداث والأحوال العامة التي رافقت نزولها ، ومن ثم ينظر إلى السورة كوحدة محكمة النسيج والبنيان ، ليكشف عن منهج القرآن الكريم في معالجته للموضوعات التي

تتاولتها هذه السورة . فيجد الصلة واضحة بين ما استهلته به السورة وبين ما ختمت به ، ويجد الارتباط محكما بين كلماتها وآياتها ، بحيث لا يجد تناقرا ولا خلا يخرج الكلمة أو الحرف عن الموضوع ، بل يزيده وضوحا وتجليه ، وبهذا يظهر سر فصاحة الكلمة ومظهر إعجاز البيان الذي جاء به القرآن في غاية من الدقة والإحكام ، الذي يعجز عنه الخلق جميعا ولو اجتمعوا له . وفي كلا هذين الجانبين تتحقق الغاية التي أنزل من أجلها القرآن هداية عامة في كل مجالات الحياة ، وإن كانت هذه الهداية تنبثق من أهل التقوى ، إظهارا لفضلهم وتنويها برفعة شأنهم وسمو منزلتهم عند الله ، تنبيها للعباد على إتباعهم والإقتداء بهم حيث جعلهم الله أئمة في هذا الشأن دون سواهم من العوام .

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الأردنية  
تعريف التفسير الموضوعي :  
مركز أبحاث الرسائل الجامعية

### التفسير في اللغة :

قال ابن منظور - رحمه الله - : (( التفسير لغة مشتق من الفسر ، و الفسرُ : البيان ، فسَرَ الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسراً ، وفسره -بالشد- : أبانه والتفسير مثله ، قال- تعالى- : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾<sup>(١)</sup> و الفسرُ أيضا : كشف المغطى ، والتفسير : كشف المراد عن اللفظ المشكل ، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو فسرتة ((<sup>(٢)</sup> .

١ - سورة الفرقان آية رقم ٣٣

٢ - ابن منظور . جمال الدين : لسان العرب ، ج٦ ص٣٦١ ، وينظر الزاوي . الطاهر أحمد : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٩ ، ج١ ص ٤٩٠ .

### التفسير في الاصطلاح :

أما التفسير في اصطلاح العلماء : والتفسير في الاصطلاح : علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)) (١) .  
وهذا ما أورده د.عبد الجليل حيث قال: (( فهو علم يكشف به عن معاني آيات القرآن ، وبيان مراد الله تعالى منها ، حسب الطاقة البشرية )) (٢) .

### الموضوع في اللغة :

قال صاحب المفردات : (( الوضع أعم من الحط ومنه الموضع ... ويقال وضعت الحمل فهو موضوع ، قال - تعالى - : ﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ (٣) ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ (٤) ؛ فهذا الوضع عبارة عن الإيجاد والخلق ... و وضع البيت بناؤه ؛ ومنه قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٥) . و وضعت الدابة تضع في سيرها : أسرع . ودابة حسنة الموضوع و أوضعتها حملتها على الإسراع )) (٦) .

- 
- ١ - الزرقاني . محمد عبد العظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق بديع اللحام ، دار قتيبية ، الطبعة الثانية ١٤٢٢-٢٠٠١ ، ج١ ص١٣ .
  - ٢ - علي . عبد الجليل عبد الرحيم : التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان ، ص ٣٣ ، وانظر مسلم . مصطفى مسلم : مباحث في التفسير الموضوعي ، مطبعة دار القلم دمشق ، ص ١١
  - ٣ - سورة الغاشية آية ١٤
  - ٤ - سورة الرحمن آية ١٠
  - ٥ - سورة آل عمران آية ٩٦
  - ٦ - الأصفهاني . الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد ، ٥٠٢ هـ ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : صفوان عدنان ، دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، ص ٨٧٤ .

وقال الزمخشري - رحمه الله - : (( الموضوع في اللغة كلمة منسوبة إلى الموضوع ، ونجد في قواميس اللغة أن : الوضع ضد الرفع ، وَضَعَهُ ، يَضَعُهُ وَضْعًا وموضوعاً . ويقال تكلمت بموضوع الكلام و مخفوضه ... )) (١) .

### الموضوع في الاصطلاح :

كل هذه المعاني التي تدل عليها هذه اللفظة في اللغة غير مرادة في الاصطلاح ، وفي هذا يقول الدكتور عبد الجليل : (( فهذه الكلمة -الموضوع- كما ترى تستعمل في عدة معان حقيقية ومجازية وهي كلها ليست مرادة في هذا الاستعمال ، لأنه من المصطلحات الحديثة التي شاع استعمالها في الكتابات وعلى الألسنة ، حتى أصبح حقيقة عرفية على القضية العلمية المطروحة للنقاش والبحث ، حتى أضيف له هذا المعنى في المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ففيه ما نصه :

الموضوع : ( المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه ) (٢) .

بينما أصبحت كلمة الموضوعية تستعمل في التزام الباحث أو المتحدث بالجدية في البحث والحديث ، دون التعرض لما لا يمت له بصلة)) (٣) .

### مصطلح التفسير الموضوعي

أما تعريف التفسير الموضوعي اصطلاحاً فقد اختلفت عبارات العلماء في تعريفه نظراً لاختلاف أنواعه ؛

١ - الزمخشري . أبو القاسم محمود بن عمر : أساس البلاغة ، دار ومطابع الشعب ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٠٢٧ .

٢ - مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، القاهرة ، ج ٢ ص ١٠٥٢ .

٣ - علي . عبد الجليل عبد الرحيم : التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان ، ص ٣٥ -



• فمنهم من أشار إلى أنه تفسير يختص بموضوع من الموضوعات تعرضت لذكره آيات القرآن الكريم في مواطن متعددة من السور ، ومن أجل تجليته والوقوف على هداية القرآن فيه كان لا بد من جمع هذه الآيات والتدبر فيها مع ما هنالك من الأحاديث الموضحة لما أجمل إن وجدت لتكون هي المادة التي يعتمد عليها المفسر في بحثه ليقف على حكم الله وبيان ما أشكل على الناس في هذا الموضوع . وقد أوردت عدة تعريفات للباحثين في هذا المجال تكاد تكون متقاربة في المضمون وإن اختلفت بعض عباراتها .

عرف الدكتور أحمد السيد الكومي هذا النوع من التفسير الموضوعي بقوله : (( بيان الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد ، وإن اختلفت عباراتها ، وتعددت أماكنها ، مع الكشف عن أطراف ذلك الموضوع حتى يستوعب المفسر جميع نواحيه ، ويلم بكافة أطرافه ، وإن أعوزه ذلك لجأ إلى التعرض إلى بعض الأحاديث المناسبة للمقام لتزيدها إيضاحاً وبيانا ))<sup>(١)</sup> .

وعرفه الدكتور الحسيني أبو فرحة - رحمه الله - بقوله : (( بيان الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد ، واستيفاء الموضوع بما يضاف إلى الآيات من سنة نبوية شريفة في نفس الموضوع ، وترتيب هذه النصوص بحيث تشكل موضوعاً واحداً يغطي جوانبه المختلفة ))<sup>(٢)</sup> .

ويقول عزت حسن عند بيانه لطرق التفسير الموضوعي : (( أما الطريقة الثانية فهي أن يعتمد الباحث إلى موضوع معين قد تناوله القرآن ، فيجمع الآيات التي

١- الكومي . أحمد السيد ، و القاسم . محمد أحمد : التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ١٦-١٧ .

٢- أبو فرحة . الحسيني : الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي للآيات القرآنية ، دار أبو المجد للطباعة ، شارع الهرم مصر ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، الطبعة الثالثة ، ج ١ ص ٥-٦ .

تحدثت عنه ، وتكلمت فيه ، تحت عنوان واحد ثم يعالج الموضوع الذي اشتملت عليه هذه الآيات وهذا ما يسمى بالتفسير الموضوعي ((<sup>(١)</sup>).

و قصر معظم الباحثين التفسير الموضوعي على هذا النوع من التفسير

• ومنهم من عرفه بأنه تفسير يختص بالسور القرآنية ، على أن كل سورة من سور القرآن الكريم تشكل وحدة موضوعية في حد ذاتها ، وهذا لا يمنع من وجود الصلة والترابط بين السور بعضها مع بعض . وهذا علم مستقل أطلق عليه الباحثون فيه علم المناسبات (<sup>(٢)</sup>).

وإن كان هذا المنهج من التفسير قد كشف عن جوانب أخرى من هذه الصلات ، والترابط بين الآيات القرآنية ، حيث يشهد هذا التناسب والتكامل الموضوعي بين كل السور ، وهذا الأمر لا يتحقق إلا بعد الكشف عن الموضوع ، الذي تتحدث عنه كل سورة ، عند القائلين بأن لكل سورة موضوعها المستقل عن غيرها من السور .

وهذا أمر قرره كثير من كبار العلماء ، وقدموا له نماذجاً فعلية في تفسيرهم للقرآن الكريم فالشاطبي (<sup>(٣)</sup>) - رحمه الله تعالى - قدم تفسيراً لسورة المؤمنين ، في

<sup>١</sup> - حسن . عزت محمد : نعم الله في خلق الإنسان كما يصوره القرآن الكريم ، رسالة في التفسير الموضوعي ، مكتبة المعارف بالرياض ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، ص ٧ .  
<sup>٢</sup> - مصطفى مسلم . مباحث في التفسير الموضوعي ص ١٥-١٦ بتصرف .  
<sup>٣</sup> - الشاطبي : هو الإمام الحافظ أبو اسحاق إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي صاحب كتاب الموافقات

كتابه الموافقات<sup>(١)</sup> والمرحوم الدكتور عبد الله دراز قدم تفسيراً لسورة البقرة ، في كتابه النبأ العظيم<sup>(٢)</sup> .

ويعتبر الإمام البقاعي - رحمه الله تعالى - أول من سار على هذا المنهج ، في جميع تفسيره للقرآن الكريم في كتابه نظم الدرر في تناسق الآيات والسور . وقرر في مقدمة تفسيره أن لكل سورة موضوعها الخاص بها<sup>(٣)</sup>

وقد وجدت دراسات كثيرة من الباحثين في هذا المجال في أطروحات رسائل الماجستير والدكتوراه التي توجه أصحابها إلى تناول السور القرآنية كدراسة موضوعية .

ويعد تفسير المرحوم سيد قطب في ظلال القرآن الكريم تطبيقاً عملياً لهذا النوع من التفسير وقد صاغه بأسلوب أدبي رائع ، سلس العبارة ، واضح الفكرة والغاية .

وقد قدم الدكتور عبد الجليل نموذجين لهذا التفسير تمثل أحدهما في تفسير كامل لسورة العلق طبع في كتابه التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان<sup>(٤)</sup> والثاني تفسير لسورة نون تحت عنوان ميزان العقل والجنون كما توضحه سورة نون وهو ما زال تحت الطبع<sup>(٥)</sup> .

<sup>٣</sup> - الشاطبي . أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ، الشهير بالشاطبي : كتاب الموافقات في أصول

الشرعية ، تحقيق : خالد عبد الفتاح . مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ج ٣ ص ٢٦٤

<sup>٢</sup> - دراز . محمد عبد الله : النبأ العظيم ، مطبعة السعادة ، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م ص ١٣٠ ومابعدا .

<sup>٣</sup> - البقاعي . برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر : ت ٨٨٥هـ ، نظم الدرر في تناسق الآيات والسور ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ج ٥ ص ٥ .

<sup>٤</sup> - علي . عبد الجليل عبد الرحيم : التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان ص ١٠٣ .

<sup>٥</sup> - علي . عبد الجليل عبد الرحيم : ميزان العقل والجنون كما توضحه سورة نون ، مخطوط .

كما قدم الدكتور حسن عبد الجليل نموذجاً في هذا التفسير لسورة العاديات في أطروحة الماجستير التي قدمها في جامعة آل البيت (١) .

وعُرِّف هذا النوع من التفسير بأنه : التفسير الذي يتوجه فيه المفسر إلى الكشف عن الموضوع الذي تعالجه السورة في ضوء معطيات آياتها المحكمة النسيج والارتباط بأسلوبها المتميز وخصائصها المعجزة بلوغاً إلى مقاصدها الهدائية (٢) .

ويعقب صاحب هذا التعريف عليه بقوله : (( وليس الأمر قاصراً على تحديد الموضوع بل لا بد أن يشهد القارئ كيف تدور جميع آيات السورة وكلماتها بل وحروفها وكل إشاراتها في فلك هذا الموضوع دون أن تشذ عنه أو أن تخرج عن إطاره كل ذلك وفق أصول التفسير وقواعده المرعية دون أن يتكلف تأويلاً يبتعد به عن الأصول )) (٣) .

وهذا النوع من التفسير أطلقوا عليه اسم الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

وبالرغم من أن هذا التقسيم للتفسير الموضوعي قد أصبح هو المشهور والمعتمد لدى الباحثين في الدراسات الموضوعية إلا أن بعض العلماء قد نظر إلى الوحدة الموضوعية في السور القرآنية نظرة مخالفة ، من حيث إمكانية تعدد الموضوعات في السورة الواحدة ، واتجهوا نحو تحديد موضوعات مشتركة بين السور المكية التي تميزت بها عن السور المدنية ، كموضوعات العقيدة من الإيمان بالله والبعث وتقرير الرسالة والنبوة واليوم الآخر وما فيه من الحساب والجزاء على الأعمال .

١ - علي . حسن عبد الجليل عبد الرحيم : أسلوب بناء السورة القرآنية ، رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت ١٩٩٦-١٩٩٧ ، ص ١٥٨ وما بعدها .

٢ - علي . عبد الجليل عبد الرحيم : التفسير الموضوعي للقرآن بين كفتي الميزان ص ٣٥ - ٣٦

٣ - السابق ص ٣١

أما السور المدنية فاشتركت في التشريع حيث تعرضت لأحكام العبادات  
والمعاملات والحدود والجنايات وما إلى ذلك من الآداب العامة .

هذا ما نص عليه كثيرون ممن ألفوا في التفسير الموضوعي كالأستاذ  
الدكتور أحمد السيد الكومي والأستاذ الدكتور الحسيني أبو فرحة وغيرهم <sup>(١)</sup> .

والذي أريد أن أنبه عليه في هذا المجال أن الأساس الذي كان وراء ظهور  
هذا المنهج من التفسير هو الاعتراضات الكثيرة من المستشرقين وغيرهم على  
القرآن الكريم بأنه خال من الوحدة الموضوعية بعيدا عن منهج البحث العلمي الذي  
تكون خطة البحث فيه واضحة من مقدمة تكشف عن أهميته والغاية منه في ضوء

خطة تفصيلية تعالج الموضوع من كل جوانبه .

فكان المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز الدارس على أيديهم هو المبادر  
إلى وضع نموذج لهذا التفسير ردا عليهم فيما يتوهمون <sup>(٢)</sup>

وإذا كان البعض قد رأى ذلك بعيد المنال في السور الطوال إلا أن اختيار  
المرحوم دراز لسورة البقرة يعتبر ردا على هؤلاء وبيانا لإمكانيته في هذه السور  
أيضا .

<sup>١</sup> - الكومي . أحمد السيد ، و القاسم . محمد أحمد : التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص  
١٦-١٧ .

<sup>٢</sup> - دراز . محمد عبد الله النبأ العظيم ، ص ١٣٠ وما بعدها .

## الفصل الأول

### التعريف بالصراط المستقيم

المبحث الأول :

معنى الصراط المستقيم والاستقامة في اللغة .

معنى الصراط لغة :

قال الراغب - رحمه الله - (( الصراط الطريق المستسهل أصله من سرطت الطعام

وازدرتة : ابتلغته . فقليل : صراط تصوراً أنه يبتلغه سالكه ، أو يبتلع سالكه ))<sup>(١)</sup>

وقال ابن منظور - رحمه الله - (( الأصل الذي تفيده كلمة الصراط في

اللغة ؛ هو البلع ففي لسان العرب : سرط الطعام سرطاً بلعه ، وانسرط الشيء في

حلقة سار فيه سيراً سهلاً . - ومن هذا القبيل وصف السيف بأنه - صراط

وسراطي إذا كان قاطعاً يمر في الضريبة كأنه يسترط كل شيء يلتهمه . وإنما قيل

للطريق الواضح صراط لأنه كأنه يسترط المارة لكثرة سلوكهم فيه ))<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن منظور: (( أصل الصراط بالسين لأنه من السرط ، والصاد لغة

في الصراط ... قال الفراء وهي بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب ،

قال وعامة العرب تجعلها سينا ))<sup>(٣)</sup> .

<sup>١</sup> - الأصفهاني. الراغب المفردات ، ص ٤٠٧ .

<sup>٢</sup> - ابن منظور . أبو الفضل جمال الدين محمد بن محمد بن مكرم الأنصاري : ت ٦٣٠ -

٧١١هـ ، لسان العرب ، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة

التاريخ العربي بيروت لبنان ، ط ٢ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ج ٦ ص ٢٤٠ .

<sup>٣</sup> - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ص ٢٤٠ .

### المستقيم لغة :

المستقيم لغة : المستوي القويم الذي لا اعوجاج فيه ولا التواء يقال : طريق مستقيم . كما يطلق على العادل الذي لا ميل فيه عن الحق . فيقال : " ميزان مستقيم" (١) .

قال أبو السعود - رحمه الله - : ((والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الإفراط والتفريط)) (٢) .

قال ابن عجيبة - رحمه الله - : ((والمستقيم الذي لا عوج فيه ، والمراد به طريق الحق الموصلة إلى الله )) (٣) .

وقال ابن عاشور - رحمه الله - : ((والمستقيم اسم فاعل من استقام ، مطاوع قومه فاستقام ، والمستقيم الذي لا عوج فيه ولا تعاريج ، وأحسن الطرق الذي يكون مستقيماً ، وهو الجادة لأنه باستقامته يكون أقرب إلى المكان المقصود من غيره ، فلا يضل فيه سالكه ولا يتردد ولا يتحير ، والمستقيم هنا مستعار للحق البين الذي لا تخالطه شبهة باطلة )) (٤) .

<sup>١</sup> - معجم ألفاظ القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، ج ٢ ص ٤٥٣ .

<sup>٢</sup> - أبو السعود. محمد بن محمد : (ت ٩٨٢هـ) ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تعليق : عبد اللطيف عبدالرحمن ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، ج ١ ص ٢٨ .

<sup>٣</sup> - ابن عجيبة . أبو العباس أحمد بن محمد المهدي : (ت ٢٢٤هـ) ، البحر المديد ، تحقيق : عمر أحمد الراوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ج ١ ص ٣٨ .

<sup>٤</sup> - ابن عاشور. محمد الطاهر : تفسير التحرير والتتوير ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م ، ج ١ ص ١٩١ .



## تعريف الاستقامة

قال الراغب عند بيانه لمعنى الاستقامة : (( يقال في الطريق الذي يكون على خط مستو ، وبه شبه طريق المحق نحو ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> واستقامة الإنسان لزومه المنهج المستقيم نحو قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾<sup>(٣)</sup> . وإقامة الشيء توفيته حقه ، قال - تعالى - : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾<sup>(٤)</sup> أي توفون حقوقهما

بالعلم والعمل .

قال : ولم يأمر - سبحانه وتعالى - بالصلاة حيثما أمر ، ولا مدح به حيثما مدح إلا بلفظ الإقامة ، تنبيهاً أن المقصود منها توفية شرائطها لا الإتيان بهيئاتها نحو قوله - تعالى - : ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَكُونُوا يَحْسَبُونَ﴾<sup>(٥)</sup> في غير موضع<sup>(٦)</sup> .

قال ابن منظور : (( الاستقامة الاعتدال ، يقال : استقام له الأمر وقوله - تعالى - : ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾<sup>(٧)</sup> أي في التوجه إليه دون الآلهة . وقام الشيء واستقام : اعتدل واستوى . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ

<sup>١</sup> - سورة الفاتحة آية ٦

<sup>٢</sup> - سورة هود آية ٥٦

<sup>٣</sup> - سورة فصلت آية ٣٠

<sup>٤</sup> - سورة المائدة آية ٦٨

<sup>٥</sup> - سورة الأنعام آية ٧٢

<sup>٦</sup> - الراغب ، المفردات ص ٦٩٢ - ٦٩٣

<sup>٧</sup> - سورة فصلت آية ٦

الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ<sup>(١)</sup> معنى قوله استقاموا : عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - . وقال الأسود بن مالك **«ثُمَّ اسْتَقَامُوا»** : لم يشركوا به شيئاً . وقال قتادة : استقاموا على طاعة الله<sup>(٢)</sup> .

وقال اللجمي : (( الاستقامة في اللغة هي الاعتدال . يقال : استقام يستقيم استقامة اعتدل واستوى ، ويقال استقام الطريق أي اعتدل بعد إصلاحه وكان ذا انحناءات . واستقام الإنسان اعتدل في سلوكه وكانت أخلاقه فاضلة ، واستقام الشعر اتزن ))<sup>(٣)</sup> .

من أجل ذلك كانت الاستقامة في اصطلاح المفسرين :

نحو ما أورده ابن عاشور حيث يقول : (( الاستقامة : هي العمل بكمال الشريعة بحيث لا تتحرف عنها قيد شبر ومتعلقها العمل بالشريعة بعد الإيمان لأن الإيمان أصل فلا تتعلق به الاستقامة وقد أشار إلى صحة هذا المعنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي عمرة الثقفي لما قال له : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك قال : " قل آمنت بالله ثم استقم"<sup>(٤)</sup> فجعل الاستقامة شيئاً بعد الإيمان))<sup>(١)</sup>

<sup>١</sup> - سورة فصلت آية ٣٠

<sup>٢</sup> - ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١١ ص ٣٥٦ .

<sup>٣</sup> - اللجمي . أديب وآخرون ، المحيط معجم اللغة العربية ، دار المحيط للنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٤م ، ج ١ ص ١٠٠ .

<sup>٤</sup> - يقول ابن حبان في صحيحه : أخبرنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة ، قال : حدثنا العباس بن الوليد القرشي ، قال : وهيب بن خالد ، قال : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن سفیان بن عبد الله الثقفي ، قال : قلت : يا رسول الله قل لي قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك ؟ قال : قل آمنت بالله ثم استقم . البستي : محمد بن حبان بن أحمد ، ت ٣٥٤ ، صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ - ١٩٩٣ ، ج ٣ ص : ٢٢١ حديث رقم ٩٤٢ ، وينظر أيضاً الحاكم النيسابوري . محمد بن عبد الله ، ت ٤٠٥ ،

ونحو ما أورده أبو السعود- رحمه الله - حيث يقول : (( وبالجملة فهذا الأمر منتظم لجميع محاسن الأحكام الأصلية والفرعية ، والكمالات النظرية والعملية ، و الخروج من عهده في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - "شيبتي سورة هود"<sup>(٢)</sup> ))<sup>(٣)</sup>

ونحو قول البروسوي : (( وذلك لأن حقيقة الاستقامة هي الوفاء بالعهد كلها وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس ، في كل أمر ديني ودنيوي ، ترغيب أو ترهيب أو حال أو حكم أو صفة أو معاملة ، وذلك هو الصراط المستقيم ، كالصراط المستقيم في الآخرة ، والتمشي على هذا الصراط الذي يقال لها الاستقامة الاعتدالية عسير جداً ))<sup>(٤)</sup> .

وقال الأوسوي في تعريف الاستقامة : (( هي لزوم المنهج المستقيم ، وهو التوسط بين الإفراط والتفريط ، وهي كلمة جامعة لكل ما يتعلق بالعلم والعمل وسائر

---

المستدرك على الصحيحين، تحقيق : مصطفى عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠، ج٤ ص٣٤٩ حديث رقم ٧٨٧٤ ، السلمي . محمد بن عيسى : ت٢٧٩ ، سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ج٤ ص ٦٠٧ حديث رقم ٢٤١٠ ، الدارمي . عبد الله بن عبد الرحمن : ت٢٥٥ ، سنن الدارمي ، تحقيق : فؤاد زمري ، خالد العلمي ، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٧ ج٢ ص ٣٨٦ حديث رقم ٢٧١٠ ، النسائي . أحمد بن شعيب : ت٣٠٣ ، السنن الكبرى، تحقيق : عبد الغفار البندري ، سيد كسروي ، دارالكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١-١٩٩١ ، ج٦ ص٤٥٨ حديث ١١٤٨٩ ، القزويني . محمد يزيد: ت٢٧٥ سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت ج٢ ص١٣١٤ حديث ٣٩٧٢ ، مسند الإمام أحمد ج٣ ص٤١٣ .

- ١- ابن عاشور. التحرير و التنوير، ج ١١ ص ١٧٥ - ١٧٦.
- ٢- ينظر المناوي . عبد الرؤوف : فيض القدير ، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ١٣٥٦ الطبعة الأولى، ج ٤ ص: ١٦٩ ، و الجرجاني . علي بن محمد بن علي : ت٨١٦ ، التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى بيروت ١٤٠٥ ، ج ١ ص ٣٧ ، علل الدارقطني، ج ١ ص ٢٠٠-٢١٠ ،
- ٣- أبو السعود إرشاد العقل السليم ج٣ ص٣٥٦
- ٤- البروسوي . إسماعيل حقي : ت١١٣٧هـ ، روح البيان، تحقيق : أحمد عبيدو ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، ج٤ ص٢٥٤ .

الأخلاق ، فتشمل العقائد والأعمال المشتركة بينه - صلى الله عليه وسلم - وبين سائر المؤمنين والأمور الخاصة به - عليه الصلاة والسلام - .

وقد قالوا : إن التوسط بين الإفراط والتفريط بحيث لا يكون ميل إلى أحد الجانبين قيد عرض شعرة مما لا يحصل إلا بالافتقار إلى الله - تعالى - ونفي الحول والقوة بالكلية ((<sup>(١)</sup>).

وقال ابن عاشور : (( "فاستقيموا" هنا يشمل معنى الوفاء بما كلفوا به وأول ما يشمل من ذلك أن يثبتوا على أصل التوحيد ، أي لا يغيروا ولا يرجعوا... .

وروي عن أبي بكر - رضي الله عنه - قوله : (( **ثُمَّ اسْتَقَامُوا** ))<sup>(٢)</sup> أي : لم

يشركوا بالله شيئاً ، وعن عمر - رضي الله عنه - : استقاموا على الطريقة لطاعته

ثم لم يروغوا وروغان الثعالب ، وقال عثمان - رضي الله عنه - : ثم أخلصوا العمل

لله . وعن علي - رضي الله عنه - **الرثم أدوا الفرائض** وعقب - ابن عاشور - بقوله :

فقد تولى تفسير هذه الآية الخلفاء الأربعة . وكل هذه الأقوال ترجع إلى معنى

الاستقامة في الإيمان وآثاره ، وعناية هؤلاء الأربعة أقطاب الإسلام ببيان

الاستقامة يشير إلى أهميتها في الدين))<sup>(٣)</sup> .

١ - الألويسي . أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود : ت ١٢٧هـ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : محمد الأمد وعمر السلامي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ج ١٢ ص ٤٧٧ .

٢ - سورة فصلت آية ٣٠

٣ - ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ٢٣ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

## المبحث الثاني :

## الصراط المستقيم في عبارات المفسرين

تنوعت عبارات المفسرين في تحديد المراد بالصراط المستقيم الذي أوجب الله على العباد طلب الهداية إليه منه - سبحانه وتعالى - في كل ركعة من صلاة يتوجهون بها إلى الله .

ومن الملاحظ أن كل هذه الأقوال التي أوردوها لها مستند شرعي ليس من السهولة استبعادها إذ أنها في جملتها دلالات الصراط المستقيم .

وسأقوم بعرض هذه الأقوال الواردة في كتب التفسير التي قد تبدو في ظاهرها مختلفة من أجل النظر فيها ومحاولة الجمع والتوثيق بينها والخروج بتصوير حقيقي وشامل لما تحويه هذه الكلمة من دلالات ، وما أعطاها الاستعمال من سعة ظاهرة ، وفيما يأتي مجمل للأقوال التي أوردتها المفسرون:

• أولاً : الإسلام

ذهب إلى ذلك جمع من المفسرين منهم الإمام الطبري والقرطبي والبيضاوي والسيوطي - رحمهم الله - . قال الطبري: (( وهو يهدي من يشاء من خلقه فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم وهو الإسلام ))<sup>(١)</sup> .

وقال القرطبي : (( ﴿ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴾<sup>(٢)</sup> ) إي إلى صراط الله ، وصراط الله : دينه هو الإسلام ))<sup>(٣)</sup> .

أما الإمام السيوطي - رحمه الله - فقد أورد عن أبي العالية الرياحي قال : ((تعلموا الإسلام فإذا علمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإن الصراط المستقيم الإسلام ))<sup>(٤)</sup> .

وقال شيخ زاده - رحمه الله - في حاشيته على تفسير البيضاوي : (( إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>(٥)</sup> ) أي : هو دين الإسلام الموصل إلى درك الحق والفوز بالجنة ))<sup>(٦)</sup> .

١ - الطبري . أبو جعفر محمد بن جرير : ت ٣١٠هـ ، جامع البيان في تأويل أي القرآن المسمى تفسير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ج ٦ ص ٥٤٨ .

٢ - سورة الحج آية ٢٤ .

٣ - القرطبي . أبو عبد الله محمد بن أحمد : ( ت ٦٧١هـ ) ، مختصر تفسير القرطبي ، اختصره الشيخ عرفان حسونة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ج ٣ ص ١٦٩ .

٤ - السيوطي . جلال الدين : ت ٩١١هـ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق : نجدت نجيب ، دار إحياء التراث ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ ، ج ١ ص ٣٦ .

٥ - سورة البقرة آية ١٤٢ .

٦ - شيخ زاده . محيي الدين محمد بن مصلح : ( ت ٩٥١هـ ) ، حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، ج ٦ ص ٢٤٢ .

## • ثانياً : القرآن

أورد هذا القول جمهور من المفسرين مرفوعاً إلى النبي -صلى الله عليه وسلم - فأخرج ابن كثير عن ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- قال : (( قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : ( الصراط المستقيم كتاب الله )<sup>(١)</sup> . وذكر كذلك أنه من رواية أحمد والترمذي من رواية الحارث الأعور عن علي مرفوعاً : وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ))<sup>(٢)</sup> .

أما السيوطي - رحمه الله - فقد أورده عن ابن أبي شيبة والدارمي والترمذي وابن الأنباري عن الحارث الأعور قال : (( دخلت المسجد فإذا الناس قد وقعوا في الأحاديث فأتيت علياً - رضي الله عنه - فأخبرته : فقال : أوقد فعلوها ؟ سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إنها ستكون فتنة . قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء ولا تلتبس منه الألسن ... ومن دعا إليه هدي إلي صراط مستقيم ))<sup>(٣)</sup> .

<sup>١</sup> - ابن كثير . عماد الدين أبو الفداء إسماعيل : (ت٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : أحمد الزعبي ، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، ج١ ص ٤٥ ، ينظر الفردوس بمأثور الخطاب ، ج٢ ص ٤١٩ حديث ٣٨٥٨ .

<sup>٢</sup> - ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ، ج١ ص ٤٥ .

<sup>٣</sup> - السيوطي . جلال الدين : الدر المنثور ، ج٨ ص ٤٣٧ ، ينظر سنن الدارمي ، ج٢ ص ٥٢٦ حديث رقم ٣٣٣١ ، السلمي . محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ج٥ ص ١٧٢ حديث رقم ٢٩٠٦ .



وذكره البغوي ونسبه إلى ابن مسعود وإلى الإمام علي كرم الله وجهه (١) .  
وقد أورد صاحب زاد المسير في تعريف الصراط ثلاثة أقوال أحدها أنه  
القرآن ونسبه إلى ابن مسعود (٢) .

### • ثالثاً : العبادة :

ذهب بعض المفسرين إلى أن الصراط هو عبادة الله القائمة على طاعته -  
سبحانه وتعالى - وطاعة رسوله .

قال البغوي في تفسيره الصراط المستقيم : (( العبادة والطاعة مع التذلل  
والخضوع وسمي العبد عبداً لذاته وانقياده . يقال طريق معبد أي مذل )) (٣) .

وقال ابن كثير في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ  
هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٤) (( أي : هذا الذي جئتم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة  
الرب جل وعلا وحده )) (٥) .

وقال ابن بركان - رحمه الله - : (( والصراط المستقيم هو عبادة الله  
وحده عقداً وعملاً يقترن بذلك الإيمان بالرسول والافتداء به والإيمان برسوله وبكتبه

١ - البغوي . أبو محمد الحسين بن مسعود : ت ٥١٦هـ ، تفسير البغوي المسمى معالم  
التنزيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٠م ،  
ج ١ ص ١٥ .

٢ - الجوزي . جمال الدين عبد الرحمن : ت ٥٩٧هـ زاد المسير في علم التفسير ، المكتب  
الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ج ٣ ص ١٢١ .

٣ - البغوي . معالم التنزيل ، ج ١ ص ١٤ .

٤ - سورة الزخرف آية ٦٤ .

٥ - ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ص ١٦٦ .

وملائكته وجميع ما جاء من عنده من غيب وشهادة يقترن بذلك العمل والإخلاص لله وحده))<sup>(١)</sup>.

قال الألوسي: (( وقيل العبادة لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> والقرآن يفسر بعضه بعضاً))<sup>(٣)</sup>.

#### • رابعاً : طريق الهداية

قال الطبري- رحمه الله - في قوله- تعالى- : ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup> (( فإنه يعني به والله يسدد من يشاء من خلقه ويرشده إلى الطريق القويم على الحق الذي لا اعوجاج فيه كما هدى الذين آمنوا بمحمد- صلى الله عليه وسلم - ))<sup>(٥)</sup>.

و مراد الإمام الطبري بالهداية هنا هي هداية التوفيق والتسديد لا هداية الإرشاد وذلك أن الثانية عامة للناس جميعاً من أهل الرسالة كما في قوله- تعالى- : ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

<sup>١</sup> - ابن برجان . تفسير ابن برجان ، مخطوط ورقة ٩/أ .  
<sup>٢</sup> - سورة يس آية ٦١  
<sup>٣</sup> - الألوسي . روح المعاني ج ١ ص ١٢٥ .  
<sup>٤</sup> - سورة البقرة آية ٢١٣  
<sup>٥</sup> - الطبري . تفسير الطبري ، ج ٢ ص ٣٥٢ .  
<sup>٦</sup> - سورة فصلت آية ١٧

وقال صاحب مصحف التهجد : (( إنه الطريق الهادي إلى دين الله - تعالى - الذي لا عوج فيه وهو قول ابن عباس ))<sup>(١)</sup> .

### • خامساً : الطريق الموصلة إلى الله عز وجل

قال الألوسي عند قوله - تعالى - : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(٢)</sup> : (( وهي الطرق الموصلة إليه عز وجل ، وقد قال بعض العارفين الطرق إلى الله تعالى مسدودة إلا على من اتبع النبي - صلى الله عليه وسلم - ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ ﴾<sup>(٣)</sup> وهي ظلمات الشك ، والاعتراضات النفسانية والخواطر الشيطانية ﴿ إِلَى النُّورِ ﴾<sup>(٤)</sup> وهو نور الرضا والتسليم ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(٥)</sup> وهو طريق الترقى في المقامات العليا ))<sup>(١)</sup> .

قال ابن عجيبة : (( والمراد به طريق الحق الموصلة إلى الله وفي قوله (اهدنا) أي : أرشدنا إلى الطريق المستقيم الموصلة إلى حضرة النعيم ، والطريق المستقيم : هو السير على الشريعة المحمدية في الظاهر والتبري من الحول والقوة في الباطن .... فالصراط المستقيم الذي أمرنا الحق بطلبه هو : الجمع بين الشريعة

<sup>١</sup> - الماوردي ، ابي الحسن علي بن محمد : مصحف التهجد ومعه تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون ، تحقيق : اللجنة العلمية بدار الصفوة ، دار الصفوة للطباعة والنشر ، ط ١ ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ، ج ١ ص ٣٠ .

<sup>٢</sup> - سورة المائدة آية ١٦

<sup>٣</sup> - سورة المائدة آية ١٦

<sup>٤</sup> - سورة البقرة آية ٢٥٧

<sup>٥</sup> - سورة المائدة آية ١٦

<sup>٦</sup> - الألوسي . روح المعاني ، ج ٦ ص ٣٩٩ .

والحقيقة ، والمفهوم من قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(١)</sup> ، ولذلك وصله به فكان الحق - سبحانه - يقول : يا عبادي احمدونني ومجدونني وأفردوني بالقصد وخصوني بالعبادة وكونوا في ظاهركم مشتغلين بعبادتي وفي باطنكم مستعنين بحولي وقوتي ، أو كونوا في ظاهركم متأدبين بخدمتي وفي باطنكم مشاهدين لقدرتي وعظمة ربوبيتي .

ويبين بعد ذلك وجه طلب الهداية إلى الصراط المستقيم من المؤمنين المهتدين إليه بقوله : إنه طلب التثبيت على ما هو حاصل ، والإرشاد إلى ما هو ليس بحاصل ، فأهل مقام الإسلام يطلبون الثبات على الإسلام الذي هو حاصل ، والترقي إلى مقام الإيمان الذي ليس بحاصل على طريق الصوفية والذين يخلصون العمل الظاهر بمقام الإسلام والعمل الباطن - أعمال القلوب - بمقام الإيمان وأهل الإيمان يطلبون الثبات على الإيمان الذي هو حاصل ، والترقي إلى مقام الإحسان الذي ليس بحاصل ، وأهل مقام الإحسان يطلبون الثبات على الإحسان والترقي إلى ما لا نهاية له من كشوفات العرفان ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> ((<sup>(٣)</sup>) .

• سادساً : وقريب من هذا القول من ذهب إلى أنه العلم بالله عز وجل والفهم عنه .

فإن الوصول إلى الله هو معرفة الله معرفة حقيقية تتمثل في الوقوف على مراده في كل ما أمر به ونهى عنه وهو العلم الوهبي الذي دعا به النبي - صلى الله

<sup>١</sup> - سورة الفاتحة آية ٥

<sup>٢</sup> - سورة يوسف آية ٧٦

<sup>٣</sup> - ابن عجيبة . البحر المديد ، ج ١ ص ٣٨-٤١ .

عليه وسلم - لابن عباس في قوله: (( اللهم فقهه في الدين ))<sup>(١)</sup> . ومن كان من أهل ذلك صار من أهل التوحيد الخالص وأهل الاستقامة في الأمور كلها وصاحب الأخلاق الحميدة وهي جميعا قد وردت في عبارات المفسرين .

قال الطبري عند قوله - تعالى - : ﴿ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> (( يقول : ألم أعهد إليكم أن اعبدوني دون كل ما سواي من الآلهة والأنداد ، وأيادي فأطيعوا ، فإن إخلاص عبادتي وإفراد طاعتي ومعصية الشيطان - وهو الدين الصحيح - والطريق المستقيم ))<sup>(٣)</sup> .

وقال صاحب زاد المسير في قوله - تعالى - : ﴿ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾<sup>(٤)</sup> (( والمعنى : وحدوني هذا صراط مستقيم يعني التوحيد ))<sup>(٥)</sup> .

قال البيضاوي مفسرا قوله تعالى : ﴿ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾<sup>(٦)</sup> (( الذي هو التوحيد والتدريج بلباس التقوى ))<sup>(٧)</sup> . وقال عند قوله ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ

الرُّسُلِينَ ﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(٨)</sup> وهو التوحيد والاستقامة في الأمور))<sup>(٩)</sup> .

<sup>١</sup> - ينظر العسقلاني . ابن حجر : فتح الباري شرح البخاري . صحيح الصحيح ، ج ١ ص ١٧٠ ، و المعجم الكبير ، ج ١ ص ٢٦٣ حديث رقم ١٠٦١٤ ، والمنأوي . فيض القدير ، ج ٢ ص ٤٣٢ ، المباركوري أبو العلا . محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم : ت ١٣٥٣ ، تحفة الأحوذى ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، ج ٨ ص ٢٢٦ .

<sup>٢</sup> - سورة يس آية ٦١ .

<sup>٣</sup> - الطبري . تفسير الطبري ج ١٠ ص ٤٥٧ .

<sup>٤</sup> - سورة يس آية ٦١ .

<sup>٥</sup> - الجوزي . زاد المسير ، ج ٧ ص ٣٠ .

<sup>٦</sup> - سورة سبأ آية ٦

<sup>٧</sup> - شيخ زاده . محيي الدين حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي ج ٦ ص ٦٧٦

<sup>٨</sup> - سورة يس آية ٢-٣

<sup>٩</sup> - شيخ زاده . محيي الدين حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي ، ج ٧ ص ٥٣ .

وقال ابن كثير في قوله - تعالى - : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١)  
 (( وهو الخلق القويم )) (٢) .

قال القرطبي - رحمه الله - : (( وقيل هو صراط آخر ، ومعناه العلم بالله عز وجل والفهم عنه )) (٣) . نقله عن الإمام جعفر الصادق .

وقال الألوسي : (( وقيل هو الإعراض عن السوى والإقبال بالكلية على المولى )) (٤) .

وقال صاحب روح البيان : (( إنه وإن عرف الله بدليل فهناك أدلة أخرى فمعنى اهدنا : عرفنا ما في كل شيء من كيفية دلالاته على ذاتك وصفاتك وأفعاك )) (٥) .

وقال البروسوي : (( طلب الإعراض عما سوى الله وإن كانت نفسه ، والإقبال بالكلية عليه ، حتى لو أمر بذبح ولده كإبراهيم عليه الصلاة والسلام )) (٦) .

#### • سابعاً : طريق الجنة :

قال الطبري : في قوله - تعالى - : ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧) . (( فإنه يعني : ومن يتعلق بأسباب الله ، ويتمسك بدينه وطاعته

١ - سورة الشورى آية ٥٢ .

٢ - ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٥٢ .

٣ - القرطبي . أبو عبد الله محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م ، ج ١ ص ٢٦ .

٤ - الألوسي . روح المعاني ، ج ١ ص ٩٢ .

٥ - البروسوي . روح البيان ، ج ١ ص ٤٤ .

٦ - المرجع السابق .

٧ - سورة آل عمران آية ١٠١ .

﴿ فقد هدي ﴾، يقول : فقد وفق لطريق واضح ، ومحجة مستقيمة غير معوجة فيستقيم إلى رضا الله وإلى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته ((<sup>(١)</sup>).

قال القرطبي : عند قوله - تعالى - : ﴿ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾<sup>(٢)</sup> (( أي : إلى طريق الجنة ))<sup>(٣)</sup>.

أما البيضاوي فقد ذكر عند هذه الآية قوله : (( المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة ))<sup>(٤)</sup>.

ونقل صاحب دقائق التفسير عن عطاء قال : (( هي طريق الجنة ))<sup>(٥)</sup>.

قال الألوسي عند تفسيره لهذه الآية : (( وقيل الجنة ، وإطلاق الصراط عليها باعتبار أنها طريق للفوز بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وقيل : ﴿ الحميد ﴾ : هو الجنة والإضافة على ظاهرها والمراد بصراطها الإسلام ))<sup>(٦)</sup>.

وقال صاحب روح البيان عند قوله - تعالى - : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(٧)</sup> ، (( طريق سوي يؤدي بصاحبه إلى الجنة وهو الحق الصريح الذي أجمع عليه الرسل قاطبة فتكون آية على أنه - عليه السلام - من جملتهم ))<sup>(٨)</sup>.

<sup>١</sup> - الطبري . تفسير الطبري ، ج ٣ ص ٣٧٤ .

<sup>٢</sup> - سورة الحج آية ٢٤ .

<sup>٣</sup> - القرطبي . أبو عبد الله محمد بن أحمد الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ١٦٩ .

<sup>٤</sup> - شيخ زاده . حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي ، ج ٦ ص ١٠٠ .

<sup>٥</sup> - ابن تيمية . تقي الدين أحمد : (ت ٧٢٨هـ) دقائق التفسير ، تحقيق : محمد السيد ، مؤسسة علوم القرآن دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٤م ، ج ٣ ص ٣١٦ .

<sup>٦</sup> - الألوسي . روح المعاني ، ج ١٧ ص ١٧٩ .

<sup>٧</sup> - سورة المؤمنون آية ٧٣ .

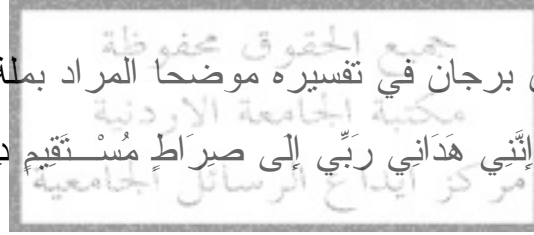
<sup>٨</sup> - البروسوي . روح البيان ج ١ ص ٤٨ .



- ثامنا : أعيان من هداهم الله إليه فقال بعضهم أنه دين إبراهيم .

ففي زاد المسير عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup> قال : (( والمعنى هداني ملة إبراهيم في حال حنيفيته ))<sup>(٢)</sup> .

قال الشوكاني : (( لما بين - سبحانه - أن الكفار تفرقوا فرقا ، وتحزبوا أحزابا ، أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يقول لهم : ﴿ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي ﴾<sup>(٣)</sup> أي أرشدني بما أوحاه إلي ﴿ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وهو ملة إبراهيم عليه السلام ))<sup>(٤)</sup> .



وقال ابن برجان في تفسيره موضحا المراد بملة إبراهيم - عليه السلام - في الآية : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾<sup>(٥)</sup> :

(( لما ذكر ملة إبراهيم وأنها صراط الله المستقيم وإنه هو الدين القيم لا شركة فيه ولا عوج بين ما هو الدين القيم بأن يقول العبد عند الشروع بالأعمال إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ويستشعر بأنه بذلك أمر وبأنه من المسلمين فهذه ملة إبراهيم - عليه السلام - التي قال فيها : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ ))

١ - سورة الأنعام آية ١٦١

٢ - أبو الفرج . زاد المسير ج ٣ ص ١٦٠ .

٣ - سورة الأنعام آية ١٦١

٤ - الشوكاني . محمد بن علي بن محمد : ت ١٢٥٠ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٤١٨ - ١٩٩٧ ، ج ٢ ص ٢٥٨ .

٥ - سورة الأنعام آية ١٦١

وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(١)</sup> ترج منه - صلوات الله وسلامه - عليه يتوب على من عصى فإنه يتوب عليه ويرحمه إنه غفور رحيم<sup>(٢)</sup> .

• **تاسعاً : قوم موسى وعيسى - عليهما الصلاة والسلام - قبل أن يغيروا**  
يقول النسفي في تفسير قوله تعالى : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾<sup>(٣)</sup> . هم قوم موسى - عليهم السلام - قبل أن يغيروا<sup>(٤)</sup> .

وقال الواحدي فيما رواه عن ابن عباس : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup>  
( ( هم قوم موسى وعيسى - عليهما السلام - قبل أن يغيروا دين الله تعالى ) )<sup>(٦)</sup> .

وأورد البغوي عن ابن عباس : (( أنهم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن يغيروا دينهم ))<sup>(٧)</sup> .  
مركز أيداع الرسائل الجامعية  
مكتبة الجامعة الأردنية

• **عاشراً : صراط الأولين في تحمل المشاق العظيمة لأجل مرضاة الله تعالى**  
قال الألوسي : (( وقيل المراد منه صراط الأولين في تحمل المشاق العظيمة لأجل مرضاة الله تعالى ))<sup>(٨)</sup> .

١ - سورة إبراهيم: من الآية ٣٦ .  
٢ - ابن برجان . تفسير ابن برجان ، صحيفة ١٥٥ / ب .  
٣ - سورة الفاتحة آية ٧ .  
٤ - النسفي . أبو البركات عبد الله بن أحمد . تفسير النسفي دار الكتب العربية بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤١٥ - ١٩٩٥ ، ج ١ ص ١٠ .  
٥ - سورة الفاتحة آية ٧ .  
٦ - الواحدي . أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري : (ت ٤٦٨ هـ) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد المسمى تفسير الواحدي ، تحقيق : عادل أحمد وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، ج ١ ص ٦٩ .  
٧ - البغوي . معالم التنزيل ج ١ ص ١٥ .  
٨ - الألوسي . روح المعاني، ج ١ ص ١٢٥ .

• الحادي عشر : ومنهم من حدد الصراط المستقيم بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه أبي بكر وعمر ، وزاد بعضهم الخلفاء الأربعة ، وأخيار أهل البيت ، وأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وبعضهم خصه بالإمام علي كرم الله وجهه .

أورد الطبري بسنده عن أبي العالية في تفسير قوله تعالى : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(١)</sup> قال : (( هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وصاحبه من بعده أبو بكر وعمر . قال : فذكرت ذلك للحسن فقال : صدق أبو العالية ونصح ))<sup>(٢)</sup> .

وقال الطبري : (( والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي ، أعني : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ، أن يكون معنيا به : وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك ، من قول وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم . لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ، فقد وفق للإسلام ، وتصديق الرسل ، والتمسك بالكتاب ، والعمل بما أمر الله به ، والإنزجار عما زجره عنه ، واتباع منهج النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وكل عبد لله صالح ، وكل ذلك من الصراط المستقيم ))<sup>(٣)</sup> .

ومن جملة ما ذكر القرطبي قوله : (( وقيل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه من بعده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ))<sup>(٤)</sup> .

<sup>١</sup> - سورة الفاتحة آية ٦

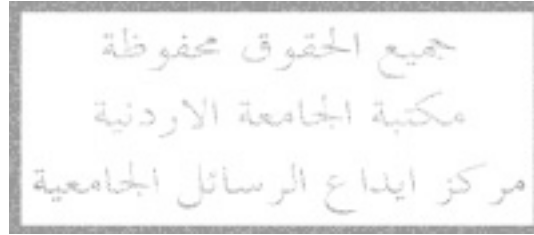
<sup>٢</sup> - الطبري . تفسير الطبري ، ج ١ ص ١٠٥ .

<sup>٣</sup> - السابق ج ١ ص ١٠٤ .

<sup>٤</sup> - القرطبي . أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٨ ص ٣٢٩ .

وأورد السيوطي - رحمه الله - في تفسيره هذا القول : وأخرج الحاكم وصححه من طريق أبي العالية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله - تعالى - : ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾<sup>(١)</sup> قال : (( هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه ))<sup>(٢)</sup> . وذكره كذلك الثعالبي في تفسيره<sup>(٣)</sup> والبغوي<sup>(٤)</sup> .

وفي مصحف التهجد قال : (( هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخيار أهل بيته وأصحابه ناسبا ذلك إلى الحسن البصري وأبي العالية الرياحي<sup>(٥)</sup> ))<sup>(٦)</sup> .



- ١ - سورة الفاتحة آية ٦ .
- ٢ - السيوطي . جلال الدين الدر المنثور ، ج ١ ص ٣٦ .
- ٣ - الثعالبي . عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ج ١ ص ٤٢ .
- ٤ - البغوي . معالم التنزيل ، ج ١ ص ١٥ .
- ٥ - أبو العالية الرياحي ؛ هو رفيع بن مهران الرياحي ، أبو العالية ، أمام مقرئ حافظ مفسر أدرك زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، أسلم في خلافة أبي بكر اختلف في موته قيل ٩٠ هـ ، ينظر البخاري أبو عبد الله محمد (ت ٢٥٦هـ) التاريخ الكبير ، تحقيق : مصطفى عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط ١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ج ٣ ص ٢٧٧ ، وينظر العسقلاني . ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) تهذيب التهذيب ، تحقيق : إبراهيم الزبيق وعادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ج ١ ص ٦١٠ ، وينظر الذهبي . شمس الدين محمد : ت ٧٤٨هـ ، تذكرة الحافظ ، وزارة المعارف الهندية ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ج ١ ص ٦١ ، وينظر ابن العماد . شهاب الدين أبو الفرج : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر والأرنؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق بيروت ط ١ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ج ١ ص ٣٦٧ .
- ٦ - الماوردي . أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، مصحف التهجد النكت والعيون تفسير الماوردي ، ج ١ ص ٥٩ .

## المبحث الثالث :

### مناقشة أقوال المفسرين وتوجيهها :

المتأمل في هذه الأقوال المتعددة التي أوردها المفسرون للصراط المستقيم ، قد يتصور أن هذا الاختلاف في العبارات والأقوال التي ذكروها من الصعب التوفيق بينها . لكن ذلك ليس من المتعذر ولا العسير على الناظر نظرة موضوعية في الآيات القرآنية التي تناولت هذا الموضوع .

ولم يغيب هذا عن البعض الذين حاولوا الجمع بين الكثير من هذه الأقوال . فالإمام السيوطي - رحمه الله - يبين أن هذا الاختلاف في التعريفات هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، وفسر ذلك بأن التعبير عن المراد بعبارة غير عبارة الآخر تدل على أن معنى المسمى غير المعنى الآخر ، مع اتحاد المسمى .  
فتفسير البعض للصراط المستقيم بالقرآن والبعض بالإسلام قولان متفقان لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن ، حيث نبه أحدهما على وصف غير الوصف الآخر .

كما أن لفظ صراط يشعر بوصف ثالث وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة ، وقول من قال هو طريق العبودية ، وقول من قال هو طاعة الله ورسوله وأمثال ذلك ، فهؤلاء كلهم أشاروا إلى ذات واحدة لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها (١) .

أما ابن كثير فبعد أن نقل عن أبي جعفر الطبري قوله : (( أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا

١ - السيوطي . جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : ت ٩١١ هـ ، الإتيان في علوم القرآن ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر الطبعة الثالثة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م ، ج٢ ص ٤٦٩ .

اعوجاج فيه ))<sup>(١)</sup> قال : (( ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط ، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد ، وهو المتابعة لله وللرسول . فروي أنه كتاب الله ، وأورد الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم وأحمد والترمذي .

قال - ابن كثير - : وقيل هو الإسلام ونسبه إلى ابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهم - .

وأورد عن مجاهد تفسيره للصراط بأنه الحق وقال : وهذا أشمل ولا منافاة بينه وبين ما تقدم ، ونسب إلى أبي العالية تفسيره للصراط المستقيم بأنه النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابه من بعده وأنه ذكر ذلك للحسن فقال صدق أبو العالية ونصح .

ويعقب ابن كثير على هذا الذي أورده من الأقوال بقوله : وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة ، فإن من اتبع النبي - صلى الله عليه وسلم - واقتدى بالذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق ، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن . وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا والله الحمد .

ثم يتبع ابن كثير ذلك برأي الإمام الطبري - رحمه الله - الذي رجح فيه من الأقوال بأنه التوفيق للثبات على ما ارتضاه الله ووفق له من أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين مع بيانه لوجه كونه جامعا لغيره ، حيث قال : " فقد وفق للإسلام .... " <sup>(٢)</sup> .

<sup>١</sup> - الطبري . تفسير الطبري ، ج ١ ص ١٠٤ .

<sup>٢</sup> - ابن كثير . القرآن العظيم ، ج ١ ص ٤٥ - ٤٦ ، وينظر الطبري جامع البيان ج ١ ص ١٠٤ .

وقد تابع القرطبي ابن جرير في الترجيح بالمراد بالصرط المستقيم بأنه صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ونسبه إلى جمهور المفسرين وعقب عليه بقوله (( وجميع ما قيل إلى هذا يرجع فلا معنى لتعديد الأقوال والله المستعان ))<sup>(١)</sup> .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن كل الذين نقلنا عباراتهم شهدنا فيها تقريرهم بشمول صراط المنعم عليهم للإسلام والقرآن .

إلا أن الإمام الرازي - رحمه الله - خالف الكل في ذلك فبعد أن أورد قول الذين فسروا الصراط المستقيم بالإسلام أو بالقرآن قال : (( وهذا لا يصح لأن قوله -تعالى- ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup> بدلاً من ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾<sup>(٣)</sup> وإذا كان كذلك كان التقدير اهدنا صراط من أنعمت عليهم من المتقدمين . ومن تقدمنا من الأمم ما كان لهم القرآن والإسلام وإذا بطل ذلك ثبت أن المراد اهدنا صراط المحققين المستحقين للجنة ))<sup>(٤)</sup> .

والظاهر أن الذي اعتمد عليه الإمام الرازي - رحمه الله - لا يسعفه في تقرير هذه النتيجة التي توصل إليها ذلك أن الآية واضحة الدلالة على خلاف ذلك ؛ فقد بينت الآية الكريمة ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ أن ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ هو طريق الذين أنعم الله عليهم بالهداية إلى الصراط المستقيم ، ثم كان قوله - تعالى -

<sup>١</sup> - القرطبي . مختصر تفسير القرطبي ج ١ ص ٢٦ .

<sup>٢</sup> - سورة الفاتحة آية ٧ .

<sup>٣</sup> - سورة الفاتحة آية ٦ .

<sup>٤</sup> - الرازي . التفسير الكبير ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٤١٧ - ١٩٩٧ ، ج ١ ص ٢١٩ .



﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾<sup>(١)</sup> .

فكان تحقيق هذه المعية التي هي من أرفع الدرجات وأعلى المنازل مترتبا على طاعة الله والرسول - صلى الله عليه وسلم - ومعلوم أن أعلى هذه الدرجات على الإطلاق هي معية النبيين وأسمائها على التحديد معية سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو إمام النبيين والمرسلين جميعا .

ولا شك أن الطريق إلى طاعة الله هو القرآن الكريم لأنه المتضمن لأمره ونهيه وهديه إلى كل سبل الخير والاستقامة .

هذه المعية هي التي حرص عليها خالص أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم وأزواجه - في الآخرة قبل الدنيا .  
ثم أنه لا سبيل لنا إلى معرفة ما تمثل به النبيون السابقون من الثبات على توحيد الله وما كان لهم من المزايا والخصائص التي أنثى الله عليهم بها ونالوا بسببها الدرجات العلى إلا من خلال ما حدثنا به القرآن الكريم وأخبرنا به النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - وحي من رب العالمين .

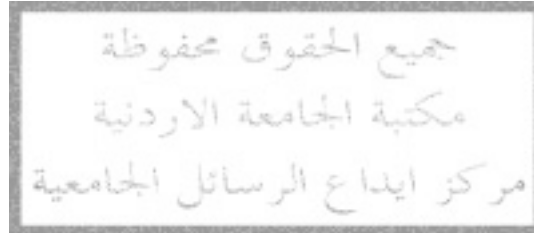
والقرآن الكريم كذلك ينبؤنا بأن الذي أوحاه الله إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وشرعه له من الدين هو ما أوحاه إلى النبيين وشرع لنا من الدين ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى - عليهم الصلاة والسلام - .

فالإسلام هو دين كل النبيين والمرسلين ، والقرآن الكريم هو الجامع لكل ثمرات الكتب السماوية المنزلة الذي تفضل الله به على أمة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وأغناها به عن النظر فيما سواه .

<sup>١</sup> - سورة النساء آية ٦٩ .

قال الألوسي بعد إيراده للقولين في تعريفه للصراط ملة الإسلام والقرآن :  
 ((وردهما الرازي - قدس سره- بأن قوله - تعالى - ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾  
 يدل على ﴿ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ وهم المتقدمون من الأمم وما كان لهم القرآن  
 والإسلام وفيه ما لا يخفى ))<sup>(١)</sup> .

وهناك لفتة أخرى في الآية فيها النص على أن صراط الذين أنعم الله  
 عليهم لا يتوصل إليه ولا يهتدي إليه أحد إلا بطاعة الله وطاعة سيدنا محمد - صلى  
 الله عليهم وسلم - .



<sup>١</sup> - الألوسي . روح المعاني ج ١ ص ١٢٥ .

## المبحث الرابع :

### نماذج من الآيات ذات العلاقة - بالصراط - ودلالاتها :

الآيات التي تناولت الحديث عن الصراط المستقيم في القرآن الكريم كثيرة جدا ، والناظر فيها نظرة إجمالية يلمس بوضوح حقيقة الوحدة الموضوعية التي تميز بها القرآن الكريم في تجلية كل ما يحيط بالموضوع الواحد أو يتعلق به بما لا يدع تساؤلا إلا ويجيب عليه ولبسا أو إشكالا إلا بينه ووضحه .

ومن خلال جمعي للآيات ذات العلاقة بالصراط المستقيم حاولت تصنيفها حسب الجوانب المتعلقة بالموضوع مقتصرًا على نماذج منها مع الكشف عما تحمله من دلالات من خلال كتب التفسير جامعة الأردنية وقد قسمتها إلى خمسة أقسام على قدر الإمكان ، إذ لا يمنع وجود التداخل في بعضها لأن كل كلمات القرآن وآياته هي من جوامع الكلم التي يصعب تصنيفها بالتحديد .

- القسم الأول : الآيات التي تقرر أن الهداية إلى الصراط المستقيم خاصة بالله سبحانه وتعالى .

فهو - سبحانه - الذي رسم حدود الصراط المستقيم وبين معالمه وتولى أمر الهداية إليه ، بواسطة الذين اصطفاهم واجتباهم من الأنبياء والمرسلين وورثتهم من العلماء العاملين .

§ قال - تعالى - : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup> .

<sup>١</sup> - سورة البقرة آية ١٤٢ .

قال صاحب المنار: (( إن الجهات كلها لله - تعالى - لا فضل لجهة منها بذاتها على جهة ، وأن الله أن يخصص منها ما يشاء ، فيجعله قبلة لمن يشاء ، وهو الذي ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، وهو صراط الاعتدال في الأفكار والأخلاق والأعمال . فعلم أن نسبة الجهات كلها إلى الله - تعالى - واحدة ، وأن العبرة من التوجه إليه سبحانه بالقلوب واتباع وحيه في توجه الوجوه ))<sup>(١)</sup> .

§ وقال تعالى : ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

يقول صاحب المنار : (( الإذن هنا التيسير والتوفيق والذين آمنوا هم أهل الإيمان الصادق في كل دين ، أوهم المؤمنون بسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - .... بهذا يكون تيسير الله له الهداية إلى الحق الذي يختلف فيه الناس ، فهو مطمئن ساكن القلب ، وهم في اضطراب وحرب ، تولوا عن هداية الله فحرموا توفيقه وكفروا بنعمة العقل والدين ، فعوقبوا عليها بفسو الشر وفساد الأمر والله لا يصلح عمل المفسدين ، ولا فساد أعظم من الاختلاف في الدين ))<sup>(٣)</sup> .

§ قال - تعالى - : ﴿ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(٤)</sup> .

أي من تعلقت مشيئة الله - تعالى - بإضلاله يضلله كما أضل هؤلاء الذين استحبوا العمى على الهدى ، فلم يستعملوا أسماعهم ولا أفواههم ولا عقولهم في آيات الله تعالى الدالة على أحقية ما جاء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وإنما

<sup>١</sup> - رضا . محمد رشيد : ت ١٩٣٥م ، تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ج ٢ ص ٤ .

<sup>٢</sup> - سورة البقرة آية ٢١٣ .

<sup>٣</sup> - رضا . محمد رشيد تفسير المنار ج ٢ ص ٢٣٤ .

<sup>٤</sup> - سورة الأنعام آية ٣٩ .

إضلاله إياهم اقتضاء سننه في عقول البشر وغرائزهم وأخلاقهم أن يعرض المستكبر عن دعوة من يراه دونه واتباع من يراه مثله وإن ظهر له الحق معه .

﴿ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup>

قال صاحب المنار: (( أي : ومن يشأ هدايته واستقامته يجعله على طريق مستقيم ، وهو طريق الحق الذي لا يضل سالكه ولا ينجو تاركه ، بأن يوفقه لاستعمال سمعه وبصره وعقله في آيات الله المنزلة وآياته المكونة ، استعمالا يعرف به الحق ويعترف به ، ويعرف به الخير ويعمل به ، بحسب سننه - سبحانه وتعالى - في الارتباط بين الأعمال البدنية ))<sup>(٢)</sup> .

§ قوله - سبحانه تعالى - : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال ابن عاشور: (( الهداية : الدلالة على المقصود النافع ، والمراد بها هنا خلق الاهتداء إلى المقصود بقريئة ، قوله ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ بعد قوله ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو ﴾ المفيد التعميم ، فإن الدعوة إلى الجنة دلالة عليها فهي هداية بالمعنى الأصلي فتعين أن ﴿ وَيَهْدِي ﴾ هنا معناه إيجاد الهداية بمعنى آخر ، وهي حصول الاهتداء بالفعل أي : خلق حصوله بأمر التكوين ))<sup>(٤)</sup> .

قال القشيري: (( دعاهم إلى دار السلام ، وفي الحقيقة دعاهم إلى ما يوجب لهم الوصول إلى دار السلام ، وهو اعتناق أوامره والانتهاة عن زواجه ، والدعاء من حيث التكليف ، وتخصيص الهداية لأهلها من حيث التشريف ، يقال :

<sup>١</sup> - سورة الأنعام آية ٣٩ .

<sup>٢</sup> - رضا . محمد رشيد : تفسير المنار ، ج ٧ ص ٣٣٢ ، وينظر ابن عاشور التحرير و التتوير ، ج ٧ ص ٢١٩ .

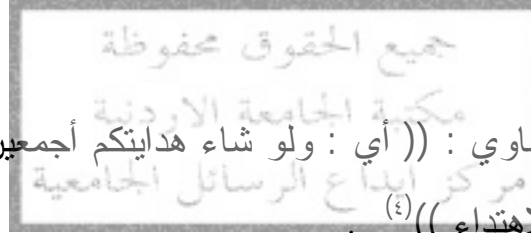
<sup>٣</sup> - سورة يونس آية ٢٥

<sup>٤</sup> - ابن عاشور التحرير و التتوير ج ١ ص ١٤٥

الدعاء تكليف والهداية تعريف . فالتكليف على العموم ، والتعريف على الخصوص (( (١) .

§ قال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢)

قال البروسوي : أي : وعلى الله جل وعلا بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه إلى جنات النعيم ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾ أي ومن هذه السبل طريق مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه إلى الله تعالى وهو طريق الضلال ؛ كاليهودية والنصرانية والمجوسية . ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي : لو شاء أن يهديكم إلى الإيمان لهداكم جميعاً ولكنه تعالى اقتضت حكمته أن يدع للإنسان حرية الاختيار (٣) .



قال البيضاوي : (( أي : ولو شاء هدايتكم أجمعين لهداكم إلى قصد السبيل ؛ هداية مستلزمة للاهداء )) (٤)

وهذه الهداية التي تتحدث عنها الآية هي من خصائص القدرة الإلهية التي لا يمتنع عن إرادتها شيء فالله جل جلاله قادر على خلق هذه الهداية في الناس جميعاً بحيث يرفع عنهم إرادة الاختيار ويسخرهم في العمل بما يأمرهم به على طريق القهر والإجبار وهذا ما اقتضت الحكمة الإلهية في التكليف خلافه ، وهو قيام التكليف

<sup>١</sup> - القشيري . أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن : ( ت ٤٦٥هـ ) ، لطائف الإشارات ، تحقيق : عبد اللطيف حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ج ٢ ص ١٢ - ١٣ .

<sup>٢</sup> - سورة النحل آية ٩

<sup>٣</sup> - البروسوي . روح البيان ج ٥ ص ١٨

<sup>٤</sup> - البيضاوي . ناصر الدين عبد الله بن عمر : ت ٦٩١هـ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق : محمد المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ج ٣ ص ٢١ .

على الحرية والاختيار كما قال - سبحانه - : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾<sup>(١)</sup> .

§ قال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال ابن عجيبة : (( «إنا هديناه السبيل» بينا له الطريق ، بإنزال الآيات ، ونصب الأدلة العقلية والسمعية . «هديناه» أي : مكناه وأقدرناه على سلوك الطريق الموصل إلى البغية ؛ في حالتي الشكر والكفر ، أي : إن شكر أو كفر فقد هديناه السبيل في الحالين ؛ فإن شكر نفع نفسه ، وإن كفر رجع وبال كفره عليه ))<sup>(٣)</sup> .

قال صاحب صفوة التفاسير : ( قال المفسرون : المراد هديناه السبيل ليكون إما شاكرا وإما كفورا ، فالله - تعالى - دل الإنسان على سبيل الشكر والكفر وعلى الإنسان أن يختار سلوك هذا أو ذلك ))<sup>(٤)</sup> .

§ قال - تعالى - : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

قال ابن عجيبة : (( «فمن يريد الله أن يهديه» أي : يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان «يشرح صدره» أي : يوسع «للإسلام» ، فيتسع له ويقبله ، ويغتنب به ويبتهج فرحا وسرورا ، والشرح : كناية عن جعل النفس قابلة للحق ، مهياة لحلوله فيها ، مصفاة عما يمنعها منه ، وإليه أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - حين سئل عنه فقال : (نور يقذفه الله في قلب المؤمن ، فينشرح له وينفسح ، قالوا : هل

١ - سورة الكهف آية ٢٩

٢ - سورة الإنسان آية ٣

٣ - ابن عجيبة . البحر المديد ، ج ٨ ص ١٩٤ .

٤ - صفوة التفاسير ج ٣ ص ٤٩١ - ٤٩٢

٥ - سورة الأنعام آية ١٢٥

لذلك إمارة يعرف بها ؟ قال : نعم الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله) <sup>(١)</sup> ، ثم ذكر ضده فقال : ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ ؛ شديد الضيق ، بحيث ينبو عن قبول الحق ، فلا يدخله الإيمان ، ولا ينشرح صدره له ، بل يفر منه ، ويتقل عليه )) <sup>(٢)</sup> .

وقصدي من نقل هذه الأقوال إنما هو الإشارة إلى الوسع الذي تحويه كلمة الصراط المستقيم ، وإنما يتفاوت العلم به بتفاوت درجة المؤمن ومقامه .

### • القسم الثاني : آيات تولت الكشف عن حقيقة الصراط المستقيم

§ قال - تعالى - : ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ﴾ <sup>(٣)</sup> .

يقول ابن عاشور - رحمه الله - : (( العطف في الآية على الآية السابقة ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ <sup>(٤)</sup> والإشارة بـ ﴿وَهَذَا﴾ إلى حاضر في الذهن وهو دين الإسلام ويجوز أن تكون الإشارة إلى حاضر في الحس وهو القرآن )) <sup>(٥)</sup> .

ويقول ابن عجيبة : (( ﴿وَهَذَا﴾ البيان الذي جاء به القرآن ، أو ما سبق من التوفيق والخذلان ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ أي : الطريق الذي ارتضاه ، إن

<sup>١</sup> - النيسابوري . محمد بن عبد الله المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٣٤٦ حديث رقم ٧٨٦٢

<sup>٢</sup> - ابن عجيبة . البحر المديد ، ج ٢ ص ٣٠٦ .

<sup>٣</sup> - سورة الأنعام آية ١٢٦

<sup>٤</sup> - سورة الأنعام آية ١٢٥

<sup>٥</sup> - ابن عاشور . التحرير والتنوير ، ج ٢ ص ٣٠٧ .



قلنا : الإشارة للبيان ، أو عاداته وطريقه الذي اقتضته حكمته ، إن قلنا : ما سبق من التوفيق والخذلان ، حال كونه ﴿ مُسْتَقِيمًا ﴾ لا عوج فيه ، أو عادلا مضطربا لا جور فيه ... فإنه طريق مستقيم يوصل إلى حضرة النعيم في الدنيا والآخرة )) (١) .

نلاحظ في هذه الآية كيف كشفت عن حقيقة الصراط المستقيم وما أعطته من وسع الدلالة ليشمل الدين كله وما رافقه من عناية إلهية وتربية ربانية .

§قال - تعالى - : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢)

قال ابن عاشور : (( والإشارة إلى الإسلام أي : وأن الإسلام صراطي ؛ فالإشارة إلى حاضر في أذهان المخاطبين من أثر تكرر نزول القرآن وسماع أقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم - ... ويجوز أن تكون الإشارة إلى جميع التشريعات والمواظب التي تقدمت في هذه السورة ، لأنها صارت كالشيء الحاضر المشاهد )) (٣) .

وقال ابن عجيبة : (( ﴿ وَأَنَّ هَذَا ﴾ أي : ما تقدم في السورة كلها ، ﴿ صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ ؛ لأن السورة بأسرها إنما هي في إثبات التوحيد ، والنبوة ، وإثبات الشريعة ، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ ؛ الأديان المختلفة والطرق التابعة للهوى ... والمراد بالطرق : اليهودية والنصرانية وغيرهما من الأديان الباطلة ، ويدخل فيه البدع والأهواء )) (٤) .

١ - ابن عجيبة . البحر المديد ج٢ ص٣٠٧ .

٢ - سورة الأنعام آية ١٣٥ .

٣ - ابن عاشور . التحرير والتتوير ج٨ ص١٧٢ .

٤ - ابن عجيبة . البحر المديد ج٢ ص٣٢٥ .

§ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

قال ابن عاشور: (( وقوله : ﴿ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي ﴾ متصل بقوله ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ (٢) الذي بينه بقوله : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُوكًا ﴾ (٣) فزاده بيانا بقوله هذا : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤) ليبين أن هذا الدين إنما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهدى من الله ، وأنه جعله دينا قيما على قواعد ملة إبراهيم - عليه السلام - ، إلا أنه زائد عليه بما تضمنه من نعمة الله عليه إذ هداه إلى ذلك الصراط الذي هو سبيل النجاة )) (٥) .

قال ابن عجيبة: (( ﴿ دِينًا ﴾ بدل من محل ، ﴿ صِرَاطٍ ﴾ ؛ لأن الأصل : هداني صراطا مستقيما دينا قيما ، و﴿ قِيَمًا ﴾ : فعل من القيام ، فهو أبلغ من مستقيم ... ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ بالوحي والإرشاد إلى ما نصب من الحجج والآيات ، ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾ ؛ مستقيما يوصل من تمسك به إلى جوار الكريم ، في حضرة النعيم وهو ﴿ مِثْلَ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ أي : دينه ، حال كونه ﴿ حَنِيفًا ﴾ : مائلا عما سوى الله ، ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ، وهو تعريض لقريش ، الذين يزعمون أنهم على دينه ، وقد أشركوا بالله عبادة الأوثان .

- وقال ابن عجيبة في باب الإشارة - : قد أخذ الصوفية من هذا الدين القيم ، الذي هدى الله إليه نبيه - عليه الصلاة والسلام - خلاصته ولبابه ، فأخذوا من عقائد التوحيد : الشهود والعيان على طريق الذوق والوجدان ؛ ولم يقنعوا بالدليل

١ - سورة الأنعام آية ١٦١ .

٢ - سورة الأنعام آية ١٥٣ .

٣ - سورة الأنعام آية ١٥٥ .

٤ - سورة الأنعام آية ١٦١ .

٥ - ابن عاشور التحرير والتنوير ج ٨ ص ١٩٨ - ١٩٩ .

والبرهان ، وأخذوا من الصلاة : صلاة القلوب ، فهم على صلاتهم دائمون مع صلاة الجوارح ، على نعت قوله - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، وأخذوا من الزكاة : زكاة نفوسهم بالرياضة والتأديب وإضافة الكل إليه . - قال صلى الله عليه وسلم - (العبد وما كسب لسيده)<sup>(٢)</sup> ، مع أداء الزكاة الشرعية لمن وجبت عليه وأخذوا من الصيام : صيام الجوارح كلها ، مع صيام القلب عن شهود السوى . وأخذوا من الحج : حج القلوب إلى حضرة علام الغيوب ((<sup>(٣)</sup> .

§ قال تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(٤)</sup> .

كشفت هذه الآية عن حقيقة الكتاب ، الذي دلت الآيات السابقة على أنه صراط الله المستقيم وخاصيته في إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، بتوفيق الله وهدايته حيث الانطلاق إلى رحاب المعية الإلهية بكل ما فيها من عزة وكرامة وحمد وثناء وشكر وولاء .

قال ابن عجيبة : (( قد اخرج - صلى الله عليه وسلم - أمته من ظلمات عديدة إلى أنوار متعددة ؛ أولها : ظلمة الكفر والشرك إلى نور الإيمان والإسلام ، ثم من ظلمة الجهل والتقليد إلى نور العلم والتحقيق ، ثم من ظلمة الذنوب والمعاصي إلى نور التوبة والاستقامة ، ثم من ظلمة الغفلة والبطالة إلى نور اليقظة والمجاهدة ، ثم من ظلمة الحظوظ والشهوات إلى نور الزهد والعفة ، ثم من ظلمة رؤيئة الأسباب ، والوقوف مع العوائد ، إلى نور شهود المسبب ، وخرق العوائد ، ثم من

<sup>١</sup> - سورة المؤمنون آية ٢ .

<sup>٢</sup> - المقدسي . أبو محمد . عبد الله بن احمد بن قدامة : ت ٦٢٠ ، المغني ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ ج ٦ ص ٢٦ .

<sup>٣</sup> - ابن عجيبة . البحر المديد ج ٢ ص ٣٣١ .

<sup>٤</sup> - سورة إبراهيم آية ١ .

ظلمة الوقوف مع الكرامات وحلاوة الطاعات إلى نور شهود المعبود ، ثم من ظلمة الوقوف مع حس الأكوان الظاهرة إلى شهود أسرار المعاني الباطنة ، فيغيب عن الأكوان بشهود المكون ((<sup>(١)</sup>).

§ قال تعالى : ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ففي هذه الآية كشف عن جانب من جوانب الصراط المستقيم وهو الإخلاص الذي هو روح العبادات والمعاملات وكل ما شرع الله لعباده ، وهو المدار الذي تبنى عليه صحة الأعمال أو فسادها .

قال ابن عجيبة : (( الإِشَارَةُ إِلَى نَجَاةِ الْمُخْلِصِينَ ، أَوْ إِلَى الْعِبَادَةِ وَالْإِخْلَاصِ ، أَي : هَذَا الطَّرِيقُ الَّذِي سَلَكَ أَهْلَ الْإِخْلَاصِ فِي عِبُودِيَّتِهِمْ هُوَ طَرِيقُ وَارِدِ عَلَيٍّ وَمَوْصِلٍ إِلَى جِوَارِي ، لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى أَهْلِهِ ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَقِيمٌ لَا عَوْجَ فِيهِ ))<sup>(٣)</sup>.

§ قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

كشفت هذه الآية عن وجه آخر من وجوه الصراط المستقيم وبينته في الواقع بكل ما دعا إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس جميعاً ، على وجه العموم أو الخصوص .

قال ابن عجيبة : (( هو طريق الوصول إلى شهود الذات الأقدس ، من طريق التربية ، التي هي مخالفة الهوى والخروج من العوائد .

<sup>١</sup> - ابن عجيبة . البحر المديد ج٣ ص٣٥٤ .

<sup>٢</sup> - سورة الحجر آية ٤١-٤٢ .

<sup>٣</sup> - ابن عجيبة . البحر المديد ج٣ ص٣٩٨ .

<sup>٤</sup> - سورة المؤمنین آية ٧٣-٧٤ .

ونقل عن القشيري قوله في تعريف الصراط المستقيم هو : شهود الرب بنعت الانفراد في جميع الأشياء ، والاستسلام لقضايا الإلزام ، بمواطأة القلب من غير استكراه الحكم <sup>(١)</sup> ، ثم بين سبحانه أن حبيبه - عليه الصلاة والسلام - يدعوهم إلى تلك المشاهدة بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي : مما أوضحه أنوار جماله ومشاهدته ، وهي طريق معرفته في قلوب الصديقين للأرواح القدسية ، وتلك الطريقة منتهاها المحبة ، وبدائها الأسوة والمتابعة ؛ لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ <sup>(٢)</sup> (( <sup>(٣)</sup> .

وفي هذه الأقوال أيضا إشارة الى مدى ما يحمله لفظ الصراط والهداية إليه من معان عند العلماء والأولياء والعارفين بالله ورسوله ، بمقدار ما أفاض عليهم من أنوار هدايته وعلمه . مكتبة الجامعة الاردنية .  
 § قال - تعالى - : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

هذه الآية دلت كذلك على الملازمة ما بين دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الصراط المستقيم وبين التحقق بكل ما دعا إليه فالصراط المستقيم هو واقع النبي - صلى الله عليه وسلم - وسيرته ، القولية والعملية . والذي أوحى إليه هو القرآن الكريم والحكمة والاستمسك به هو العمل بمقتضاه .  
 قال القشيري : (( اجتهد من غير تقصير وتوكل على الله من غير فتور ، وقف حيثما أمرت ، وثق بأنك على صراط مستقيم )) <sup>(٥)</sup> .

<sup>١</sup> - القشيري . أبو القاسم عبد الكريم ، لطائف الإشارات ج ٢ ص ٣٤٧ .

<sup>٢</sup> - سورة آل عمران آية ٣١ .

<sup>٣</sup> - ابن عجيبة . البحر المديد ج ٥ ص ٣٠ .

<sup>٤</sup> - سورة الزخرف آية ٤٣ .

<sup>٥</sup> - القشيري . أبو القاسم عبد الكريم ، لطائف الإشارات ج ٣ ص ١٧٧ .

• القسم الثالث : آيات كشفت عن أهل الاستحقاق لهذه الهداية تنبيهاً على أنها قائمة على طريق واضح قويم وليست نتيجة للصدفة .

§ قال - تعالى - : ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup> .

كشفت هذه الآية عن أسباب الاختلاف في منحج الحق والصدق الذي هو سبيل الاستقامة الموصل إلى رضوان الله وخير الدنيا والدين ، وهو الحسد والبغي ، وبين أن الذين خصهم بالهداية إليه بفضلهم وتوفيقيهم وشرح له صدورهم هم المؤمنون برسوله المذعنون لأمره وحكمه .

أما المعرضون والمكذبون فقد حرموا من هذه الهداية ، فسلط عليهم الشياطين تمدهم بالغي والضلال ، وتخرجهم من النور إلى الظلمات .

§ قال - تعالى - : ﴿ وَحِجَّتُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَنْقَبُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

دلت هذه الآية بوضوح أن أهل الأهلية للصراط المستقيم هم أهل التقوى والطاعة القائمون بعبادة الله مع الذل والانكسار إليه .

§ قال تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنْتَلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(٣)</sup> .

والآيات هنا هي القرآن الكريم ومواعظه ﴿ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ حقيقة في العهد الأول - عهد الصحابة - أو كناية عن سننه وسيرته ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ ﴾ أي : يلتجئ إليه هرباً من كل ما سواه فإن الله قد ضمن له الهداية فضلاً منه وكرماً فإنه

<sup>١</sup> - سورة البقرة آية ٢١٣ .

<sup>٢</sup> - سورة آل عمران آية ٥٠-٥١ .

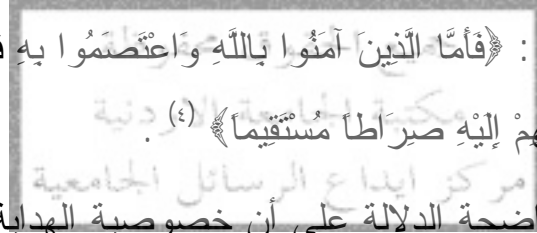
<sup>٣</sup> - سورة آل عمران آية ١٠١ .

جل جلاله لا يرد من استجار به ولا يخيب أمل من قصده بخلاف من أعرض عن الله وأقبل على الدنيا وأهلها لا يريد غيرها ولا يبتغي سواها .

وحقيقة الاعتصام كما قال القشيري : (( صدق اللجوء إليه ، ودوام الفرار إليه ، واستصحاب الاستغاثة إليه )) (١) .

قال ابن عجيبة : (( ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ وهو إنكار و تعجب من كفرهم ، بعد اجتماع الأسباب الداعية إلى الإيمان... ثم حض على التقوى الكاملة والدوام على الإسلام ، تنفيراً من الاستماع لمن يخرج عنها ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ (٢) )) (٣) .

§ قال - تعالى - : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ



فالأية واضحة الدلالة على أن خصوصية الهداية إلى الصراط المستقيم يبلغ بها درجة الصالحين ومنازل المقربين لمن توفر فيه شرط الإيمان بالله والاعتصام به قال صاحب المنار - رحمه الله - : (( ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ أي : ويهديهم - تعالى - هداية خاصة موصلة إليه ، ﴿ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ أي : طريقاً قويمًا قريباً يبلغون به الغاية من العمل بالقرآن ، أما في الدنيا فبالسيادة والعزة والكمال ، وأما في الآخرة فبالجنة والرضوان ، فهذا الصراط المستقيم ، لا يهتدى إليه إلا بالاعتصام بالقرآن الكريم )) (٥) .

١ - القشيري . أبو القاسم عبد الكريم ، لطائف الإشارات ج ١ ص ١٦٤ .

٢ - سورة ال عمران آية ١٠٢ .

٣ - ابن عجيبة . البحر المديد ج ١ ص ٣٥٢ .

٤ - سورة النساء آية ١٧٥ .

٥ - رضا . محمد رشيد ، تفسير المنار ج ٦ ص ٨٣ .

§ قال - تعالى - : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ .

فبينت هذه الآية أن الهداية التي خص الله بها أحبائه إنما جاءت نتيجة لاتباعهم سبل مرضاته بالإيمان به ورسوله وبما أنزل عليه من كلامه و العمل بما فيه . فلم تأت الهداية التي خص الله بها المهتدين إلا ثمرة من ثمار ما قدموا من شروط الأهلية لذلك .

قال تعالى بعد ذكر مجموعة من النبيين :

§ ﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ وَدُرِيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ .

قال صاحب المنار : (( واجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد ، وذلك للأنبياء ، وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء .... ذلك الهدى إلى صراط مستقيم ، وهو ما كان عليه أولئك الأخيار مما ذكر من الدين القويم ، والفضل العظيم ، هو هدى الله الخاص ، الذي هو وراء جميع أنواع الهدى العام ، كهدى الحواس والعقل والوجدان ، لأنه عبارة عن الإيصال بالفعل إلى الحق والخير على الوجه الذي يؤدي إلى السعادة ، وقد تقدم شرح ذلك في تفسير سورة الفاتحة .

<sup>١</sup> - سورة المائدة آية ١٥-١٦ .

<sup>٢</sup> - سورة الأنعام آية ٨٧-٨٨ .



وقوله - تعالى - : ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يقع على درجتين : هداية ليس لصاحبها سعي لها ولا هي مما ينال بكسبه ، وهي النبوة المشار إليها بقوله تعالى : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾<sup>(١)</sup> وهداية قد تنال بالكسب والاستعداد ، مع اللطف الإلهي والتوفيق لنيل المراد .

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي : ولو فرض أن أشرك بالله أولئك المهديون المجتبون ، ﴿لَحَبِطَ﴾ أي : بطل وسقط عنهم ثواب ما كانوا يعملون ، بزوال أفضل آثار أعمالهم في أنفسهم ، الذي هو الأساس لما رفع من درجاتهم ، لأن توحيد الله - تعالى - لما كان منتهى الكمال المركزي للأنفس ، كان ضده وهو الشرك منتهى النقص والفساد المندس لها ، والمفسد لفطرتها ، فلا يبقى معه تأثير نافع لعمل آخر فيها ، يمكن أن يترتب عليه نجاتها وفلاحها ((<sup>(٢)</sup>).

ومن هذه الآيات أيضاً

§ قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وكذلك قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup> .

علم من هاتين الآيتين أن الإيمان بالله والشكر لنعمه وطاعة العبد لربه وعبادته من أعظم المؤهلات لاصطفائه بهذه الهداية الخاصة .

ويؤكد هذا أيضاً قوله - تعالى - : ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>

<sup>١</sup> - سورة الضحى آية ٧ .

<sup>٢</sup> - رضا . محمد رشيد ، تفسير المنار ج٧ ص٤٨٨ .

<sup>٣</sup> - سورة النحل آية ١٢٠-١٢١ .

<sup>٤</sup> - سورة مريم آية ٣٦ .

قال ابن عاشور : (( فقد جمع لهم الوصفان ... لقصد مدحهم بوصف الإيمان والإيماء إلى أن إيمانهم هو سبب هديهم ))<sup>(٢)</sup> .

• القسم الرابع : آيات تحدثت عن أسباب الحرمان من هذه الهداية :

§ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ ﴿٣﴾ .

فالآية توضح أن سبب عدم هدايتهم إلى الصراط المستقيم عدم إيمانهم بالآخرة.

قال ابن عاشور - رحمه الله - : (( التعريف في ﴿ الصِّرَاطِ ﴾ للجنس ، أي : هم ناكبون عن الصراط من حيث هو ، حيث لم يتطلبوا طريق نجاة فهم ناكبون عن الطريق فضلاً عن الطريق المستقيم ... والناكب : العادل عن شيء المعرض عنه ))<sup>(٤)</sup> .

§ قال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴾  
﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

قال ابن عاشور : (( الواو عطف على جملة ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> وموقع هاتين الآيتين من التي قبلهما أنه لما ذكر الله - تعالى -  
إلجاءهم إلى الاعتراف بالشرك بعد إنكاره يوم القيامة كان ذلك مثيراً لأن يهجس في

١ - سورة الحج آية ٥٤ .

٢ - ابن عاشور التحرير و التتوير ج ١٧ ص ٣٠٧ .

٣ - المؤمنون ٧٣-٧٤ .

٤ - ابن عاشور التحرير و التتوير ج ١٨ ص ٩٩ .

٥ - سورة ياسين آية ٦٦-٦٧ .

٦ - سورة ياسين آية ٤٨ .

نفوس المؤمنين أن يتمنوا لو سلك الله بهم في الدنيا مثل هذا الإلجاء ، فألجأهم إلى الإقرار بوحدانيته وإلى تصديق رسوله واتباع دينه... ولما كانت ﴿ لو ﴾ تقتضي امتناعا لامتناع فهي تقتضي معنى : لكانا لم نشأ ذلك فتركناهم على شأنهم استدراجا وتمييزا بين الخبيث والطيب .

فهذا كلام موجه إلى المسلمين ومراد منه تبصرة المؤمنين وإرشادهم إلى الصبر على ما يلاقونه من المشركين حتى يأتي نصر الله ((<sup>(١)</sup>)).

§ قال - تعالى - : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال ابن عاشور: (( وهذا مثل ضرب به الله لبيان حال الذين ضلوا عن سبيل الهداية لبيان أن ضلالهم ناتج عن انعدام نظرهم في الأمور وتبصرهم للحقائق التي صموا عنها آذانهم وأغلقوا عيونهم بخلاف المؤمنين الذين نظروا إلي الأمور نظرة المتبصر ، وحكموا عقولهم وقلوبهم فبان لهم الحق من الباطل فدانوا بالحق وأذعنوا له ))<sup>(٣)</sup> .

§ وأيضاً قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ففيها إشارة إلى أسباب كثيرة ظاهرة وخفية وراء عدم هدايتهم وإقبالهم على طريق الاستقامة .

<sup>١</sup> - ابن عاشور . التحرير و التنوير ج ٢٣ ص ٥١ .

<sup>٢</sup> - سورة الملك آية ٢٢ .

<sup>٣</sup> - انظر ابن عاشور . التحرير و التنوير ج ٢٩ ص ٤٥ . بتصرف .

<sup>٤</sup> - سورة القلم آية ٧ .

§ وقال - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .

فقد دلت الآية على أن من أسباب الحرمان من الهداية هو عدم الرغبة عما جاء به الرسل ، والاستخفاف به والسخرية منه ، وهذا دليل على عدم الرغبة فيه واختيار ما هو عليه من الكفر والضلال .

§ ومن ذلك أيضاً قوله - تعالى - : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال صاحب المنار : (( أي : أن ترك الآيات الموجودة والإعراض عنها

لإعانت النبي - صلى الله عليه وسلم - بسؤال غيرها لتكون بدلاً منها هو من اختيار

الكفر على الإيمان واستحباب العمى على الهدى ))<sup>(٣)</sup> .  
مركز أيداع الرسائل الجامعية

<sup>١</sup> - سورة البقرة آية ١٣٠ .

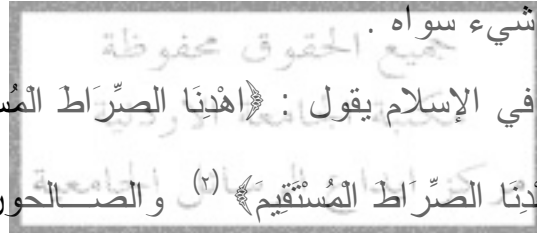
<sup>٢</sup> - سورة البقرة آية ١٠٨ .

<sup>٣</sup> - رضا . محمد رشيد ، تفسير المنار ج ١ ص ٣٣٨ .

## المبحث الخامس :

### حقيقة الصراط المستقيم في ضوء الآيات القرآنية

المتأمل في الآيات القرآنية يجد أن كلمة الصراط المستقيم التي هي في أصل استعمالها اللغوي قاصرة على معنى حسي جامد ، قد أصبحت بعد أن تكلم الله بها من جوامع الكلم ، قد وسعت كل شيء أحبه الله لعباده ، وندبهم إليه ، بما لا يحيط به فلك التعبير ، وإذا كانت نقطة البداية فيها متمثلة في الإيمان بالله والتخلي عن صور الشرك والضلال ، فإنه لا نهاية لما تشمله من النعم والمواهب المفاضلة من لدن الحق جل جلاله على عبادة الذين أذعنوا لأمره ، واستسلموا لحكمه ، وآثروا



ما عنده على كل شيء سواه . فالداخل في الإسلام يقول : «أهدنا الصراط المستقيم»<sup>(١)</sup> وراسخ القدم فيه

يقول كذلك : «أهدنا الصراط المستقيم»<sup>(٢)</sup> والصالحون والشهداء والصديقون

والنبيون كل منهم يقول : «أهدنا الصراط المستقيم» والنبي - صلى الله عليه وسلم - على جلال قدره وإتمام نعمة الله عليه ، وإكمال الدين له ، أمره بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم ، فعلم من هذا أن كل واحد يطلب أن يهتدي إلى ما غاب عنه ، ولم يصل إليه من درجات الإيمان والإحسان والإيقان ، و يبلغه من مقامات القرب من الله والمعرفة معرفة تزيد إيمانا ويقينا وقربا ، يتفياً في ظلالها بمزيد من فضل الله وكرمه ، وإسباغ نعمه الظاهرة منها والباطنة ، التي لا تنتهى لأن كمالات الله لا تنتهى من أجل ذلك يأمر الله نبيه بالاستزادة من العلم والهداية ،

<sup>١</sup> - سورة الفاتحة آية ٦ .

<sup>٢</sup> - السورة السابقة .

لما هو أقرب رشدا كما قال - سبحانه - : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup> وقال - سبحانه - : ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾<sup>(٢)</sup> .

من خلال ذلك ندرك سر الإعجاز الذي يتضمنه اللفظ القرآني ، فالكلمة العربية حيث يتكلم الله بها ينفخ فيها روحا منه ، يحملها من معاني عزته ، وأسرار قدرته وبديع حكمته ما لا يعلمه إلا هو .

من أجل ذلك كان التفسير الموضوعي بابا من أهم الأبواب ، التي يستطيع المتدبر لآيات الكتاب الكريم أن يقف على كثير من أسرار الإعجاز اللفظي ، البياني في القرآن الكريم ، وهو باب من أبواب تفسير القرآن الكريم ، لا زال بكرا أمام الباحثين والدارسين .

جميع الحقوق محفوظة

من أجل ذلك كان تفسير القرآن الكريم وبيانه خاصاً بالله - سبحانه وتعالى - حيث نص على ذلك في قوله جل في علاه : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ \* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾<sup>(٣)</sup> .

هذا البيان قد تجلى واضح المعالم في القرآن الكريم ، حيث يجد الناظر في آياته واستعماله لكلماته في المواضع المتعددة أشبه بمعجم ، تكفل ببيان ما تحمله هذه الألفاظ من المعاني الجديدة التي لم تكن معهودة في لغة العرب .

ففي كل موضع ترد فيه اللفظة القرآنية في القرآن الكريم ، يجد الناظر من المعاني التي يعطيها السياق ما يزيدها توضيحا ، أو يكشف عن جوانب خفية فيها . وأكبر مثال على ذلك ما نحن بصدده من بيان معنى الصراط المستقيم في ضوء الآيات القرآنية .

<sup>١</sup> - سورة طه آية ١١٤ .

<sup>٢</sup> - سورة الكهف آية ٢٤ .

<sup>٣</sup> - سورة القيامة آية ١٧-١٩ .

فقد استعرضنا قسماً من عبارات المفسرين في بيان المراد من الصراط المستقيم ، ومع كثرتها وتعددتها إلا أنها تظل قاصرة عن بلوغ المدى الذي نجده واضحاً في آيات القرآن الكريم .

ولم يأت هذا التعدد في العبارات التي أوردتها المفسرون من فراغ ، فكل ذلك متضمن في آيات القرآن الكريم التي تناولت الحديث عن هذا الموضوع .

فالذين قالوا : **هو الإسلام والدين القيم** ، متضمن في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup> ولم يغفل القرآن الكريم بيان حقيقة هذا الدين الحنيف الذي كان عليه إبراهيم ، في أوجز آية وأجمعها للدلالة على حقيقة إسلام إبراهيم ، - عليه السلام - وهي قوله - تعالى - بعد هذه الآية : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

فإخلاص الصلاة لله من كل شائبة تشوبها من حظوظ النفس ، ونزغات الشياطين ، صلاة يستغرق فيها العبد في بحار القرب من الله ويغيب فيها عن كل ما سواه وكذلك في مناسكه وهي : مواطن التعبد ، والتذكر ، والدعاء ، ومواطن تنزل الرحمة الإلهية ، وأن تكون حياة العبد كلها بدقائقها وثوانيتها لله ، أمر ليس بالسهل على أحد أن يبلغه إلا من جاهد في الله حق الجهاد ، وصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولم تعد عينه عنهم يريد زينة الحياة الدنيا ، وكذلك مماته لا يكون في سبيل أحد أو مصلحة ، بل يكون سهلاً عليه تقديم نفسه وما

<sup>١</sup> - سورة الأنعام آية ١٦١ .

<sup>٢</sup> - سورة الأنعام آية ١٦٣-١٦٤ .

يملك الله ، في كل موطن أمره الله به ، وندبه إليه ، ذبا عن حرمانه ودفاعاً عن مقدساته واعلاء لدينه .

وهذا لا يتأتى إلا ممن أتم الله عليه نعمته ، وعصمه في الحركات والسكنات ، بل وفي خطرات القلوب والإرادات ، وهو سبيل من تولاهم الله حق الولاية وأمدهم بروح منه ، كانت يدا لهم من الله وسمعا ، وبصرا ، وعصمة ، وحفظا لما أحسنوا طاعته ، وازدادوا في التقرب إليه في كل ما يحب من النوافل ، كما ورد في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة قال - سبحانه - : ﴿من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه...﴾<sup>(١)</sup>

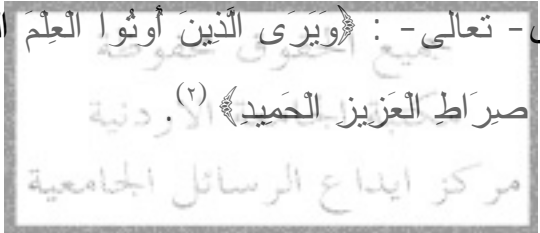
وإذا كان سيدنا إبراهيم - عليه أفضل الصلاة والسلام - قد بلغ مكانا رفيعا في الإسلام ، فإن الله جل جلاله قد زاد سيدنا محمدا - صلى الله عليه وسلم - من فضله رفعة ، وخصوصية في ذلك ، جعلته في الدرجة والمقام أول المسلمين على الإطلاق .

وهو أيضا المفهوم من قوله - تعالى - : ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> والذي أوحى إليه يشمل كل ما أوحاه الله إليه من القرآن والسنة والحكمة .

١- البخاري . محمد بن إسماعيل الجعفي : ت ٢٥٦ ، صحيح الصحيح ، تحقيق : د. مصطفى البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧-١٩٨٧ ، ج ٥ ص ٢٣٨٤ .  
٢- سورة الزخرف آية ٤٣ .



ولذلك لم يكن بدعا من القول قول من ذهب إلى أن الصراط المستقيم هو القرآن الكريم ، بل هو سر حقيقته بما يحمله من روح إلهية عليّة ، هي أعظم روح أيد الله بها عبدا من عباده وأتم نور به نال عبد أرفع الهداية ، وأخرجه به من كل أنواع الظلمات والجهالة كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>

فبهذه الروح التي أيده الله بها ، وأوحاها إليه ، جعله هاديا إلى الصراط المستقيم حيث صار مظهره الأتم ، ومثله الأعلى في كل ما يصدر عنه ، ويتمثله من القول والعمل قال - تعالى - : ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(٢)</sup> .  


وأما الذين قالوا أن الصراط المستقيم هو تقوى الله وعبادته ، فقد تضمن هذا قول الله تعالى على لسان عيسى - عليه أفضل الصلاة والسلام - مخاطبا قومه ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ﴾<sup>(٣)</sup> . وقوله سبحانه وتعالى في سورة الزخرف : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup> . وقوله تعالى في سورة يس : ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup> . وغيرها من المواطن الكثيرة .

١ - سورة الشورى آية ٥٢ .

٢ - سورة سبأ آية ٦ .

٣ - سورة آل عمران آية ٥٠ .

٤ - سورة الزخرف آية ٦٤ .

٥ - سورة يس آية ٦١ .

أما من ذهب إلى أن الصراط المستقيم هو هداية الله : فلأن بلوغه لا يتأتى إلا بهذه الهداية ، التي هي من اختصاص الله وحده ، وهي هداية التوفيق التي نفاها عما سواه حتى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(١)</sup> .

وهذا واضح في كثير من آيات القرآن الكريم فقوله تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> .

فقوله - تعالى - : ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نص صريح في أن الهداية إلى الصراط المستقيم اختصاص الله سبحانه ، والتي جعلها خاصة للمؤمنين بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وبكل ما نزل على الأنبياء السابقين - عليهم صلوات الله وسلامه - وخصت بهم ، لأنهم الذين أقبلوا يطلبونها ويريدونها فكان حقا على الله أن يسددهم ويرشدهم ويخصهم بعونه وتوفيجه وهذا مصداق قوله - تعالى - : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَقَضَىٰ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾<sup>(٣)</sup> . بخلاف الذين أعرضوا عن وسيلة الهداية وباب الرحمة المستغنين عما أنزل الله على نبيه بما يزعمون أن ما عندهم هو الأتم والأكمل ولا حاجة لهم فيما جاء به من عند الله .

<sup>١</sup> - سورة القصص آية ٥٦ .

<sup>٢</sup> - سورة البقرة آية ٢١٣ .

<sup>٣</sup> - سورة النساء آية ١٧٥ .

نبهت الآية سابقة الذكر إلى أن الصراط المستقيم هو الطريق الموصل إلى الله - سبحانه وتعالى - ، حيث كانت هداية الله للعباد غايتها التوجه إليه حيث كمال المعرفة به ، التي يستغنون بها عن كل ما سواه ، سواء في الطاعة ، والعبادة ، أو الاستعانة في كل ما يعجزون عن بلوغه وتحقيقه فيما ينشدون من السلامة من الدنيا والآخرة ، والهداية إلى مصدر الخير والرحمة و الفضل والنعمة .

أما من ذهب إلى انه طريق الإتياع : فهذا أيضا واضح في كثير من آيات القرآن الكريم ، ذلك أن الذي يجهل الطريق التي توصله إلى مطلوبه ليس أمامه إلا أن يتبع من يعرفها ويهديه إليها ، ولا يمكن لأحد أن يصل إلى طريق الاستقامة بغير إتياع الذين هداهم الله وهذا واضح في كثير من الآيات الواردة في هذا المقام فقول الله - تعالى - على لسان إبراهيم لأبيه : ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾<sup>(١)</sup> . نص صريح على أن بلوغ طريق الاستقامة لا تتأتى إلا من عالم بالله ، هداه إلى الصراط المستقيم ، وإذا كانت هذه شهادة من الله بأنه - سبحانه - قد جعل سيدنا إبراهيم من الهادين إلى الصراط السوي ، فإن الله قد شهد لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - بالهداية إليه بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> .

وأمرهم بإتياعه وطاعته في كل ما يدعوهم إليه في قوله - سبحانه - : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> . وقوله - تعالى - : ﴿وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا

١ - سورة مريم آية ٤٣ .  
٢ - سورة المؤمنون آية ٧٣ .  
٣ - سورة الشورى آية ٥٢ .

وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١﴾ . وقوله -تعالى- شهادة أخرى : ﴿إِنَّكَ لَمِنَ  
الْمُرْسَلِينَ ﴿٢﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

وما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - باتِّباع ملة إبراهيم التي أوحاها الله  
إليه ، وعرفه بها إلا تأكيد على وجوب إتباع أهل الكمال ، في الهداية والمعرفة بالله  
من كل من هم أقل منهم علماً وهداية .

أما الذين ذهبوا إلى أنه طريق الجنة : فلأن الجنة هي دار الجزاء على  
الأعمال الصالحة ، فكان سلوك الطريق المستقيم موصلاً إلى الجنة قطعاً ، التي هي  
محل رحمته وفضله . وتتضمن الآيات الكثيرة الإشارة إلى ذلك  
كقوله -تعالى- : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ  
مِنهُ وَقَضَىٰ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٣) . فاشتملت هذه الآية على بشارتين  
الدخول في الجنة ، والهداية إليها ، وهي أعظم ما في الجنة كما في قوله - سبحانه  
- : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ  
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٤) .

وكذلك قول الله سبحانه في سورة المائدة : ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ  
سُبُلَ السَّلَامِ﴾ (٥) . والجنة كما سماها الله هي دار السلام ، فسبل السلام هي الموصلة

- 
- ١ - سورة الزخرف آية ٦١ .
  - ٢ - سورة يس آية ٣ - ٤ .
  - ٣ - سورة النساء آية ١٧٥ .
  - ٤ - سورة يونس آية ٢٦ .
  - ٥ - سورة المائدة آية ١٦ .

إلى دار السلام ، كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> .

وهذا أيضا هو ثمرة الاستقامة على طاعة الله كما قال - تعالى - : ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ النَّوَابِ﴾<sup>(٢)</sup> .

أما الذين ذهبوا إلى أن الصراط المستقيم هو : أعيان من هداهم الله إليه .

فهذا أيضا ظاهر فيما أوردنا من الآيات السابقة وهو صريح في قول الله - تعالى - : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٣)</sup> وحيث كانوا هم المهديين إليه ، ولا يتأتى لأحد أن يعرفه حق المعرفة بدون هديهم وإرشادهم وتزكيتهم وإمدادهم ، صح أن يعرف الصراط المستقيم بهم .

كما قال الله - سبحانه - : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾<sup>(٤)</sup> .

فتعريف الله للصراط المستقيم وما أعطاه هذا التعريف من شمول وسعة ، كادت أن تشمل القرآن الكريم كله ، حيث عرفه تمام المعرفة وبينه أكمل البيان من وجهين متقابلين .

<sup>١</sup> - سورة يونس آية ٢٥ .

<sup>٢</sup> - سورة آل عمران آية ١٩٥ .

<sup>٣</sup> - سورة الفاتحة آية ٧ .

<sup>٤</sup> - سورة الأنعام آية ٩٠ .

**الوجه الأول :** كشف عن حقيقته وصورته المثلى في كل ما ارتضاه من الصفات الحميدة ، ومكارم الأخلاق الرفيعة ، وحقيقة العبادات الخالصة لله ، وحسن المعاملة ، إلى غير ذلك من كل ما تمثله الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون مما أثنى به الله عليهم ، وحثنا على الإقتداء بهم ، وهذا ما يحتاج في معرفته والوقوف عليه إلى تتبع أحوال هؤلاء المنعم عليهم في القرآن الكريم ، للوقوف على كل هذه الشرائع التي نالوها بجدهم واجتهادهم وتوفيق الله وتسديده ، ولا شك أن هذا بحاجة إلى جهد كبير قد تضمنه القرآن الكريم .

**أما الوجه الآخر :** فهو تعريف الشيء بضده ونقيضه الذي تمثل في صفات الكافرين والمنافقين من المغضوب عليهم والضالين ، وكل ما تمثلوه في عنادهم، ومكرهم، وإفسادهم، وصددهم عن سبيل الله، ومعاداتهم للمؤمنين ، وهو ما يتضمن قسما كبيرا من القرآن الكريم ، من خلال ذلك نشهد حقيقة الوسع الذي أعطاه القرآن الكريم للفظ الصراط المستقيم .

والله ولي التوفيق .

## الفصل الثاني :

### مرتكزات الصراط المستقيم

#### تمهيد :

المراد بالمرتكزات : الأمور التي يكون بها الالتزام بالصراط المستقيم مستقرا لا خلل فيه ولا انقطاع ، وهي بمثابة الأعمدة أو الأركان التي يقوم عليها البناء ، ولا يتصور إقامة البناء بدونها .

فالإيمان أصل هذه المرتكزات ، التي تنبني عليها الاستقامة ، وبدون الإيمان لا يتصور وجود الاستقامة أصلا ، لأن الاستقامة إذا كانت تعني الالتزام الكامل بكل ما طلب الله من العباد أن يتمثلوه ، فإنما تكون الاستقامة استجابة لأمر الله ورغبة فيما أعده لعباده من الفضل ، ووعدهم به من حسن المثوبة والأجر .

وبانتفاء الإيمان لا يتصور وجود الاستقامة أصلا ، وكذلك الإسلام الذي يمثل الانقياد والطاعة لأمر الله - عز وجل - ، فإن عدم الانقياد والعصيان لا يتصور معهما استقامة ، ولا يمكن التوصل إلى الغاية المنشودة من السير على الصراط المستقيم . وكذلك الإحسان الذي يتضمن إحسان القول والعمل .

فكل من لم يحرص على ذلك لا يكون مقبولا ولا مرضيا عند الله ، ويكون بمعزل عن سلوك الصراط المستقيم ، والانضواء في معية أهل الاستقامة في الدنيا والآخرة . وكذلك الأمر بالنسبة للتقوى فإنها اللباس الذي أراد الله لأهل الاستقامة أن يرتدوه في كافة أحوالهم وشؤونهم ، بحيث لا يغيب عن بالهم نظر الحق إليهم في أقوالهم وأفعالهم .

الأمر الذي يترتب عليه الصدق والإخلاص ، لأن مراقبة الله في السر والعلن ، والخشية منه من ركائز الاستقامة التي توجب على المرء اتقاء كل ما لا يرضي الله ولا يحب أن يراه من عبده ، وأقول وبالله التوفيق .

## الركيزة الأولى : الإسلام

### معنى الإسلام في اللغة :

ذكر معجم ألفاظ القرآن الكريم معنى الإسلام في اللغة فقال : (( الإسلام في اللغة : يعني الخضوع و الاستسلام ، وهو سلم له أي : خالص الملكية له ))<sup>(١)</sup>.

فكل من أسلم زمام نفسه لأمر من الأمور أو لأحد سوى الله - تعالى - فليس بمسلم لله . وإنما هو مسلم لمن أسلم له ، فمن أسلم زمام نفسه لهواه واتبع كل ما تهواه فهو مؤلة لهواه . وهذا أشد أنواع الضلال عن الله قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عَشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> أي : لا أحد أضل منه ، وكذلك من انقاد لقرينه ، و وساوس الشيطان ؛ فإنه قد اتخذ منه ربا وإلها وكان عبدا له من دون الله - عز وجل - ، وهو في هذه الحالة يكون قد استحوذ عليه ، فأنساه ذكر الله بالكلية حتى صار من حزبه كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> . فلم يقيموا وزنا لله فيما به أمر وعنه قد نهى وزجر .

١ - معجم ألفاظ القرآن الكريم ج ١ ص ٦٠٨

٢ - سورة الجاثية آية ٢٣

٣ - سورة المجادلة آية ١٩



وما أكثر هؤلاء في كل عصر وزمان ، وما كان أحد يتصور أن يجاهر هؤلاء ويفتخروا بأنهم عبدة الشياطين ، وأنه هو معلمهم الأكبر ومرشدهم في كل ما زين لهم من السوء والمنكر كما آل إليه الأمر في هذا الزمان .

وكل من انقاد لغرض أو جماعة لم تأتمر بأمر الله ، ولم تحتكم لشرع الله وتدين بدينه الذي ارتضاه للعباد وكانت منه الاستجابة التامة ، والانقياد بالكلية لكل ما تأمر به ، وتنهى عنه ، خصوصا فيما يخالف أمر الله ، فهو في معزل عن الإسلام لله ؛ لأن الله ورسوله ، أوجبا عدم طاعة أي مخلوق في معصية الله كما قال - صلى الله عليه وسلم - : (( لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق )) (١) .

وكذلك كل من أسلم قلبه وجوارحه لأي شيء من الدنيا بحيث صار همه الأكبر وغايته الوحيدة في الحياة ، وتوجه بكل إمكاناته نحو ذلك الشيء حتى شغله عن ذكر الله ومنعه من القيام بأمر الله فلم يقيم وزنا لشرع الله ، ولم يلق بالالما هو حلال أو حرام ، فليس هذا عبدا لله ، وإنما هو عبد ومسلم لما ملأ قلبه من شؤون الدنيا ، وفي هذا يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (( تعس عبد الدينار وعبد الدرهم )) (٢) .

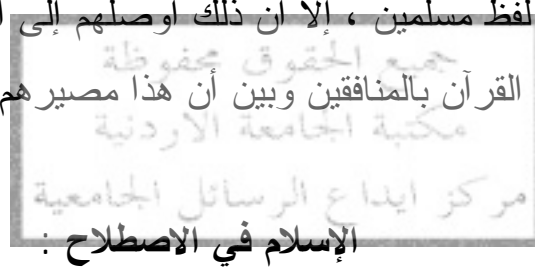
وكذلك كل من أحب شيئا ملأ قلبه وسمعته وبصره واستحوذ على فكره من أي مظهر من المظاهر الكونية فهو مسلم له غير مسلم لله .  
من هنا نعلم أن المسلم الحق ؛ هو الذي انقاد لله تعالى انقيادا كاملا دون أن يساوي في هذا الانقياد بينه وبين أحد من الخلق أجمع ، لأنه بذلك يكون قد أشرك مع الله بقدر ما خرج عن انقياده لله وساوى مع الله سواه .

١ - الطبراني. سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم : (٢٦٠-٣٦٠) ، المعجم الكبير، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ - ١٩٨٣ ، ج ١٨ ص ١٧٠ ، حديث رقم ٣٨١ .  
٢ - البخاري . صحيح الصحيح ، ج ٣ ص ١٠٥٧ ، حديث رقم ٢٧٣٠ .

ولعل هذا هو الذي أخبر عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - بتردد الناس في آخر الزمان بين الكفر والإيمان حيث قال - صلى الله عليه وسلم - : (( يصبح الرجل مؤمنا و يمسي كافرا و يمسي مؤمنا و يصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا ))<sup>(١)</sup> .

من هنا نرى أهمية الإسلام في ثوابت الاستقامة ، ونقف مع آيات الكتاب العزيز التي تعطينا صورة واضحة عن المسلم الحق لله .

والمسلم الحق : هو المنقاد لأمر الله صدقا لا كذبا ، فإن الذين يظهرون الانقياد لله ؛ بالأقوال ، والأفعال ، جلبا للمنافع الدنيوية ودرءا للأخطار عن أنفسهم ، وإن أطلق عليهم لفظ مسلمين ، إلا أن ذلك أوصلهم إلى أسفل الدركات في نار جهنم . قد سماهم القرآن بالمنافقين وبين أن هذا مصيرهم والجزاء الذي يستحقون .



تتوعد عبارات المفسرين في الكشف عن معنى الإسلام في الآيات القرآنية

، وفيما يأتي بعض أقوالهم :

قال القونوي : (( خالصا لا يشوبه شرك ، فلا يكون عبدا مع الله غيره ، أو معلقا رجائه بغيره ، وقال لا يشرك به شيئا شركا جليا أو خفيا ، فإن الإسلام مع الإشراك كلا إسلام ، ولذا لم يُحمل الإسلام على معنى الإيمان ، بل حمل على معنى الإخلاص ، من سلم الشيء لفلان إذا خلص له ))<sup>(٢)</sup> .

١ - الأصبهاني . أبو نعيم احمد بن عبد الله بن احمد : ت ٤٣٠ ، المسند المستخرج على صحيح مسلم ، تحقيق : محمد الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦ ، ج ١ ص ١٨٨ ، الهمذاني . أبو نعيم شجاع شيروية بن شهردار : الفردوس بمأثور الخطاب ، تحقيق : السعيد زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٨٦ ج ٢ ص ٣١٨ .

٢ - القونوي . عصام الدين اسماعيل : ت ١١٩٥ ، حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ، ت ٦٨٥ تحقيق : عبد الله محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ،

قال البقاعي: (( أي أسلم كليته ، لأن الوجه أشرف ما ظهر من الإنسان ، فمن أسلمه أسلم كله ، كما أن (الإيمان) إذعان القلب الذي هو أشرف ما بطن وإذعان جميع الأعضاء ))<sup>(١)</sup>.

يقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup> : ((إسلام الوجه لله أي : انقاد لما قضى الله تعالى وقدر، أو أخلص له نفسه أو قصده فلم يشرك به تعالى غيره ، أولم يقصد سواه ))<sup>(٣)</sup>.

وقال صاحب روح البيان: (( هو إخلاص نفسه لله تعالى لا يشرك به شيئاً ، فإن إسلام شيء لشيء ؛ جعله سالماً له بأن لا يكون لأحد حق فيه ، لا من حيث التخلق والمالكية ، ولا من حيث استحقاق العبادة والتعظيم ، عبر عنها بالوجه لكونه أشرف الأعضاء ... أو كناية عن إخلاص الذات ، لأن من جاد بوجهه لا يبخل بشيء من جوارحه ))<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن عاشور: (( هو تسليم الذات لأوامر الله تعالى ، أي شدة الامتثال ، لأن أسلم بمعنى ألقى السلاح وترك المقاومة ))<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن عاشور : (( وإسلام الوجه كناية عن تمام الطاعة ، والاعتراف بالعبودية ، وهو أحسن الكنايات ، لأن الوجه أشرف الأعضاء ، وفيه ما كان للإنسان إنساناً ))<sup>(١)</sup>.

١٤٢٢- ٢٠٠١ ، ومعه حاشية ابن التمجيد الرومي . مصطفى ابن إبراهيم : ت ٨٨٠ ج ٤ ص ١٤٥ .

١ - البقاعي نظم الدرر ج ١ ص ٢٢٢- ٢٢٣

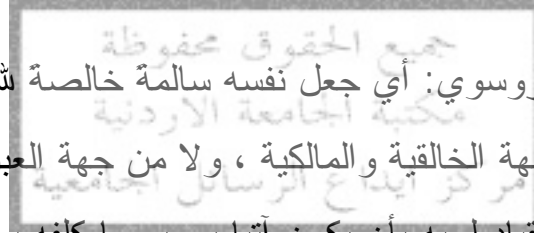
٢ - سورة البقرة آية ١١٢ .

٣ - الألوسي روح المعاني ج ١ ص ٤٩٠ .

٤ - البروسوي روح البيان ج ١ ص ٢٦١

٥ - ابن عاشور التحرير والتنوير ج ١ ص ٦٧٤- ٦٧٥

قال الألوسي - رحمه الله - : (( « أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ »<sup>(٢)</sup> ) أي : أخلص نفسه له تعالى لا يعرف لها ربا سواه ، وقيل : أخلص توجهه له سبحانه ، وقيل : بذل وجهه له - عز وجل - في السجود ... وفيه تنبيه على أن صرف العبد نفسه بكليتها لله تعالى أعلى المراتب التي تبلغها القوة البشرية ... « وَهُوَ مُحْسِنٌ »<sup>(٣)</sup> أي : آت بالحسنات تارك للسيئات ، أو آت بالأعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي ... وقيل : الأظهر أن يقال : المراد وهو محسن في عقيدته ، وهو مراد من قال : أي وهو موحد ، وعلى هذا فالأولى أن يفسر إسلام الوجه لله تعالى بالانقياد إليه سبحانه بالأعمال ))<sup>(٤)</sup>.



وقال البروسوي: أي جعل نفسه سالمة خالصة لله تعالى بأن لم يجعل لأحد حقا فيها لا من جهة الخالقية والمالكية ، ولا من جهة العبودية والتعظيم ، « وَهُوَ مُحْسِنٌ » في الانقياد لربه بأن يكون آتيا بجميع ما كلفه به على وجه الإجلال والخشوع<sup>(٥)</sup>.

والملاحظ من عبارات المفسرين : أن إسلام الوجه لله يعني ؛ إسلام نفسه وكليته لله - سبحانه - ، بحيث لا ينازعه فيه شيء سوى الله من الهوى ، وكل ما يتعلق به أهل الدنيا و ينقادون له ، من كل ما زُينَ لهم وصار عندهم محبوبا ولهم مطلوبا ، وهذا الإسلام الذي هو بمعنى الانقياد التام والخشوع الكامل لله - سبحانه وتعالى - ، تعظيما ، ومحبة ، وسمعا ، وطاعة ، شامل لكل ما جاء به الدين ، ونص عليه القرآن الكريم ، من صفات لعباده الذين أسلموا كل شيء لله .

١ - ابن عاشور. التحرير و التنوير ج ٥ ص ٢١٠ .

٤ - سورة البقرة آية ١١٢ .

٥ - سورة البقرة آية ١١٢ .

٤ - الألوسي . روح المعاني ج ٥ ص ٢٠٠-٢٠١ .

٥ - البروسوي . روح البيان ج ١ ص ٢٦١ بتصرف .

ويحسن أن ننقل ها هنا عبارة ابن عاشور بتمامها والتي تكشف عن هذا المعنى الذي ذكرناه .

قال - رحمه الله - : (( وإسلام النفس لله معناه : إسلامها لأجله وصيرورتها ملكا له ، بحيث يكون جميع أعمال النفس في مرضاة الله ، وتحت هذا معان جملة هي جماع الإسلام : نحصرها في عشرة :

**المعنى الأول :** تمام العبودية لله تعالى ، وذلك بأن لا يعبد غير الله ، وهذا يبطل للشرك ؛ لأن المشرك بالله غير الله ، فلم يسلم نفسه لله بل أسلم بعضها .

**المعنى الثاني :** إخلاصُ العمل لله - تعالى - فلا يلحظ في عمله غير الله - تعالى - ، فلا يرائي ، ولا يصانع ، فيما لا يرضي الله ولا يقدم مرضاة غير الله - تعالى - على مرضاة الله .

**المعنى الثالث :** إخلاص القول لله تعالى فلا يقول ما لا يرضى به الله ، ولا يصدر عنه قول إلا فيما أذن الله فيه أن يقال ، وفي هذا المعنى تجيء الصراحة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، على حسب المقدرة والعلم ، والتصدي للحجة لتأييد مراد الله تعالى ، وهي صفة امتاز بها الإسلام ، ويندفع بهذا المعنى النفاق ، والملق ، قال تعالى في ذكر رسوله : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .

**المعنى الرابع :** أن يكون ساعيا لتعرف مراد الله - تعالى - من الناس ، ليجري أعماله على وفقه ، وذلك بالإصغاء إلى دعوة الرسل المخبرين بأنهم مرسلون من الله ، وتلقيها بالتأمل في وجود صدقها ، والتمييز بينها وبين الدعاوي الباطلة ، بدون تحفز للتكذيب ، ولا مكابرة في تلقي الدعوة ، ولا إعراض عنها بداعي الهوى وهو الإفحام ، بحيث يكون علمه بمراد الله من الخلق هو ضالته المنشودة .

١ - سورة ص آية ٨٦ .

**المعنى الخامس :** امتثال ما أمر الله به ، واجتتاب ما نهى عنه ، على لسان الرسل الصادقين ، والمحافظة على اتباع ذلك بدون تغيير ولا تحريف ، وأن يذود عن من يريد تغييره .

**المعنى السادس :** ألا يجعل لنفسه حكماً مع الله فيما حكم به ، فلا يتصدى للتحكم في قبول بعض ما أمر الله به ونبذ البعض . نحو قول الله - سبحانه تعالى - : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿١﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿١﴾ وقد وصف الله المسلمين بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾ ﴿٢﴾ فقد أعرض الكفار عن الإيمان بالبعث ،

لأنهم لم يشاهدوا ميتاً بعث .  
جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الاردنية

**المعنى السابع :** أن يكون متطلباً لمراد الله مما أشكل عليه فيه ، واحتاج إلى حرية فيه على مراد الله ، بتطلبه من إلحاقه بنظائره التامة التنظير بما علم أنه مراد الله ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ ﴿٣﴾ ولهذا أدخل علماء الإسلام حكم التفقه في الدين والاجتهاد ، تحت التقوى المأمور بها في قوله - تعالى - : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ﴿٤﴾ .

**المعنى الثامن :** الإعراض عن الهوى المذموم في الدين ، وعن القول فيه بغير سلطان ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾ ﴿٥﴾ .

١ - سورة النور آية ٤٨-٤٩

٢ - سورة الأحزاب آية ٣٦

٣ - سورة النساء آية ٨٣

٤ - سورة التغابن آية ١٦

٥ - سورة القصص آية ٥٠

**المعنى التاسع :** أن تكون معاملة أفراد الأمة بعضها بعضا ، وجماعتها ، ومعاملتها الأمم كذلك ، جارية على مراد الله - تعالى - من تلك المعاملات .

**المعنى العاشر :** التصديق بما غيب عنا ، مما أنبأنا الله به : من صفاته ومن القضاء والقدر ، وأن الله هو المتصرف المطلق ((١).

وهذا الإسلام على هذا المعنى الشمولي ، هو حقيقة الدين الذي ارتضاه الله لعباده المسلمين ، فلا دين سواه يقبله الله من أحد ، فإسلام النفس للهوى ، أو للمصلحة ، أو للزوجة ، أو للولد ، أو للعالم بأسرها ويكل ما فيها من مظاهر الولاء والانقياد لغير الله ، هو مظهر من مظاهر الخروج عن إسلام الوجه لله ، ولذلك كان الانقياد التام للأوامر الإلهية مع الرضا والتسليم هو ما عليه جميع الأنبياء والمرسلين ، متبرئين من كل شرك جلي أو خفي ، فلا يلتفتون لشيء سوى امتثال الأمر مهما كانت التضحيات ، ومهما كلفهم ذلك من صنوف التحديات والتوجهات ، دون مساومة أو تنازل ، وكان عنوان هذا الدين الذي اتبعوه هو الإسلام .

كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٢) وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣) فإبراهيم - عليه السلام - كان حنيفا أي : مائلا عن كل ملة ودين - منحرف - وعرف وعادة ، متوجها بكلية إلى الله ، ممتثلا لأمره - سبحانه - مستسلما لقدره وقضائه .

فقد أسلم إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - نفسه حيث لم يعارض إلقاءه في النار ، ولا طلب العون من سيدنا جبريل - عليه الصلاة والسلام - حين عرض

١ - ابن عاشور التحرير و التتوير ج ٣ ص ٢٠٣-٢٠٤

٢ - سورة آل عمران آية ١٩

٣ - سورة آل عمران آية ٨٥

عليه ، بل أظهر استسلامه لقدرة الله وهو يجاهد الأعداء ويكسر أصنامهم ، التي عبدوها من دون الله (١) .

كما استسلم لأمر الله في ذبح ولده إسماعيل - عليهما أفضل الصلاة والتسليم - وهو في سن أشد ما تكون الحاجة فيه إلى الولد .  
واستسلم لأمر الله في ترك وطنه ، وكل الواقع الذي ألفه فيه واعتاد عليه .  
وكذلك جميع الأنبياء والمرسلين .

وهذا الإسلام هو الذي سار عليه جميع الأنبياء والرسل وتمثلوه قولاً وعملاً وعقيدة راسخة تزول الجبال عن أماكنها ولا يزول من قلوبهم .

قال الألوسي في تفسير قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيّاً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٢) : (( أي : لا دين مرضي عند الله سوى الإسلام . وهو على ما أخرج ابن جرير عن قتادة : ( شهادة أن لا إله إلا الله تعالى والإقرار بما جاء من عند الله تعالى ، وهو دين الله تعالى الذي شرع لنفسه ، وبعث به رسله ، ودل عليه أولياؤه ، لا يقبل غيره ، ولا يجزي إلا به ) (٣) .  
وروى علي بن إبراهيم عن أمير المؤمنين - كرم الله تعالى وجهه - أنه قال :  
في خطبة له لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي ، الإسلام هو التسليم ، والتسليم هو اليقين ، واليقين هو التصديق ، والتصديق هو الإقرار ، والإقرار هو الأداء ، والأداء هو العمل ، ثم قال : إن المؤمن أخذ دينه عن ربه ولم يأخذه عن رأيه ، إن المؤمن من يعرف إيمانه في عمله ، وإن الكافر يعرف كفره بإنكاره ، أيها الناس :

١ - الطبري . تفسير الطبري ، ج ٩ ص ٤٤ ، حديث رقم ٢٤٦٦٣ بتصرف ، ابن عجيبة .  
البحر المديد ، ج ٤ ص ٣٥٩ بتصرف .

٢ - سورة آل عمران آية ١٩ .

٣ - الطبري . تفسير الطبري ج ١٣ ص ٢١٢ .



دينكم دينكم فإن السيئة فيه خير من الحسنة في غيره ؛ إن السيئة فيه تغفر ، وإن الحسنة في غيره لا تقبل )) (١).

قال البروسوي: (( الإسلام الذي هو التوحيد والتشريع بالشريعة الشريفة ، وهو : الدين الحق منذ بعث الله آدم -عليه السلام - ، وما سواه من الأديان فكها باطلة .. وحقيقة دين الإسلام التوحيد ، وصورته الشرائع التي هي الشروط ، وهذا الدين من ذلك الزمان إلى يوم القيامة واحد بحسب الحقيقة ، وسواء بين الكل ومختلف بحسب الصورة والشروط )) (٢).

وقال ابن عاشور: (( والإسلام : علم بالغلبة على مجموع الدين الذي جاء به سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - كما أطلق على ذلك الإيمان أيضاً ، ولذلك لقب أتباع هذا الدين بالمسلمين وبالمؤمنين ، وهو الإطلاق المراد هنا ، وهو تسمية بمصدر أسلم إذا أذعن ولم يعاند إذعانا عن اعتراف بحق لا عن عجز ، وهذا اللقب أولى بالإطلاق على هذا الدين من لقب الإيمان ؛ لأن الإسلام هو المظهر البين لمتابعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما جاء به من الحق ، وإطراح كل حائل يحول دون ذلك ، بخلاف الإيمان فإنه اعتقاد قلبي ... ، ولأن الإسلام لا يكون إلا عن اعتقاد لأن الفعل أثر الإدراك ، بخلاف العكس فقد يكون الاعتقاد مع المكابرة )) (٣).

١ - الألوسي . روح المعاني ج ٣ ص ١٤١ .  
٢ - البروسوي . روح البيان ج ٢ ص ١٧ - ١٨ .  
٣ - ابن عاشور . التحرير و التتوير ج ٣ ص ١٨٩ .

## متطلبات إسلام الوجه لله

تبين لنا مما سبق أن متطلبات هذا الإسلام كثيرة جدا تشمل كل ما أمر الله به وندب عباده إليه ، وحثهم على التمسك به ، ورغبهم فيه ، ومن أهم هذه المتطلبات ما يأتي :

أولا : الاحتكام إلى الله - جل جلاله - في كل أمور العبد والإذعان التام مع التسليم والرضا هو أهم متطلبات هذا الإسلام .

قال الألوسي مفسرا قوله - تعالى - ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا <sup>(١)</sup> ﴾ (( أي : ينفقوا لأمرك ويذعنوا له بظاهرهم وباطنهم ، كما يشعر به التأكيد...، وقد روي عن جعفر الصادق - رضي الله عنه - أنه قال : لو أن قوما عبدوا الله تعالى وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا رمضان وحجوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا صنع خلاف ما صنع ، أو وجدوا في أنفسهم حرجاً لكانوا مشركين ثم تلا هذه الآية ))<sup>(٢)</sup>.

ثانياً : الإخلاص في الأعمال بحيث لا يشوبها أي شائبة من الشرك أو الرياء ؛ فإن جلب أي مصلحة للنفس من خلال القيام بالأعمال التي يكلف بها المرء شرعاً، تشعر بعدم الإسلام الكامل لله ، وقصور في المعرفة بعظمة الله ، وأن ما عند الله خير وأبقى مما يريد أن يلفت أنظار الغير إليه ؛ ليزكوه أو يثنوا عليه ، أو ينال حظوة أو تقديراً عندهم ليشيدوا بصلاحه وتقواه ، فإن ذلك كله محبط لعمله ويتنافى مع إسلام الذات لله .

١- سورة النساء آية ٦٥ .

٢- الألوسي روح المعاني ج ٥ ص ٩٤ .

قال الألوسي: في تفسير قوله - سبحانه و تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> (( أي : مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لسواه أصلا .

ثم قال : وذكر بعض المحققين أن الإسلام في مثل هذا الموضع لا يراد به الأعمال ، بل الإيمان القلبي ، لأن الأعمال حال الموت مما لا تكاد تتأتى ولذا ورد في دعاء صلاة الجنازة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : (( أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا صلى على جنازة قال : اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنتانا اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان )) <sup>(٢)</sup> فأخذ الإسلام أولا والإيمان ثانيا لما

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الاردنية  
مركز ايداع الرسائل الجامعية

أقول : إن الأمر الموجه إلى المؤمنين بتقوى الله حق التقوى ؛ هي المرتبة الأعلى بالتقوى المستلزمة عدم انشغال السر بغير ذكر الله ، وعدم تعلقه بشيء سواه ، والتحرر من كل طلب من مطالب الدنيا والآخرة ، إلا ما كان فيه إذنه ورضاه ، دليل على أن هذا الإسلام المطلوب بعد ذلك هو أعلى درجات الإسلام على الإطلاق ، وأن متطلباته شاقة على النفس ، عسيرة على من تحكم فيه الطبع والعادة والهوى ؛ من أجل ذلك نهى الله كل عباده عن اتباع هذه الأشياء ، لأنها تؤدي قطعا إلى الابتعاد بالمرء عن سبيل الاستقامة التي جعل الله طلبها أسمى

١- سورة آل عمران آية ١٠٢ .

٢ - الحاكم النيسابوري . محمد بن عبد الله : ت ٤٠٥ ، المستدرک علی الصحیحین ، ج ١ ص ٥١١ حديث رقم ١٣٢٦ .

٣ - الألوسي . ج ٣ ص ٣١٩-٣٢٠ .

مطالب العباد ، كما في قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup> .

وإذا كان بعض المفسرين قد حمله على الإسلام الذي جاء به ، وأنه أول المذعنين له مع ما خص به النبي - صلى الله عليه وسلم - من كمال منه إلا أنه جوز أن يكون ما أشرنا إليه هو المراد في الآية .

قال ابن عاشور عند تفسير هذه الآية : (( إنه أول من يتصف بالإسلام الذي بعثه الله به ، فهو الإسلام الخاص الذي جاء به القرآن ، وهو زائد على ما آمن به الرسل من قبل بما فيه من وضوح البيان والسماحة ، ... ويجوز أن يكون الأول كناية عن الأقوى والأمكن في الإسلام ؛ لأن الأول في كل عمل هو الأحرص عليه والأعلق به ، فالأولوية تستلزم الحرص والقوة في العمل ))<sup>(٢)</sup>.

ثالثا : ومن متطلبات هذا الإسلام أيضا إحصان القول والعمل ، والتعامل بالأدب اللائق مع الله ورسله والمؤمنين والخلق أجمعين ؛ لأنهم عيال الله . وسئل النبي - صلى الله عليه وسلم - أي الإسلام خير؟ قال صلى الله عليه وسلم : ((تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ))<sup>(٣)</sup> ، يستفاد هذا من اتباع الإحصان لإسلام الوجه لله في قوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾<sup>(٤)</sup> ، من أجل ذلك كان التمثل بأحسن القول والعمل والحال و الأدب ، هو المرغَّب فيه في كثير من آيات القرآن الكريم .

١ - سورة ص آية ٢٦ .

٢ - ابن عاشور . التحرير و التتوير ج ٧ ص ١٥٩ .

٣ - البخاري . الصحيح ج ١ ص ١٣ حديث رقم ١٢ .

٤ - سورة النساء آية ١٢٥ .

والأحسن في كل شيء ؛ هو من متطلبات هذا الإسلام ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١)  
 وقال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢) . وجديرٌ بالذكر أن العمل الصالح هو الذي يصلح أن يقدم لله فيقبله الله ويرضى به عن عبده ، وقال - تعالى - : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (٣) .

رابعاً : إن هذه المرتبة العليا في الإسلام ، تستلزم أن يكون المرء بنفسه وبكل ما يملك رهن الإشارة لبذله في سبيل الله ، ولا يكون عبداً لنفسه ولا لغيره في لحظة من لحظات حياته ؛ من بداية تكليفه إلى مماته . بل قواماً بأمر الله لا يلتفت إلى شيء من زينة الحياة ، ويصبر نفسه مع الذين لا يريدون إلا وجهه الله ، وهذا من الأمر الخاص الذي وجه به الخطاب إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو وإن كان يشمل أمته لأن خطاب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - خطاب للأمة ، إلا أن خصوصيته بالخطاب يظهر فيها خصوصيته بكمال الاستجابة التي لا تكون بنفس الدرجة ممن سواه ، قال الله - سبحانه و تعالى - مخاطباً نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - : ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له وَيَذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٤) .

١ - سورة الزمر آية ١٨ .

٢ - سورة فصلت آية ٣٣ .

٣ - سورة النساء آية ١٢٥ .

٤ - سورة الأنعام آية ١٦٢-١٦٣ .

ولا شك أن أحدا من الخلق أجمعين لم يبلغ مرتبة الإسلام التي بلغها النبي - صلى الله عليه وسلم - لاختصاصه بكمال العبودية التي بلغ فيها الدرجة الأولى دون منازع كما قال - سبحانه - : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ (١) .

وقال الله - سبحانه وتعالى - أما نبيه بما يصعب على سواه ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢) فأبي أحد يستطيع أن يحبس نفسه طيلة حياته مع فئة قليلة فقيرة ذليلة النفس منكسرة القلب لله - سبحانه وتعالى - دون أن يلتفت لشيء من زينة الدنيا زائد على ما أعطاه الله ورضيه له ، كما أن أحدا لا يستطيع أن يجعل حياته كلها لله بكل دقائقها وثوانها، مائلا فيها عن حظ نفسه ومتاع الحياة ، ولا يقوم في شيء إلا لما أقامه الله .

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الاردنية  
مركز ايداع الرسائل الجامعية

هذا ما لزم التنبيه إليه وما سبق أن نقلناه عن ابن عاشور - رحمه الله - يعتبر من هذه الشروط اللازمة لهذا النوع من الإسلام .

١ - سورة الزخرف آية ٨١ .

٢ - سورة الكهف آية ٢٨ .

## المبحث الثاني

### الإيمان الحق بالله ولوازمه

#### تمهيد :

حديثنا عن الإيمان : الذي هو أهم ثوابت الاستقامة ، إنما نتوجه فيه إلى الإيمان الحق ، الذي يخلو من الدعوى التي لا يشهد الواقع بصدقها بل يكذبها ، وقد نبه القرآن على حال أقوام جهروا بهذه الدعوى فأظهر الله زيف دعواهم لأنها لم تترسخ حقيقة في قلوبهم ، ولم تشرق أنوار اليقين في صدورهم ، وذلك في قوله - سبحانه وتعالى - ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأَيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) . وسأتحدث في هذا المبحث عن تعريف الإيمان في اللغة والاصطلاح ، وأحاول ما أمكنني الجهد أن أكشف عن حقيقته في ضوء الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، ثم أحاول أن استخلص لوازم هذا الإيمان وشروطه المترتبة على كل من تحقق به بفضل الله وكرمه .

#### تعريف الإيمان في اللغة :

قال ابن منظور: (( الإيمان : بمعنى التصديق ، ضده التكذيب . يقال : آمنَ به قوم وكذب به قوم . ونقل عن اللحياني: أن معنى الإيمان الثقة ، يقال : رجلٌ أمانة ، بالفتح : للذي يُصدق بكل ما يسمع ولا يُكذب بشيء . ورجلٌ أمانة أيضا : إذا كان يطمئن إلى كل واحد ويثق بكل أحد . - وذكر ابن منظور رحمه الله - أن

الإيمان يأتي بمعنى الإجارة ، واستشهد بقراءة من قرء في سورة براءة ﴿ إِنَّهُمْ لَا  
أَيْمَانَ لَهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> بكسر الألف .

- قال ابن منظور - : وحد الزجاج الإيمان فقال : الإيمان إظهار  
الخشوع والقبول للشريعة ، ولما أتى به النبي - صلى الله عليه وسلم - واعتقاده  
وتصديقه بالقلب . فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شك  
، وهو الذي يرى إن أداء الفرائض واجب عليه ، لا يدخله في ذلك ريب ، وفي  
التنزيل العزيز ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾<sup>(٢)</sup> أي : بمصدق والإيمان التصديق .  
وفي التهذيب : وأما الإيمان فهو مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن . واتفق أهل  
العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق قال تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ  
أَمَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾<sup>(٣)</sup> قال : وهذا موضع يحتاج الناس إلى تفهيمه  
وأين ينفصل المؤمن من المسلم وأين يستويان . والإسلام : إظهار الخشوع  
والقبول لما أتى به النبي - صلى الله عليه وسلم - وبه يحقن الدم . فإن كان مع ذلك  
الإظهار ؛ اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان الذي يقال للموصوف به هو مؤمن  
مسلم ؛ وهو المؤمن بالله ورسوله غير مرتاب ولا شك . وهو الذي يرى أن أداء  
الفرائض واجب عليه ، وأن الجهاد بماله ونفسه واجب عليه ، لا يدخله في ذلك  
ريب فهو : المؤمن وهو المسلم حقا نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ  
الصَّادِقُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> . أي : أولئك الذين قالوا إنا مؤمنون فهم الصادقون ، فأما من أظهر  
قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق فذلك

<sup>١</sup> - سورة التوبة آية ١٢

<sup>٢</sup> - سورة يوسف آية ١٧

<sup>٣</sup> - سورة الحجرات آية ١٤

<sup>٤</sup> - سورة الحجرات آية ١٥ .



الذي يقول أسلمت لأن الإيمان لا بد أن يكون صاحبه صديقا . قال ثعلب : المؤمن بالقلب والمسلم باللسان . قال الزجاج : صفة المؤمن بالله ؛ أن يكون راجيا ثوابه خاشيا عقابه ((<sup>(١)</sup>).

ولابن عجيبة - رحمه الله - في تحرير المعنى اللغوي والشرعي كلام جميل حيث يقول : (( الإيمان : هو التصديق بالقلب مع الإذعان به ، الإسلام : هو الدخول في السلم ، والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين بإظهار الشهادتين ؛ وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> . فهو يدل على أن مجرد النطق بالشهادتين ليس بإيمان ، فتحصل أن ما يكون من الإقرار باللسان من غير موطأة للقلب فهو إسلام ، وما واطأ به القلب باللسان فهو إيمان ، وهذا من حيث اللغة ، وأما في الشرع فهما متلازمان ، فلا إسلام إلا بعد إيمان ، ولا إيمان إلا بعد النطق بالشهادة إلا لعذر<sup>(٣)</sup> ))

### الإيمان في الاصطلاح :

قال أبو السعود - رحمه الله - : (( هو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة أنه من دين نبينا - عليه الصلاة والسلام - ، كالتوحيد ، والنبوة ، والبعث ، والجزاء ، ونظائرها ، وهل هو كاف في ذلك ، أو لا بد من انضمام الإقرار إليه للتمكن منه ؟ والأول : رأي الشيخ الأشعري ومن شايعه ، فإن الإقرار عنده منشأ لإجراء الأحكام ، و الثاني : مذهب أبي حنيفة ومن تابعه وهو الحق .... قال - رحمه الله - : وهو مجموع ثلاثة أمور : اعتقاد الحق ، والإقرار به ،

١ - ابن منظور. لسان العرب ج ١ ص ١٠٧-١٠٨ .

٢ - سورة الحجرات آية ١٤ .

٣ - ابن عجيبة . البحر المديد ج ٧ ص ١٧٦-١٧٧ .

والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج ، فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ، ومن أخل بالإقرار فهو كافر ، ومن أخل بالعمل فهو فاسق))<sup>(١)</sup> .

وقال البروسوي: (( الإيمان في الشريعة هو الاعتقاد بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان ، والإسلام ؛ الخضوع و الانقياد ، فكل إيمان إسلام ، وليس كل إسلام إيماناً ؛ إذا لم يكن معه تصديق ))<sup>(٢)</sup> .

وقال صاحب المنار: (( الإيمان : هو التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس وقبولها واستسلامها ، وآيته العمل بما يقتضيه الإيمان عند عدم الصارف الذي يختلف باختلاف درجات المؤمنين في اليقين ))<sup>(٣)</sup> .

وقريب منه تعريف الشيخ المراغي - رحمه الله - للإيمان حيث قال : ((الإيمان : تصديق جازم يقترن بإذعان النفس واستسلامها ، وأمارته العمل بما يقتضيه الإيمان ، وهو يختلف باختلاف مراتب المؤمنين في اليقين ))<sup>(٤)</sup> .

### حقيقة الإيمان :

حقيقة الشيء جوهره الذي تتبثق عنه أحواله ، وصفاته ، وأقواله ، وأفعاله ، فكما أن حقيقة الإنسان هي روحه القائمة بجسده ، فهي أصل كل ما يصدر عنه وما يتمثله ، وبفقدتها لا يتصور أي حركة أو فعل أو قول أو صفة للإنسان ، وهذا الجوهر إذا كان مستتيراً فإن كل آثار الهداية والعلم والتقوى تظهر على الجسد مع الأخلاق الفاضلة ، والآداب الرفيعة .

١ - أبو السعود . إرشاد العقل السليم ، ج١ ص٤٤ .

٢ - البروسوي . روح البيان ج ١ ص ٥٨ .

٣ - رضا . محمد رشيد ، تفسير المنار ج ١ ص ١٠٩ .

٤ - المراغي . أحمد مصطفى : تفسير المراغي ، تحقيق : باسل السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، ج ١ ص ٤٣ .

وإن غلبت على روحه الظلمة ، وتلبسها الشيطان بلبوس المس والأز ، فإن كل ما يصدر عنها من أعمال وأحوال وصفات غالبا ما تحمل وصف الشيطانية ؛ لأنها قد فسدت بإفساد الشيطان لها ، حين تلبسها .

وهذا أقصى ما يوصل الشيطان إليه الإنسان إذا تولاه واتبع خطواته ، وقد جعله الله مضرب المثل في التخبط في أودية الضلال والمهالك ، نحو قوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (١) .

ولعل هذا الذي قدمناه هو ما أشار إليه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - (( ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب )) (٢) . ومعلوم أن القلب الذي تحدثت عنه آيات الكتاب العزيز، ووصفته بالإبصار والعمى، وبالفقه والجهالة ، هو أمر معنوي روحاني ، وهو جوهر الذات ؛ لأن القلب العضوي لا يمكن أن يوصف بهذه الصفات ، فليس هو إلا عضو من أعضاء الجسد ، قائم بالمهمة التي سخره الله لها ، من ضخ الدم ، كما تقوم سائر الأعضاء في الجسد ؛ كالكبد و النخاع والطحال بالمهام التي خلقت من أجلها على الوجه الكامل .

ومعلوم أن الذي يسير كل هذه الأشياء ويضبط حركتها التسخيرية ؛ هي الروح المنفوخة في هذا الجسد بأمر الله ؛ لأننا نشاهد توقف هذه الحركات بالكلية عند الموت ، الذي حقيقته مفارقة الروح للجسد ونزعها منه .

١- سورة البقرة آية ٢٥٧ .

٢ - البيهقي أبو بكر . احمد بن الحسين بن علي : ت ٤٥٨ ، سنن البيهقي ، مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤ - ١٩٩٣ ، ج ٥ ص ٢٦٤ حديث رقم ١٠١٨٠

وحقيقة الإيمان كما وضحت آيات القرآن الكريم ، هو جوهر نوراني يدخله الله قلب من آمن به وأذعن واستسلم لأمره ، وهذا واضح في قول الله - سبحانه وتعالى - ردا على الذين ادعوا الإيمان قبل أن يقوم فيهم هذا الجوهر (النور) قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (١) .

فدلت هذه الآية على أن الإيمان شيء يدخل القلب ، وإذا نظرنا إلى آيات الكتاب الأخرى ليتضح لنا أمر هذا الذي يدخل القلب ، فيتحقق به إيمان المؤمن نجد أنه قد ذكر بأوصاف ومسميات عدة ، كل منها يشير إلى خاصة من خواصه ، أو أثر من آثاره التي يحدثها في العبد المؤمن .

فقوله - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (٢) .

فإطلاق اسم السكينة على هذا الجوهر النوراني ؛ الذي يدخل القلب لبيان آثاره البالغة على النفس والعقل ، حيث يخرجها من القلق والحيرة والاضطراب لنقصان العلم والمعرفة ، وعدم القدرة على الخروج مما هي فيه من ضيق وضنك وهم وكرب ، إلى عالم الأمن والطمأنينة ، والثقة بالله وبوعده ، وبالرضا والتسليم لقضائه وقدره ، و الوقوف على حكمه الجليلة ، وشهود أفضاله ومننه العظيمة ، بما يبده هذا النور من سحائب ظلمات الجهل ، ويكشفه من آيات قدرة الله وعظمته المبتوثة في الأنفس والآفاق كما قال - سبحانه - : ﴿ سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (٣) .

١ - سورة الحجرات آية ١٤ .

٢ - سورة الفتح آية ٤ .

٣ - سورة فصلت آية ٥٣ .

دلّت هذه الآية على أن إلهاد هذه الآيات خاص بالله - سبحانه وتعالى - ، وهي مما يعجز عن دركها وشهودها بالوسائل الحسية العامة عند كل البشر . وكل أمر نسبه الله إلى نفسه بأن يريه ويظهره لعبده فهو مما لا يقع تحت نطاق الوسائل والأسباب المتاحة لهذا العبد ، كما قال - سبحانه - :

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .

وقوله -تعالى- في حق سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- في سورة الإسراء :

﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾<sup>(٢)</sup> .

وهذه الإراءة لا تتأتى إلا بواسطة هذا النور ، الذي يدخله الله في قلوب من هداهم ليشهدهم آيات صنعه وبديع حكمه .

وقد أطلق عليها اسم البصيرة في قول الله - تعالى - ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾<sup>(٣)</sup> فعلم من هذا الوصف أن لها القدرة على ابصار وشهود ما تعجز عن دركه وإبصاره العيون القاصرة .

كما دلّت الآية على أن هذه البصيرة التي بها أشهد الله نبيه ما أشهده من آيات عظمته وجلال قدرته ، ليست خاصة به - صلوات الله وسلامه عليه - بل هي كذلك لأتباعه الصادقين الوارثين لأمانته ورسالته .

وهي - حقيقة الإيمان - عالم النور ؛ الذي تكون به الهداية ، وتتحقق به الاستقامة ، كما قال - سبحانه - : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

فكما أن إمداد الله للذين يتولاهم بالنور الذي يخرجهم من عالم الوهم والخيال والضيق والهم والنكد - إلى النور - ، ويحررهم من أسر الدنيا والشهوات ، وينقلهم

- 
- ١ - سورة الأنعام آية ٥٧ .
  - ٢ - سورة الإسراء آية ١ .
  - ٣ - سورة يوسف آية ١٠٨ .
  - ٤ - سورة البقرة آية ٢٥٧ .

إلى بحبوحه الرضا والاطمئنان في المعية الإلهية ، ومعية النبيين ، والصديقين ،  
والشهداء ، والصالحين ، فإن الشيطان يمد الذين يتبعون خطواته بما يزينه لهم من  
السوء والمنكر من كل أثر من الخير والرحمة في قلوبهم إلى عالم الظلمات ، حيث  
الظلم والدعوى والغرور والحمافة ، وكل أنواع الجهالات وقبيح الأفعال ، وأخس  
الصفات ، حيث الولاء والطاعة بل والعبادة لأتفه المخلوقات .

وهي - حقيقة الإيمان - كذلك حقيقة الرحمة وسر الصلاة التي يصلحها الله  
على عباده المؤمنين كما قال - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ  
لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (١) فصلاته جل شأنه هي  
رحمته بعباده وصلاته لهم بهذا الإمداد النوراني الذي ينزل في قلوبهم فيشهدوا أسرار  
ألوهيته وآيات ربوبيته ونفاذ إرادته وبديع حكمته ، ليجعلهم شهداء له على عدله  
وفضله قال - تعالى - : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا  
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

وإذا كان هذا البيان هو ما نطقت به ودلت عليه آيات القرآن الكريم ، فإن  
أولى شيء في التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن ، أما السنة النبوية الشريفة ،  
وأقوال أئمة الهدى من أولياء الله العارفين والعلماء الوارثين ففيها مزيد من البيان  
والإيضاح .

فقد روي عن أنس - رضي الله عنه - أنه قال : بينما رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - يمشي إذ استقبله شاب من الأنصار يقال له حارثة في بعض  
سكك المدينة فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : (( كيف أصبحت يا حارثة :  
قال : أصبحت مؤمناً حقاً . قال إن لكل إيمان حقيقة فما حقيقة إيمانك ؛ قال : عزفت  
نفسي عن الدنيا فأظمأت نهاري وأسهرت ليلي ، وكأني بعرض ربي بارزا ، وكأني

١ - سورة الأحزاب آية ٤٣ .

٢ - سورة آل عمران آية ١٨ .

بأهل الجنة في الجنة يتنعمون فيها ، وكأني بأهل النار في النار يعذبون. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : أصبت فالزم مؤمن نور الله قلبه))<sup>(١)</sup> .

وكذلك ما روي عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - حيث دخل على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يبكي فقال له : ((كيف أصبحت يا معاذ؟ قال : أصبحت مؤمنا بالله- تعالى- قال: إن لكل قول مصداقا، ولكل حق حقيقة، فما مصداق ما تقول؟ قال: يا نبي الله ما أصبحت صباحا قط إلا ظننت أني لا أمسي ، وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أني لا أصبح ، ولا خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى، وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله ، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة . قال: عرفت فالزم ))<sup>(٢)</sup> .

ومن خلال هذين الحديثين الشريفين ندرك أن حقيقة الإيمان : هو النور الإلهي الذي يدخله الله في قلب عبده ، كما رأينا آثاره في شهود ما تحمله الآيات من البشارات والنذر ، وما يبلغ به صاحبه أعلى المنازل وأرفع الدرجات في الدنيا والآخرة . وأن هذه هي حقيقة المعرفة .

قال ابن عجيبة - رحمه الله تعالى - تعقبا على هاتين الروايتين : (( فهذان الرجلان الأنصاريان : أشرق نور الإيقان في قلوبهما وشرح الله به صدورهما قرأوا ما كان أجلا عاجلا ، وما كان أتيا واصلا

١ - الهيثمي . علي بن أبي بكر : ت ٨٠٧ ، مجمع الزوائد، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي ، القاهرة - بيروت ١٤٠٧ ج ١ ص ٥٧  
٢ - الأصبهاني أبو نعيم احمد بن عبد الله ت ٤٣٠ المسند المستخرج على صحيح مسلم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط ٤ ، ١٤٠٥ ج ١ ص ٢٤٢ .

وهذه الحقيقة التي كشفت عنها آياتُ الكتابِ العزيزِ قد وضَّحَهَا النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه عنه ابن مسعود - رضي الله عنه - حيث قال في تفسير قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾<sup>(١)</sup> .  
 (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن النور إذا دخل الصدر انفسح فقبل يا رسول الله هل لذلك من علم يعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله)<sup>(٢)</sup> . ونقل عن أحمد بن عاصم الأنطاكي قوله : اليقين نور يجعله الله في قلب العبد حتى يشاهد به أمور آخرته ، ويخرق به كل حجاب بينه وبينها ، حتى يطالع الآخرة كالمشاهد لها ))<sup>(٣)</sup> .

قال العلامة الألوسي عند قوله : - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> : (( بيان لما أفاض - سبحانه - عليهم من مبادئ الفتح ، .... والمراد بإنزالها خلقها وإيجادها ، وفي التعبير عن ذلك بإنزالها إيماء إلى علو شأنها . ونقل عن الراغب عدة أقوال في معناها : منها قوله : ( حطَّ السكينة في قلوبهم ، فكانت قلوبهم منزلاً لها ومأوى ، وقيل : السكينة ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه ، كما روي أن علياً - رضي الله تعالى عنه ، وكرم وجهه الكريم - قال : إن السكينة لتتطق على لسان عمر)<sup>(٥)</sup> . ونقل عن ابن جرير - رحمه الله - قوله : السكينة ؛ هي الرحمة ، وقيل : هي العقل ، ويقال له : سكينة إذا سكن عن الميل إلى الشهوات وعن الرعب . وقيل : هي الوقار والعظمة لله - تعالى - ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - وقيل : هي من سكن إلى كذا ، مال : إليه ، أي : أنزل في

١ - سورة الأنعام آية ١٢٥ .

٢ - النيسابوري . المستدرک علی الصحیحین ، ج ٤ ص ٣٤٦ حديث رقم ٧٨٦٣ .

٣ - ابن عجيبة . إيقاظ الهمم في شرح الحكم ج ١ ص ١٩٩ .

٤ - سورة الفتح آية ٤ .

٥ - الإصفيهاني . الراغب المفردات ص ٤١٧ .



قلوبهم السكون والميل إلى ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الشرائع ((<sup>(١)</sup>).

والناظر في هذه الأقوال : يمكن أن يجمع بينها وبين ما كشفنا عنه من جوهر وحقيقة الإيمان ؛

فهي إما أن تكون من وسائل الإيضاح ، حيث يسمى هذا النور ملكا يسدد أو يكشف عن آثارها الفعالة في تسخير أعضاء الجسم لها ، حيث تستعمل اللسان وغيره من سائر الأعضاء ، شأنها في ذلك شأن الروح القائمة في الجسد المدبرة له ، إلا أنها هنا خاصة بالروح المستتيرة بأنوار الهداية الإلهية التي أنزلها الله عليها وأدخلها فيها .

أو أنها من قبيل الآثار المترتبة عليها ، وما تحدثه من صفات ظاهرة وأحوال جليلة القدر في الخضوع لله والاستقامة على أمره وحق تقواه .

قال الإمام القشيري في بيانه لحقيقة الإيمان والطريق الموصلة إليه : (( حقيقة الإيمان التصديق ، ثم التحقيق . وموجب الأمرين التوفيق ، والتصديق بالعقل ، والتحقيق ببذل الجهد في حفظ العهد ، ومراعاة الحد . فالمؤمنون : هم الذين صدقوا باعتبارهم مؤمنين ، ثم الذين صدقوا باجتهدهم . وأما الغيب ؛ فكل أمر ديني أدركه العبد بضرب استدلال ، ونوع فكر واستشهاد ))<sup>(٢)</sup> .

وقال في موضع آخر : (( الإيمان صنفان ؛ أحدهما : يشير إلى عين الجود ، والثاني : إلى بذل المجهود ، فبذل المجهود خدمتك ، وعين الجود قسمته ،

١ - الألوسي . روح المعاني ج ٢٦ ص ٣٤٣-٣٤٤ ، ينظر الطبري . تفسير الطبري ج ٢ ص

٢ - القشيري . أبو القاسم عبد الكريم ، لطائف الإشارات ج ١ ص ٦٨ .

فبخدمتك عناء الأشباح ، وبقسمته ضياء الأرواح ، وحقيقة الإيمان تحقق القلب بما  
أخبر من الغيب ))<sup>(١)</sup>.

وهذه الحقيقة أشار إليها أحمد زيني دحلان فيما نقله عن أحد العارفين بالله حيث قال  
: (( لا يكمل إيمان عبد حتى يصير الغيب عنده كالشهادة في عدم الريب ))<sup>(٢)</sup>.

### لوازم الإيمان الحق

هذا الإيمان الذي عرفناه بأنه جوهر نوراني يدخله الله قلب من أحب  
واصطفى من عباده ؛ هو روح من الله يؤيد الله به عباده المؤمنين حقا . وهو من  
عالم الأمر الإلهي الذي إليه المرجع كله في كل صفة كريمة وقول سديد وعمل  
صالح . قال - تعالى - : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾<sup>(٣)</sup> .  
وقال - سبحانه - : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ  
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي  
قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُقْلِحُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

وبناء على ما تقدم فإن الذي نعنيه بلوازم هذا الإيمان ؛ هي الآثار المنعكسة  
على صاحبها علما ومعرفة ، ونورا وهداية ، وبصيرة وصدقا ، وإخلاصا واطمئنانا  
وثقة ، وعطاء وبذلا وتضحية ، وأخلاقا كريمة وتزكية ، وبراً وطاعة ، وذكر الله

١ - المرجع السابق ج ١ ص ٩١ .

٢ - دحلان . احمد بن زيني : ت ١٨٨٦ ، تقريب الأصول لتسهيل الوصول لمعرفة الله  
والرسول ، تحقيق البابي الحلبي ١٩٦٥ ، ص ٩٥ والعارف بالله هو علي الخواص رحمه الله

٣ - سورة غافر آية ١٥ .

٢ - سورة المجادلة آية ٢٢ .

وشكرا ، وتعظيما وهيبية ، إلى غير ذلك من الأوصاف التي ذكرها القرآن الكريم والسنة المشرفة ، خاصة بهؤلاء ، والدرجات الرفيعة والمقامات العالية التي يقتربون فيها من رحمة الله ، وتزداد قلوبهم هيبية من الله وحياء منه ، وإجلالا لأمره ، وتعظيما لحرماته ، وسرعة في تلبية كل ما هو من سبل مرضاته ، فكل ثناء عظيم ، ووعد كريم وبشارات وعد الله بها عباده المؤمنين فهم المعنيون بها .

ومن الآيات التي تضمنت هذه الصفات تلك التي جاءت بصفة الحصر ، أو تضمنت الوعد الكريم ، أو نفي ما لا يليق بهم ، أو الولاية والمعية والنصر والعزة والكرامة ، من ذلك قوله - تعالى - :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١) . ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) . ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٣) . ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (٥) . ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ

١ - سورة الأنفال آية ٢ .

٢ - سورة النور آية ٦٢ .

٣ - سورة الحجرات آية ١٥ .

٤ - سورة المؤمنون آية ١ - ٦ .

٥ - سورة المؤمنون آية ٨ - ٩ .

بآياتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٢﴾ . ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ ﴿٣﴾ . ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَتَصَرُّوا أَوْلِيَّكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ . ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ وَالَّذِينَ يَبِيئُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦﴾ إِنَّهَا سَاعَتٌ مُسْتَقَرَّةٌ وَمَقَامًا ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٩﴾ . ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَدُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿١١﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿١٢﴾ . ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ﴿١٣﴾ . ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٤﴾ . ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٥﴾ . ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٦﴾ .

لذلك فإننا نرى الأعمال والأحوال والأقوال التي يبشرونها تختلف في الكيف عن سائر ما سواهم من المؤمنين وإن تشابهت في الصورة ، فصلاتهم خشوع كلها ونور وضياء تتوقد بها بصائرهم ، فتتكشف حجب الران عنها ، فيزدادون قربا

- 
- ١ - سورة المؤمنون آية ٥٨-٥٩ .
  - ٢ - سورة المعارج آية ٣٣ .
  - ٣ - سورة الأنفال آية ٧٤ .
  - ٤ - سورة الفرقان آية ٦٣-٦٨ .
  - ٥ - سورة الفرقان آية ٧٢-٧٥ .
  - ٦ - سورة البقرة آية ٢٥٧ .
  - ٧ - سورة الأنفال آية ١٩ .
  - ٨ - سورة آل عمران آية ٦٨ .
  - ٩ - سورة المنافقون آية ٢ .

من الله كما قال - جل جلاله - لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ وَاسْجُدْ  
وَاقْتَرِبْ ﴾<sup>(١)</sup>، عن أنس أن - رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : (( ثم الحسد  
يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار  
والصلاة نور المؤمن والصيام جنة من النار ))<sup>(٢)</sup> ، وقولهم : من الحكم التي  
يجريها الله على ألسنتهم ، صمتهم فكر ، ونطقهم ذكر ، وذكرهم لله فيه حضور  
القلب مع الله ، وبه يطمئن ويخشع لجلال الله وعظمته ، فيرتجف من جلال  
العظمة ، ويفرح بالبشارة وكل وقتهم جد واجتهاد ومواجهة لأعداء الله الذين يصدون  
عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، لا تأخذهم في الحق لومة لائم وهم مع ذلك أدلة على  
المؤمنين ، أعزة على الكافرين لا يلتفتون إلى شيء سوى الله ، ولا يريدون إلا  
وجهه الكريم ، وحببه العظيم .

قال ابن بركان - عليه رحمة الله - في تفسيره عند قوله - تعالى - : ﴿  
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا  
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> : (( هم المشار إليهم بالخطاب ، والموجهون  
بالبشارات ، والمعنيون بالإكرام ، رؤساء المحشر ، المشاؤون في طلب الشفاعة  
إلى الله - جل ثناؤه - في العباد بوسائل الرسل ، وفي استفتاح باب الجنة ، وهم في  
الدنيا إمساك غضب الله - جل ذكره - عن الأمم كالجبال الرواسي للأرض .  
وهم الصديقون في الدنيا ما أمنت به الرسل والأنبياء - عليهم السلام - ، والشهداء  
لهم ، وهم شهداء الله على عباده ، خاصته من خليفته ، وهم إخوان الرسل - صلوات  
الله وسلامه على جميعهم - ، وهم الذين اشتاق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
إلى رؤيتهم في هذه الأمة ... جاء ذكرهم في صدر الخطاب مرددا .

<sup>١</sup> - سورة العلق آية ١٩ .

<sup>٢</sup> - أبو يعلى . احمد بن علي بن المثنى : ت ٣٠٧ ، المسند تحقيق : حسين أسد ، دار المأمون  
للتراث ، دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٤ - ١٩٨٤ ، ج ٦ ص ٣٣٠ حديث رقم ٣٦٥٦ .

<sup>٣</sup> - سورة الأنفال آية ٢ .

من ذلك قوله - عز وجل - : ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿١﴾ ، وقوله : ﴿ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ ، وقوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٣﴾ ، فجعل - جل جلاله - شهادتهم ثلوا للشهادة العلية . ثم ذكر أنهم المعنيون بقوله : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٤﴾ ، و ﴿ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ﴿٥﴾ ، و ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦﴾ ، و ﴿ يَنْفَكِرُونَ ﴾ ﴿٧﴾ ، و ﴿ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿٨﴾ ، وهو كثير . وقوله : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٩﴾ .

- وأتبع ابن برجان ذلك بقوله - : وبالجملة فكل خطاب في القرآن العزيز أحرز المدح ، ووصف منهم السبق ، فهم المعنيون به ، إذ كل صفة محمودة في الإيمان فهي لهم ، فالحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، ألحقنا الله بأوليائه وجعلنا في عداد أصفیائه ، ولا جعل حظنا من صفاتهم وصفهم ، ولا من اللحاق بهم ذكرهم ... ودلنا ربنا - جل ذكره - بما تلاه علينا من وصفهم ، أن الإيمان لا غاية له تبلغ ، ولا نهاية ينتهي إليها ، إذ صفة هؤلاء المنعم عليهم صفة تمام ، وحال كمال ،

- 
- ١ - سورة الفاتحة آية ٦-٧ .
  - ٢ - سورة البقرة آية ٢ - ٣ .
  - ٣ - سورة آل عمران آية ١٨ .
  - ٤ - سورة البقرة آية ١٦٤ .
  - ٥ - سورة الأنعام آية ١٢٦ .
  - ٦ - سورة البقرة آية ٢٣٠ .
  - ٧ - سورة الأعراف آية ١٧٦ .
  - ٨ - سورة البقرة آية ١٨٧ .
  - ٩ - سورة الحج آية ٣٤ - ٣٥ .

بالإضافة إلى من دونهم . وعلى ذلك فإنه وصفهم - جل وصفه - : ﴿ وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾<sup>(١)</sup> ((<sup>(٢)</sup>).

### المبحث الثالث

#### التقوى مراتبها والثمار المترتبة عليها

معنى التقوى في اللغة :

قال الراغب : (( الوقاية حفظ الشيء مما يؤديه ويضره ، يقال : وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء . قال - تعالى - ﴿ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾<sup>(٣)</sup> .. قال : والتقوى ؛ جعل النفس في وقاية مما يخاف ، هذا تحقيقه . ثم يسمى الخوف تارة تقوى ، والتقوى خوفاً ))<sup>(٤)</sup>.

قال ابن منظور - رحمه الله - : (( وقاه الله وقيا ووقاية وواقية : صانه .. ويقال : وقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى . وفي حديث معاذ - رضي الله عنه - ( وتوق كرائم أموال الناس )<sup>(٥)</sup> ، أي ؛ تجتنبها ولا تأخذها في الصدقة ؛ لأنها تكرم على أصحابها وتعز . ووقاه صانه ، ووقاه ما يكره ، ووقاه حماه منه ، وفي التنزيل العزيز ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴾<sup>(٦)</sup> . والوقاية : كل ما وقيت به شيئاً .. وتوقاه واتقى بمعنى ، وقد توقيت واتقيت الشيء وتقيته أتقيته : حذرته ،

١ - سورة الأنفال آية ٢ .

٢ - ابن برجان مخطوط ورقه ١٧٢ / أ .

٣ - سورة الدخان آية ٥٦ .

٤ - الاصفهاني . الراغب المفردات ص ٨٨١ .

٥ - البخاري . الصحيح ج ٦ ٢٦٨٥ حديث رقم ٦٩٣٧ .

٦ - سورة الإنسان آية ١١ .

والاسم التقوى . وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> ، قيل معناه : ألهمهم تقواهم ((<sup>(٢)</sup> .

### التقوى في الاصطلاح :

اختلفت عبارات المفسرين في تعريف التقوى شرعا

قال الألوسي: (( التقوى شرعا ؛ صيانة المرء نفسه عما يضر في الآخرة ، والمراتب متعددة لتعدد مراتب الضرر ، فأولاها : التوقي عن الشرك . والثانية : التجنب عن الكبائر ، ومنها الإصرار على الصغائر . والثالثة : ما أشير إليه بما رواه الترمذي عنه - صلى الله عليه وسلم - : ( قال : لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذارا مما به البأس )<sup>(٣)</sup> . وفي هذه المرتبة اختلفت عبارات الأكابر ، فقيل : التقوى ؛ ألا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك ، وقيل : التبري عن الحول والقوة ، وقيل : التنزه عن كل ما يشغل السر عن الحق ))<sup>(٤)</sup> .

قال أبو السعود - رحمه الله - بعد أن نقل العديد من أقوال العلماء في تعريف التقوى ، قال : (( والتحقيق أن للتقوى ثلاث مراتب :

الأولى : التوقي عن العذاب المخلد بالتبرؤ عن الكفر وعليه قوله - تعالى -

: ﴿ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾<sup>(٥)</sup> .

<sup>١</sup> - سورة محمد آية ١٧ .

<sup>٢</sup> - ابن منظور . لسان العرب ج ١٥ ص ٣٧٧-٣٧٨ .

<sup>٣</sup> - ابن حنبل . احمد بن محمد : ت ٢٤١ ، الورع ، تحقيق : زينب القاروط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ - ١٩٨٣ ، ج ١ ص ٤٨ .

<sup>٤</sup> - الألوسي . روح المعاني ج ١ ص ١٤٧ .

<sup>٥</sup> - سورة الفتح آية ٢٦ .



والثانية : التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله - تعالى - ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ (١) .

والثالثة : أن يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق - عز وجل - وَيَتَّبِعْ إِلَيْهِ بَكْلِيَّتِهِ ، وهي التقوى الحقيقية المأمور بها في قوله - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّآ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات أصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة الإلهية المبنية على الحكم الأبية ، أقصاها ما انتهى إليه هم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ، وما عاقهم التعلق بعالم الأشباح إلى العروج إلى عالم الأرواح ، ولم تصدهم الملابس بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق ، لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية (( (٣) .

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أن عبارات أكثر المفسرين أفادت بأن هذه الآية غير منسوخة بقوله - تعالى - : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٤) ، وهذا ما أميل إليه ، ذلك أن الاستطاعة تتفاوت بين العباد على قدر ما قسم الله لهم منها ، فاستطاعة الأنبياء غير استطاعة الأولياء ، واستطاعة الأولياء فوق استطاعة العامة من الناس ، والتكليف إنما يكون على قدر الوسع والطاقة ، كما قال - سبحانه - :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِيَّآهَا وَسْعَهَا ﴾ (٥) ، وقال - جل شأنه - : ﴿ لَا يُكَلِّفُ

اللَّهُ نَفْسًا إِيَّآ مَا آتَاهَا ﴾ (١) .

١ - سورة الأعراف آية ٩٦ .

٢ - سورة آل عمران آية ١٠٢ .

٣ - أبو السعود . إرشاد العقل السليم ج ١ ص ٤١ .

٤ - سورة التغابن آية ١٦ .

٥ - سورة البقرة آية ٢٨٦ .

فيكون الأمر فيها للوجوب لمن أيدهم الله بروح قدسية أعانهم بها على ذلك ، وتكون في حق الآخرين على الندب ، حتى يظنوا راغبين فيها متوجهين إلى الله بطلب العون والتأييد ، فإن وجوب الامتثال للأمر الإلهي من العبد قائم على أي حال وصفة هو عليها ، لأنه متردد بين القدرة وعدمها ، فحاله في القدرة أن يقول ﴿ إياك نعبد ﴾ ، وحاله في عدم الاستطاعة أن يقول ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

فإن الله - جل جلاله - ما أمر عبده بشيء وهو العالم بحاله ، وأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله ، إلا وقد أذن في أن يمدّه بالأسباب والوسائل التي تعينه على تحقيق ذلك .

ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابته حين شق عليهم قوله - تعالى - : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾<sup>(٣)</sup> ، ((لا تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ))<sup>(٤)</sup> .

ثم أنزل الله قوله - تعالى - : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾<sup>(٥)</sup> ، وما دام الوسع مختلفا ومتفاوتا ظهر عدم التعارض ، وحيث أمكن الجمع لا يصار إلى النسخ باتفاق العلماء .

١ - سورة الطلاق آية ٧ .

٢ - سورة الفاتحة آية ٥ .

٣ - سورة البقرة آية ٢٨٤ .

٤ صحیح ابن حبان ج ١ ص ٣٥٠ .

٥ - سورة البقرة آية ٢٨٦ .

## حقيقة التقوى :

تشير آيات الكتاب العزيز إلى أن التقوى في جوهرها منحة إلهية وهديّة ربانية، يؤتيها الله لعباده على اختلاف مراتبها .

فقله - سبحانه - : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿۱﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿۱﴾

يدل على أن الإنسان في أصل فطرته مزود بأنوار الهداية التي لو اتبعها وسار على مقتضاها اهتدى بها إلى طريق الحق والصواب ، وأن الخلل في السلوك والفساد في الوجهة إنما يأتي بسبب التقليد ، والمتابعة لمن فسدت فطرتهم ، وأخرجهم وليهم الشيطان من نور الفطرة هذا إلى ظلمات الشرك والجهالة .

وهذا ما ينطق به الحديث الشريف حيث روى مسلم في صحيحه عن أبي

هريرة - رضي الله عنه - أنه كان يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (( ثم ما من مولود إلا يولد على الفطرة ؛ فأبواه يهودانه، وينصرانه ) - ثم يقول أبو هريرة - وأقرؤوا إن شئتم ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (٢) )) (٣) ، ولم يذكر يسلمانه لأن الإسلام دين الفطرة .

أما التقوى التي نحن بصددنا : وهي التي يبلغ بها العبد درجات الكمال في العبادة و العلم والمعرفة ، وكمال العبادة : فقد نص عليها قول الله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (٤) وهؤلاء هم الذين رأوا بنور الفطرة طريق الحق والصدق ، فأقبلوا عليه طاعة وامتنالا لأمر الله ورسله على قدر طاقتهم ، زادهم الله هدى إلى سبل الخير ، ومنحهم من أنوار العلم والمعرفة ، التي

١ - سورة الشمس آية ٧-٨ .

سورة الروم آية ٣٠ .

٣ - النيسابوري . مسلم بن الحجاج : ت ٢٦١ صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ج ٤ ص ٢٠٤٧ حديث رقم ٢٦٥٨ .

٤ - سورة محمد آية ١٧ .

بها يتقون الله ، كل على قدر ما آتاه الله ، أو على قدر إخلاصه وصدقه في الطاعات وهمته في نيل أقصى الدرجات .

فهذه التقوى ثمرة من ثمار الإيمان الحق والعمل الصالح . قال تعالى :

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ﴾<sup>(١)</sup> ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ

شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَىٰ الْقُلُوبِ ﴾<sup>(٢)</sup>

قال ابن برجان: (( كل صفة لها أول هو أدناها إلى الفطرة ، ولها أعلى

هو من قبيل حياة الإيمان ، التي هي العلية ، بالإضافة إلى حياة الجسم ، مبعثها عما

عبر عنه قول الله - تعالى - : ﴿ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ

﴿<sup>(٣)</sup> ، فكذلك التقوى أيضا لها أول وأعلى . وبالأول و استعمال طاعة الله

ورسوله يدرك الأعلى ، قال الله - عز وجل - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> . فأعلمك - عز جلاله - نسا صريحا أن

الأعلى يدرك بالتقوى الأدنى . فإنهم ما عبدوه إلا بالتقوى ، ثم ألحقهم بعد ذلك

بعلية التقوى ))<sup>(٥)</sup> .

ومن هذا القبيل قوله - تعالى - إشارة إلى أن التكليف بأرفع العبادات هو

الموصل إلى درجة التقوى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> ، ويتحدث ابن برجان عن حقيقة هذه التقوى فيقول

<sup>١</sup> - سورة التوبة آية ١٠٩

<sup>٢</sup> - سورة الحج آية ٣٢

<sup>٣</sup> - سورة المجادلة آية ٢٢ .

<sup>٤</sup> - سورة البقرة آية ٢١ .

<sup>٥</sup> - ابن برجان مخطوط ورقه ١٤ / أ .

<sup>٦</sup> - سورة البقرة آية ١٨٣ .

(( وإذا صحت التقوى من العبد فتح له باب الهداية في باطنه ، فانشرح لذلك صدره وطلعت له شمس اليقين ، فانجلت بها في حقه الظلمات ، وأضاء له باطنه وظاهره ، وما بين يديه وما خلفه . واعلم وفقنا الله و إياك ، كما أن لهذه الدنيا شمسا يستضاء بها ، ويعلم بها الليل والنهار ، ويتبين بها المبصرات من الأشخاص ، والأجرام ، والأماكن ، وما تقديرها ، فكذلك الباطن له من إيمانه ويقينه شمس يميز بها الصور الباطنة المعبر عنها بالمعاني ؛ كالخير والشر ... ويرى بذلك ؛ الراجح التام من الناقص ، والخبيث من الطيب ، وعلى درجات ذلك في معارفه ودقائقه . وإذا بلغت هذه الصفة هذه الدرجة فهي الحكمة كما قال سبحانه - : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١) . - وأورد ابن برجان شاهدا على ذلك من الكتاب العزيز قوله تعالى - : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ (٢) ، وقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) . (( (٤) .

أقول : ويقرب من هذا قول الله - تعالى - : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ (٥) .

١ - سورة البقرة آية ٢٦٩ .

٢ - سورة التغابن آية ١١ .

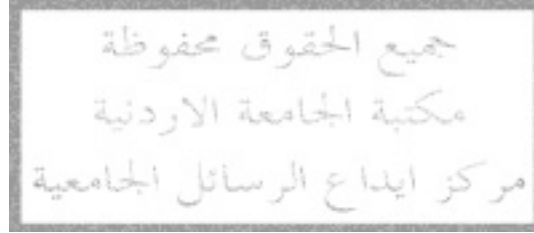
٣ - سورة الحديد آية ٢٨ .

٤ - ابن برجان مخطوط ورقه ١٤/ب .

٥ - سورة الأنعام آية ١٢٢ .

ومعلوم أن المراد هنا الكافر ، وأن الحياة الإلهية التي قامت به هي بكتابة الإيمان في قلبه وتأييده بروح لدنيّة . قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ (١) .

والنور الذي يمشون به في الناس هو المعبر عنه بالفرقان في قوله - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (٢) ؛ وهو ما به يفرقون بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والأقرب رشدا وسدادا في القول والعمل .




---

١ - سورة المجادلة آية ٢٢ .  
٢ - سورة الأنفال آية ٢٩ .

## المبحث الرابع الإحسان وآثاره

### تعريف الإحسان في اللغة :

قال الراغب: (( والإحسان يقال على وجهين . أحدهما : الإنعام على الغير يقال : أحسن إلى فلان . والثاني : إحسان في فعله ؛ وذلك إذا علم علماً حسناً ، أو عملاً حسناً ، وعلى هذا قول أمير المؤمنين : الناس أبناء ما يحسنون ، قيمة كل امرئ ما يحسنه ؛ أي : منسوبون إلى ما يعملون ويعملونه من الأفعال الحسنة ))<sup>(١)</sup>.

وفي كتاب معجم القرآن ذكر فيه معنى الحسن فقيل: (( الحُسن ؛ حالة حسيّة أو معنوية جميلة ، تدعو إلى قبول الشيء ورغبة النفس فيه ، ويكون في الأقوال ، والأفعال ، والذوات ، والمعاني . حسن الشيء يُحسن حُسناً : صار حسناً جميلاً قال - تعالى - : ﴿ وَحَسِّنْ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا ﴾<sup>(٢)</sup> أي : جملة رفقتهم ... ويقال أحسن إحساناً : أتى بالفعل الحسن على وجه الإتقان والإحكام وصنع الجميل . ومنه أحسن إلى فلان ، وأحسن به ، أنعم عليه وأكرمه وصنع به الجميل ، وأحسن الفعل : أتقنه وجوده . فهو محسن وهم محسنون وهن محسنات ))<sup>(٣)</sup>.

والناظر في آيات القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة يجد أن الإحسان شامل لكل ما أمر الله به ، وندب عباده إليه ؛ من قول أو فعل أو صفة أو

١ - الأصفهاني. الراغب المفردات ص ٢٣٦ .

٢ - سورة النساء آية ٦٩ .

٣ - الهيئة العامة للتأليف. معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ج ١ ص ٢٧٢-٢٧٤ .

خلق . قال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾<sup>(١)</sup> .

و روى مسلم عن شداد بن أوس قال : (( حديثان حفظتهما عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( قال : إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، فليرح ذبيحته))<sup>(٢)</sup> .

فقد أمر عباده الإحسان في القول ، وتشهد على ذلك العديد من الآيات القرآنية الكريمة منها قوله - تعالى - : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾<sup>(٣)</sup> أي : ما يحسن سمعه ويحسن أثره ، ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾<sup>(٤)</sup> ، ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾<sup>(٥)</sup> ، لا شك أن أحسن القول هو أصوبه وأحكمه ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> ، ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾<sup>(٧)</sup> ، ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾<sup>(٨)</sup> ، يفهم من هذا أن غاية القول الحسن هو ما يلقي قبولا وإصغاء عند السامع لأن القائل لم يبتغ إلا الخير .

أما في مجال العمل : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(٩)</sup> ، وقوله ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى

١ - سورة النحل آية ٩٠ .

٢ - النيسابوري . مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١٥٤٨ حديث رقم ١٩٥٥ .

٣ - الإسراء آية ٥٣ .

٤ - سورة البقرة آية ٨٣ .

٥ - سورة الزمر آية ١٨ .

٦ - سورة فصلت آية ٣٣ .

٧ - سورة النحل آية ١٢٥ .

٨ - سورة طه آية ٤٤ .

٩ - سورة البقرة آية ١٩٥ .



وَزِيَادَةٌ»<sup>(١)</sup> ، ﴿ وَلَا تُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ،  
 وجدير بالذكر أن الوصف الغالب على الأعمال الحسنة التي ركز عليها القرآن قد  
 وصفها بالصالحات ، ذلك لأن العمل الحسن هو الذي يصلح تقديمه لمن تريد أن  
 تقدمه إليه ، بأن يكون مطلوباً عنده أو محبوباً لديه .

وبغير هذه الصفة لا يعتبره المقدم إليه حسناً ، لأنه إذا كان زاهداً فيه ولا  
 يرضيه ، لا يعتبره ذا بال أو قيمة ، فيعتذر عنه ويرده ، بدلاً من أن يقبله ويكرمه .  
 من أجل ذلك جاء ذكر العمل الصالح عقب الإيمان ، ليحمل هذه الدلالة ،  
 قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾<sup>(٤)</sup> ،

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ  
 بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> ، ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ  
 مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾<sup>(٦)</sup> ، ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾<sup>(٧)</sup> .

وبغير صفة الحسن في العمل لا يحسن تقديمه إلى الله - جل جلاله - لأنه  
 خلاف مطلوبة وما يجب ، لذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم - للمسيء في  
 صلاته : (( أعد صلاتك فإنك لم تصل ))<sup>(٨)</sup> ؛ فحيث كانت صلاته على غير  
 الكيفية والصفة التي يتقبلها الله لم تكن عملاً صالحاً .

١ - سورة يونس آية ٢٦ .

٢ - سورة يوسف آية ٥٦ .

٣ - سورة هود آية ١١٥ .

٤ - سورة البقرة آية ٢٧٧ .

٥ - سورة النحل آية ٩٧ .

٦ - سورة النساء آية ١٢٤ .

٧ - سورة النساء آية ١٧٣ .

٨ - النيسابوري . مسلم بن الحجاج صحيح مسلم ج ٥ ص ٨٨ حديث رقم ١٧٨٧ .

وفي مجال المعاملة : قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

روى الترمذي في سننه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : ((سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق)) <sup>(٤)</sup> .

وروى ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : ((قلت يا رسول الله فأى المؤمنين أكمل إيماناً قال : أحسنهم خلقاً . قلت : يا رسول الله فأى المؤمنين أسلم ؟ قال : من سلم الناس من لسانه ويده)) <sup>(٥)</sup> .

وقد نبه الراجب الاصفهاني إلى معنى الإحسان في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، حيث قال : (( إن الإحسان فوق العدل ؛ وذلك أن العدل هو أن يعطى ما عليه ، ويأخذ مما له . والإحسان ؛ أن يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له ، فالإحسان زائد عن العدل .

فتحري العدل واجب ، وتحري الإحسان ندب وتطوع ، وعلى هذا قوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ <sup>(٧)</sup> )) <sup>(٨)</sup> .

١ - سورة الأعراف آية ١٩٩ .

٢ - سورة النحل آية ٩٠ .

٣ - سورة آل عمران آية ١٣٤ .

٤ - السلمي . محمد بن عيسى : سنن الترمذي ج ٤ ص ٣٦٣ .

٥ - صحيح ابن حبان ، ج ٢ ص ٧٦ حديث رقم ٣٦١ ، فتح الباري ج ١٠ ص ٤٥٨ .

٦ - سورة النحل آية ٩٠ .

٧ - سورة النساء آية ١٢٥ .

٨ - الاصفهاني . الراجب المفردات ص ٢٣٦-٢٣٧ .

وفي مجال العقيدة : قوله - سبحانه و تعالى - : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

### حقيقة الإحسان :

الذي يهمننا في هذا المبحث ونود التركيز عليه هو الكشف عن حقيقة الإحسان ؛ لأننا تناولناه من جانب ثوابت الاستقامة ، وإنما يكون الإحسان من الثوابت باعتبار جوهره وحقيقته ، مع تمام الصورة الظاهرة للأعمال والأقوال والصفات ، التي هي من أثاره ولوازمه المترتبة على وجوده ، فنقول وبالله التوفيق .

إن أجمع ما تناول الكشف عن حقيقته هو قول النبي - صلى الله عليه وسلم - حين سئل عن الإحسان قال : (( إن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك ))<sup>(٣)</sup> .

فهذا الحديث الشريف قد كشف عن مرتبتين للإحسان ، ولا شك أنهما أعلى مراتب الإيمان ، ولما كانا من ثمار الإيمان والعمل الصالح أطلق عليهما مقام الإحسان ، ذلك أنهما لا يتحققان لعبد صدق في إيمانه وأحسن في عمله إلا بفضل الله ومنته وتأييد بروح منه ، ترفع العبد إلى مقام القرب والمشاهدة . حيث الاستشعار بهيبة الله وعظمته ، فتكون الهيبة والخشية ووجل القلب من ذكره من جملة أحواله وصفاته ، ولا شك أن أصوب الأعمال وأكثرها صدقا وتقوى وحرصا على أن تبلغ رضا من تقدم له ومحبته ، هي التي تكون بين يديه وفي حضرته ، ويليهما في الدرجة تلك التي يكون العامل لها في حالة يعلم فيها أن كل ما يصدر عنه من أفعال وأحوال تكون مراقبة من قبل من كلفه وأسند إليه مهمة من المهمات .

١ - سورة البقرة آية ١١٢ .

٢ - سورة النحل آية ١٢٨ .

٣ - الشيباني . أحمد بن حنبل : ت ٢٤١ ، مسند أحمد ، مؤسسة قرطبة ، مصر ج ١ ص ٥١ ، حديث رقم ٣٦٧ .

وبذلك تتقطع عنده الحجة والأعدار ، ويكون عرضة للمسؤولية المباشرة ، وهذا هو مقام المراقبة الذي دل عليه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (( فإن لم تكن تراه فإنه يراك )) .

وميزة المقام الأول على الثاني ؛ هو في أن صاحب المقام الأول متجرد عن الحول والقوة لأنه يشهد كل ما به من فضل ، وحسن قول وفعل وخلق من الله - جل جلاله - ، فلا يمكن أن ينسب لنفسه شيئاً ، بل حاله حال الشاكر الحقيقي لله ، فإن حقيقة شكر النعمة شهود المنعم بها ، والاعتراف بفضله والثناء عليه بالحال والفعل والقول ، فهو في ذكر دائم لله ، ومحبة وتعظيم وتقديس وتنزيه ، وسرعة تلبية واستجابة لكل ما يحب ويرضى ، غير ملتفت إلى أحد من الخلق أجمعين ، حيث يتضاءل الكل ويتلاشى من الاعتبار أمام شهوده لعظمة الله فلا يعمل لأجل أحد ولا يخشى في الحق لومة لائم ، بل هو على الدوام بأمر الله قائم وفيما عنده راغب ، وعن الخلق وما في أيديهم زاهد .

وكل من دخل هذا المقام يغيب حتى عن رؤية العمل ويرى أنه مهما أحسن وأتقن قاصر عن الوفاء بما يليق بجلال الله وعظمته ، فتقوم عنده الإنابة والشعور بالتقصير فيتوالى الاستغفار منه .

وأصحاب هذا المقام هم المعنيون بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (١) .

قال محمد بن عبد الجليل الأندلسي - رحمه الله - : (( وما دام العبد في هذا المقام من السبق والإحسان لو أتى بأعمال الثقلين مثلاً ما نظر إلى العمل نظرة واحدة ، ولا التفت إليه لأن نظره سابق إلى المعبود ، وكذلك إذا عرف مقام

١ - سورة الأنبياء آية ١٠١ .

الإحسان سارع إلى طاعته قدر وسعه ، فهذا حال المحب الذي يعبد الله كأنه يراه))<sup>(١)</sup>.

يقول الألوسي في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> : (( إن الله تعالى ولي الذين تبتلوا إليه - سبحانه - بالكلية وتزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه - عز وجل - فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب أو محذور ، فضلا عن الحزن عليه فواتا أو وقوعا .

وحقيقة الإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق وقد فسره النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( أن تعبد الله كأنك تراه ) ((<sup>(٣)</sup>.

قال البروسوي في تفسير قوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾<sup>(٤)</sup> : (( وهو مع إخلاصه وتسليم النفس إلى الله بالكلية ؛ بالخضوع والانقياد محسن في جميع أعماله بأن يعملها على وجهه يستصوبها ، فإن إخلاصها كونها مستحسنة بحسن الشارع وحقيقة الإحسان : الإتيان بالعمل على الوجه اللائق ؛ وهو حسنها الوصفي التابع لحسنه الذاتي ، وقد فسره النبي - صلى الله عليه وسلم - : أن تعبد الله كأنك تراه ، وان لم تكن تراه ، فانه يراك ))<sup>(٥)</sup> وهذا المعنى حقيقة الإيمان وظاهره الإحسان ، وأما باطنه فمرتبة (( كنت سمعه وبصره ))<sup>(٦)</sup> التي هي نتيجة قرب النوافل ))<sup>(٧)</sup>.

- 
- ١- القصري . محمد عبد الجليل بن موسى : ت ٦٠٨ ، شعب الإيمان ، تحقيق : سيد كسروي ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ ، ص ٥٣٠ .
  - ٢- سورة النحل آية ١٢٨ .
  - ٤- الألوسي . روح المعاني ، ج ١٤ ص ٦٦٤ - ٦٦٥ .
  - ٥- سورة البقرة آية ١١٢ .
  - ٥- سبق تخريجه
  - ٦- البخاري . الصحيح ج ٥ ص ٣٢٨٤ حديث رقم ٦١٣٧ .
  - ٧- البروسوي . روح البيان ج ١ ص ٢٦١ .

## آثار الإحسان :

أما الآثار المترتبة على الإحسان ؛ فهي الثمار التي رتبها الله عليه ، وما وعد الله المحسنين وبشرهم به من جزاء دنيوي وأخروي وهي كثيرة منها :

أولاً : الدخول في كنف المعية والقرب . قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١) .

ثانياً : الأجر العظيم . قال - تعالى - : ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢) ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣) ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤) .

ثالثاً : النظر لوجه الله الكريم . قال - تعالى - : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٥) .

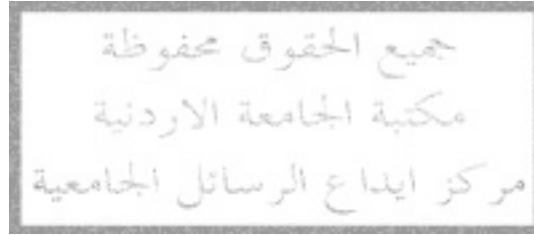
رابعاً : مضاعفة الأجر والثواب . قال - تعالى - : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (٦) ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ (٧) ﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٨) ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ (٩) ، ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ (١٠) .

- 
- ١ - سورة النحل آية ١٢٨ .
  - ٢ - سورة النساء آية ٤٠ .
  - ٣ - سورة النساء آية ٩٥ .
  - ٤ - سورة الأحزاب آية ٢٩ .
  - ٥ - سورة يونس آية ٢٦ .
  - ٦ - سورة الأنعام آية ١٦٠ .
  - ٧ - سورة النمل آية ٨٩ .
  - ٨ - سورة الرعد آية ٢٢ .
  - ٩ - سورة القصص آية ٥٤ .
  - ١٠ - سورة البقرة آية ١١٢ .

خامسا : بلوغ محبة الله . قال تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) ﴿ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (٣) .

سادسا : قرب رحمة الله منهم . قال - تعالى - : ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤) .

سابعا : الإحسان لهم في الدنيا قبل الآخرة . ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ (٥) ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ (٦) .



- 
- ١ - سورة البقرة آية ١٩٥ .
  - ٧ - سورة المائدة آية ١٣ .
  - ٣ - سورة الصف آية ٤ .
  - ٤ - سورة الأعراف آية ٥٦ .
  - ١٠ - سورة النحل آية ٣٠ .
  - ٦ - سورة الزمر آية ١٠ .

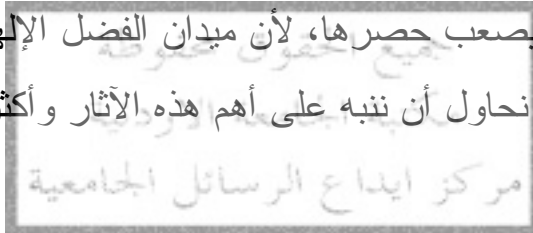
## الفصل الثالث

### الثمار المترتبة على الالتزام بالصراط المستقيم

#### المبحث الأول :

#### الثمار الدينية

الثمار الدينية المترتبة على الالتزام بالاستقامة بالقول ، والعمل ، وإخلاص النية كثيرة جداً، يصعب حصرها، لأن ميدان الفضل الإلهي والعطاء الرباني لا حد له. ونحن بدورنا نحاول أن ننبه على أهم هذه الآثار وأكثرها شمولاً فمن ذلك :



#### أولاً : الهداية الربانية إلى كل خير في الدنيا والآخرة

فقد جعل الله هدايته التي تضمنها كتابه الكريم خاصة بالمتقين .

قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

فكان رزقهم من هداية الكتاب على قدر درجاتهم في التقوى، ولا شك أن هذه الهداية هي أعظم أبواب الإلهام الإلهي والفقهِ في الدين .

قال سيد قطب - رحمه الله- : (( ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الهدى حقيقته ، والهدى

طبيعته ، والهدى كيانه ، والهدى ماهيته.. ولكن لمن؟ لمن يكون ذلك الكتاب هدى

ونورا ودليلا ناصعا مبينا ؟ للمتقين . فالتقوى في القلب هي التي تؤهله للانتفاع بهذا

الكتاب . هي التي تفتح مغاليق القلب له فيدخل ويؤدي دوره هناك ، هي التي تهيب

لهذا القلب أن يلتقط وأن يتلقى وأن يستجيب ، لا بد لمن يريد أن يجد الهدى في

<sup>١</sup> - سورة البقرة آية ٢ .



القرآن أن يجيء إليه بقلب سليم خالص..، وعندئذ يفتح القرآن عن أسرارهِ وأنوارهِ ،  
ويكسبها في هذا القرآن الذي جاء إليه متقياً، خائفاً حساساً، مهياً للتلقي ((<sup>(١)</sup>).

وقال أبو السعود - رحمه الله- مبيناً لصفة المتقين : (( المتقين: أي  
المتصفين بالتقوى حالاً أو مآلاً ، وتخصيص الهدى بهم لما أنهم المقتبسون من  
أنوارهِ المنتفعون بآثارهِ ))<sup>(٢)</sup>.

وهذه هي الهداية الخاصة ؛ التي جعلها الله لمن يترسمون منهاج النبوة،  
ويتبعون خطوات المهتدين. قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى  
وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً : زيادة الإيمان الموصل إلى مرتبة اليقين

لقد ذهب جمهور العلماء على أن الإيمان يزيد بتوالي النفحات ، وشهود  
آيات الله في الأنفس والآفاق ، وبتنزل السكينة في القلوب ، قال - سبحانه وتعالى -  
: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُودُ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾<sup>(٤)</sup>. روى الشوكاني - رحمه الله- في  
كتابه عن ابن مسعود- رضي الله عنه - قال (( تصديقاً مع تصديقهم ))<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو السعود : (( أي : يقينا منضمًا إلى يقينهم ))<sup>(٦)</sup>.

<sup>١</sup> - سيد قطب . في ظلال القرآن ج ١ ص ٣٨ - ٣٩

<sup>٢</sup> - أبو السعود . تفسير أبو السعود ، ج ١ ص ٤٠ .

<sup>٣</sup> - سورة محمد آية ١٧ .

<sup>٤</sup> - سورة الفتح آية ٤ .

<sup>٥</sup> - الشوكاني . محمد بن علي ، فتح القدير ج ٥ ص ٦٢ .

<sup>٦</sup> - أبو السعود . تفسير أبو السعود ، ج ٦ ص ٩٨ .

وقد بينا عظيم منزلة الإيمان ، وسعة ميادينه ، وهو يزداد كلما كشف الله لعبده المؤمن عن آيات قدرته الماثورة في الأنفس والآفاق ، فمعرفة هذه الآيات تكون بأن يظهرها الله للعبد حتى يكون من أهل اليقين .

قال تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لحمًا فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴿<sup>(١)</sup> .

وقال - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> قال محمد رشيد رضا - رحمه الله - : ((أي : لأجل أن يكون من أهل اليقين الراسخين فيه أريناه ما أريناه ، أو بصرناه من أسرار الملكوت ما بصرناه ، أو نريه ذلك ليعرف سنناً في خلقنا ، وحكمنا في تدبير ملكنا ، وآياتنا الدالة على ربوبيتنا وألوهيتنا ، ليقوم بها الحجة على المشركين الضالين ، وليكون في خاصة نفسه من الواقفين على عين اليقين . واليقين في اللغة: الاعتقاد الجازم المبني على الإمارات والدلائل والاستنباط ))<sup>(٣)</sup> .

قال الراغب: (( اليقين: من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها ،... وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم ))<sup>(٤)</sup> .

وقال ابن منظور - رحمه الله - : (( اليقين: العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر ، واليقين: نقيض الشك ، والعلم نقيض الجهل ))<sup>(٥)</sup> .

<sup>١</sup> - سورة البقرة آية ٢٥٩ .

<sup>٢</sup> - سورة الأنعام آية ٧٥ .

<sup>٣</sup> - رضا . محمد رشيد ، تفسير المنار ج ٧ ص ٤٥٩ .

<sup>٤</sup> - الأصفهاني . الراغب ، المفردات ص ٨٩٢ .

<sup>٥</sup> - ابن منظور . لسان العرب ، ج ١٥ ص ٤٥٤ .

وقال أبو السعود: (( « مِنْ الْمُوقِنِينَ » أي : وليكون من زمرة الراسخين في الإيقان ، البالغين درجة عين اليقين في معرفة الله تعالى ، فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لأمر آخر فإن الوصول إلى تلك الغاية القاصدة كمال مترتب على ذلك التبصير لا عينه ))<sup>(١)</sup> .

وقد جعل ثمرة معجزة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالإسراء والمعراج ، شهود آيات الله قال - تعالى - : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »<sup>(٢)</sup> . قال أبو السعود - رحمه الله - : (( « لِنُرِيَهُ » غاية للإسراء « مِنْ آيَاتِنَا » العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ، .. ومشاهدة بيت المقدس ، وتمثل الأنبياء له ، ووقفه على مقاماتهم العلية - عليهم الصلاة والسلام - و الالتفات إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات ))<sup>(٣)</sup> . وقال - سبحانه - في سورة النجم : « لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى »<sup>(٤)</sup> .

قال أبو السعود - رحمه الله - : (( « مِنْ آيَاتِ » أي : والله لقد رأى الآيات التي هي كبرائها وعظماها ؛ حيث عرج به إلى السماء فأري من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ، و شيئاً عظيماً من آيات ربه ))<sup>(٥)</sup> .

### ثالثاً: تنوير القلب وجلاء البصيرة

لقد امتنَّ الله على عباده الذين أحيا قلوبهم بالإيمان بعد أن كانت ميتة مطموسة في عالم ظلمات الكفر والطغيان بقوله - سبحانه - : « أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا

<sup>١</sup> - أبو السعود . تفسير أبو السعود ، ج٢ ص٤٠٤ .

<sup>٢</sup> - سورة الإسراء آية ١ .

<sup>٣</sup> - أبو السعود . تفسير أبو السعود ، ج٤ ص ١١٠ .

<sup>٤</sup> - سورة النجم آية ١٨ .

<sup>٥</sup> - أبو السعود . تفسير أبو السعود ، ج٦ ص ١٥٥ .

فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا  
كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»<sup>(١)</sup> .

فقوله - سبحانه - : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ... ﴾ دليل على  
تنوير البصيرة التي هي سر الفراسة ، التي يؤتيها الله للمؤمن الحق ، كما قال -  
صلى الله عليه وسلم - ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ))<sup>(٢)</sup> .

قال سيد قطب - رحمه الله - : (( إن هذه العقيدة تنشئ في القلب حياة بعد  
الموت . وتطلق فيه نورا بعد الظلمات . حياة يعيد بها تذوق كل شيء ، وتقدير كل  
شيء بحس آخر لم يكن يعرفه قبل هذه الحياة ، ونورا يبدو كل شيء تحت أشعته  
وفي مجاله جديدا ، كما لم يبدو من قبل قط لذلك القاب الذي نوره الإيمان ، .. ويجد  
الإنسان في قلبه هذا النور فيجد الوضوح في كل شأن ، وفي كل أمر ، وفي كل  
حدث ، يجد الوضوح في نفسه، وفي نواياه، وخواطره، وخطته، وحركته، ويجد  
الوضوح فيما يجري حوله ؛ سواء من سنة الله النافذة ، أو من أعمال الناس  
ونواياهم ، وخطتهم المستترة والظاهرة ، ويجد تفسير الأحداث والتاريخ في نفسه  
وعقله ، وفي الواقع من حوله ، كأنه يقرأ من كتاب ))<sup>(٣)</sup> .

ولاشك في أن كمال البصيرة هي التي أوتيتها رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - وقد جعلها الله ميراثا لأتباعه الصادقين، كل على درجته في الإتيان ، حيث  
أمره الله أن يعلن عن ذلك ، بقوله - سبحانه - : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ  
عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> ،

قال سيد قطب : (( فنحن على هدى من الله ونور . نعرف طريقنا جيدا ،  
ونسير فيها على بصر وإدراك ومعرفة ، لا نخبط ولا نتحسس ، ولا نحسد . فهو

<sup>١</sup> - سورة الأنعام آية ١٢٢ .

<sup>٢</sup> - السلمي . محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٩٨ حديث رقم ٣١٢٧ .

<sup>٣</sup> - سيد قطب . في ظلال القرآن ، ج ٣ ص ١٢٠٠-١٢٠١ .

<sup>٤</sup> - سورة يوسف آية ١٠٨ .

اليقين البصير المستنير. نزه الله - سبحانه - عما لا يليق بألوهيته ، ونفصل وننزل ونتميز عن الذين يشركون به ))<sup>(١)</sup> .

وقال الشوكاني - رحمه الله-: (( أي : قل يا محمد للمشركين : هذه الدعوة التي أدعو إليها ، والطريقة التي أنا عليها سبيلي ، أي: طريقتي وسنتي ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي : على حجة واضحة . والبصيرة : المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل ﴿أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾ قال الفراء: والمعنى : ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو ، وفي هذا دليل على أن كل متبع لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حق عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الله، أي الدعاء إلى الإيمان به وتوحيده ، والعمل بما شرعه لعباده ))<sup>(٢)</sup> .

والإتباع الحق هو الموصل إلى هذه الثمرة العظيمة ، التي لا يعلم قدرها وخيرها في الدنيا والآخرة إلا الله ، وهي مفاتيح أبواب العلم والمعرفة كلها ، وبها وحدها يتحقق ميراث علم النبوة كله لأهل الإِتباع ، وهذا ما صرح به النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله : (( إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وأورثوا العلم فمن أخذه فمّن أخذه بحظ وافر ))<sup>(٣)</sup> .

وهذا النور الموصل إلى توكّد البصيرة هو الفرقان ، الذي جعله الله للمتقين من عباده ، وبه يفرقون بين الحق والباطل ، والخير والشر، حتى إنه لا يخفى عليهم أبسط وساوس الشيطان إذا ما حاول أن يلم بهم. قال - سبحانه وتعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٤)</sup> .

<sup>١</sup> - سيد قطب . في ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٠٣٤ .

<sup>٢</sup> - الشوكاني . محمد بن علي ، فتح القدير ج ٣ ص ٨١ .

<sup>٣</sup> - صحيح ابن حبان . ج ١ ص ٢٨٩ حديث ٨٨ .

<sup>٤</sup> - سورة الأنفال آية ٢٩ .

قال محمد رشيد رضا - رحمه الله -: (( وكلمة الفرقان كلمة جامعة لكلمة التقوى في مجيئها هنا مطلقة ، فالتقوى هي الشجرة ، والفرقان هو الثمرة ، وهو صيغة مبالغة من مادة الفرق ، ومعناها في أصل اللغة : الفصل بين الشئيين أو الأشياء ، والمراد بالفرقان هنا : العلم الصحيح والحكم الحق فيها ، ولذلك فسروه بالنور .. ، والمعنى جعل لكم بمقتضى هذه التقوى ملكة من العلم والحكمة تفرقون بها بين الحق والباطل ، وتفصلون بين الضار والنافع ، وتميزون بين النور والظلمة ، وتزيلون بين الحجة والشبهة ، وقد روي عن بعض مفسري السلف تفسير الفرقان هنا بنور البصيرة الذي يفرق بين الحق والباطل وهو عين ما فصلناه من الفرقان العلمي الحكمي))<sup>(١)</sup> .

قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> وهو الذي به يميزون بين الأخيار والأشرار، وبه تتعارف أرواحهم على أهل الصفة من عباده الأخيار، كما قال - صلى الله عليه وسلم - : (( الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ))<sup>(٣)</sup> .

#### رابعاً : الدخول في معية النبيين والصدّيقين

##### والشهداء والصالحين .

ومن دخل في معية هؤلاء وفي كنفهم ، نال ما نالوه من الحظوة عند الله ، والتكريم في الدنيا والآخرة. قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾<sup>(٤)</sup> .

<sup>١</sup> - رضا . محمد رشيد ، تفسير المنار ، ج ٩ ص ٥٤٠-٥٤١ .

<sup>٢</sup> - سورة الأعراف آية ٢٠١ .

<sup>٣</sup> - البخاري . الصحيح ، ج ٣ ص ١٢١٣ حديث رقم ٣١٥٨ .

<sup>٤</sup> - سورة النساء آية ٦٩ .

قال الشوكاني : (( والصديق : المبالغ في الصدق كما تفيده الصيغة، وقيل : هم فضلاء أتباع الأنبياء . والشهداء : من ثبتت لهم الشهادة. والصالحين: أهل الأعمال الصالحة. والرفيق : مأخوذ من الرفق ، وهو لين الجانب ، والمراد به المصاحب ، لارتفاقك بصحبته ، ومنه الرفقة ، لارتفاق بعضهم ببعض))<sup>(١)</sup> .

وروى السيوطي- رحمه الله- قال : (( وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن الشعبي : أن رجلاً من الأنصار أتى رسول الله- صلى الله عليه وسلم -فقال؟ يا رسول الله والله لأنت أحب إلي من نفسي وولدي وأهلي ومالي، ولولا أني أتيتك فأراك لظننت أني سأموت . وبكى الأنصار فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم- : ما أبكاك ؟ فقال ذكرت أنك ستموت وتموت فترفع مع النبيين ، ونحن إذا دخلنا الجنة كنا دونك. فلم يخبره النبي- صلى الله عليه وسلم- بشيء ، فأنزل الله على رسوله : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾<sup>(٢)</sup> فقال- صلى الله عليه وسلم- : أبشر يا أبا فلان ))<sup>(٣)</sup> .

فمن أدخله الله في معية رسله ، أورثه الله ما أورثهم من العلم والحكمة ، وتأدب بأدبهم ، وتخلق بأخلاقهم ، واتبع سنتهم ، بذلك يرفع الله منزلته ، ويعلي شأنه في الدنيا والآخرة ، ويؤيده بما أيد الرسل والأنبياء ؛ بروح من لدنه ، تقومه وتسدده ، كما قال - سبحانه - في حق المؤمنين الصادقين : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

<sup>١</sup> - الشوكاني . محمد بن علي ، فتح القدير ج ١ ص ٧٧٤ .

<sup>٢</sup> - سورة النساء آية ٦٩ .

<sup>٣</sup> - السيوطي . جلال الدين ، الدر المنثور ج ٢ ص ٥٥٠ .

فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُقْلِحُونَ ﴿١﴾

قال سيد قطب : (( وما يمكن أن يعزموها هذه العزيمة إلا بروح من الله ، وما يمكن أن تشرق قلوبهم بهذا النور إلا بهذا الروح الذي يمددهم بالقوة والإشراق ، ويصلهم بمصدر القوة والإشراق ))<sup>(٢)</sup> .

وقال أبو السعود - رحمه الله - : (( أي : من عند الله - تعالى - وهو نور القلب أو القرآن ))<sup>(٣)</sup> .

فإن الثناء على أهل هذه المعية وبيان أنها من أعظم ما تفضل الله به على عباده بقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِمًا ﴾<sup>(٤)</sup> فإن الإشارة بذلك للدلالة على بعد رتبته وسمو منزلته بين أنواع الفضل والمنن .

قال أبو السعود : (( ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ ﴾ إشارة إلى ما للمطيعين من عظيم الأجر ، ومزيد الهداية ، ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم ، أو إلى فضلهم ومزيتهم ، وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته ، وبعد منزلته في الشرف ﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ أي : ذلك الفضل العظيم من الله - تعالى - لا من غيره ، أو أن ذلك الذي ذكر فضل كائن من الله - تعالى - . لا أن أعمال المكلفين موجبة له ))<sup>(٥)</sup> .

وجعلهم بذلك من حزبه الذين كتب لهم الفلاح في الدنيا والآخرة ، وإذا كانت هذه المعية على درجات ، فإن هذه الدرجات مترتبة على درجات الطاعة لله والرسول .

١ - سورة المجادلة آية ٢٢ .

٢ - سيد قطب . في ظلال القرآن ، ج ٦ ص ٣٥١٥ .

٣ - أبو السعود . تفسير أبو السعود ، ج ٦ ص ٢٢١ .

٤ - سورة النساء آية ٧٠ .

٥ - أبو السعود . تفسير أبو السعود ، ج ٢ ص ١٦١ .



### خامسا: محبة الله ورضوانه

إن محبة الله للعبد ورضوانه عليه ، لهي من أعظم الثمار التي يتنافس فيها أهل التقوى والاستقامة ، لما يترتب عليها من كرم إلهي واسع ، وفضل رباني عظيم، فإن هذه المحبة قد جعلها الله للمحسنين والمتقين والصادقين والصابرين والمنتبلين إليه سبحانه .

وقد رتب عليها العديد من الثمار ، قال الله - سبحانه و تعالى - في الحديث القدسي : (( عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ))<sup>(١)</sup> .

ورضوان الله على العبد من أجل النعم ، كذلك فقد بلغ أهل بيعة الرضوان من الصحب الكرام - رضي الله عنهم - الذين بايعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الموت في سبيل الله منزلة ودرجة لم ينلها سواهم ، قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال ابن عاشور - رحمه الله - : (( فقد أنال الله المبايعين رضوانه وهو أعظم خير في الدنيا والآخرة ، قال - تعالى - : ﴿ وَرَضُوا مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾<sup>(٣)</sup>

<sup>١</sup> - البخاري . الصحيح ٥ ص ٢٣٨٤ .

<sup>٢</sup> - سورة الفتح آية ١٨ .

<sup>٣</sup> - سورة التوبة آية ٧٢ .

والشهادة لهم بإخلاص النية ، وإنزال السكينة في قلوبهم ، ووعدهم بثواب فتح قريب ، ومغانم كثيرة ))<sup>(١)</sup> .

قال الشوكاني مبينا معنى السكينة : (( والسكينة : الطمأنينة وسكون النفس ))<sup>(٢)</sup> .

وقد بين - سبحانه - تشریف أهل محبته ؛ حيث ينتدبهم عند تخلي عموم المؤمنين عن واجباتهم والوفاء بعهودهم ، لقطع دابر الكافرين ، وإراحة الناس من شرورهم .

وهذا ما يفهم من قوله - سبحانه و تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

ويكفي للمحبة شرفا أنها موصلة إلى درجات ومنازل لا يبلغها العبد بسائر الطاعات وصنوف العبادات ، كما قال - صلى الله عليه وسلم - للأعرابي : (( قال فأنت مع من أحببت ))<sup>(٤)</sup> .

و قال أنس بن مالك فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - فإنك مع من أحببت . قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم<sup>(٥)</sup> .

<sup>١</sup> - ابن عاشور . التحرير و التنوير ج ٢ ص ١٧٣ .

<sup>٢</sup> - الشوكاني . محمد بن علي ، فتح القدير ج ٥ ص ٦٨ .

<sup>٣</sup> - سورة المائدة آية ٥٤ .

<sup>٤</sup> - النيسابوري . مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ٤ ص ٢٠٣٢ حديث رقم ٢٦٣٩ .

<sup>٥</sup> - المرجع السابق .

### سادسا : الدخول في معية الله .

إنّ الثمار المترتبة على الدخول في معية الله - سبحانه وتعالى - فوق ما يحيط به العقل ، أو يرقى إليه الخيال ، حيث بلوغ مقام القرب من الله - سبحانه وتعالى - ومن قربه الله منه فقد اصطفاه ، وكان من أهل المجالسة ، كما قال - سبحانه وتعالى - لسيدنا موسى - عليه السلام - عندما سأله فقال : أي رب أقرب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك (( قال يا موسى أنا جليس من ذكرني ))<sup>(١)</sup> .

وكذلك فإنه يكون من أهل المحادثة ، والإلهام ، كما قال - صلى الله عليه وسلم - : ((إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن كان في أممي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب ))<sup>(٢)</sup> .

ومن أدخله الله في معيته لا يمكنه أن ينتفت إلى معية من سواه ، وبذلك يكون كله خالصا لله كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿٢﴾ ﴾ .

قال البقاعي - رحمه الله - : (( ﴿ فاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا ﴾ والإخلاص : هو القصد إلى الله بالنية بلا علة ، أي : له وحده، ﴿ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ لأنه له الأمر والخلق لا يشاركه فيه أحد ، فكما تفرد بأن خلقك وخلق كل مالك من شيء فكذلك ينبغي أن تفرده بالطاعة ، ولأنه إذا عبده أحد مخلصا كفاه كل شيء ))<sup>(٤)</sup> .

١- ابن أبي شيبعة الكوفي . أبو بكر عبد الله بن محمد : ت ٢٣٥ ، مصنف ابن أبي شيبعة، تحقيق : كمال الحوت ، مكتبة الرشيد الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ ، ج ١ ص ١٠٨ حديث رقم ١٢٢٤ .

٢- البخاري . الصحيح ، ج ٣ ص ١٢٧٩ حديث رقم ٣٢٨٢ .

٣- سورة الزمر آية ٢- ٣ .

٤- البقاعي . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج ٦ ص ٤١٤-٤١٥ .

وأهل المعية هؤلاء هم الذين نالوا شرف معية نفس الدرجة التي نالها النبي - صلى الله عليه وسلم - في قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (١) .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بملازمة الذين يريدون أن يدخلوا في معيته سبحانه ، وأن يحافظ على معيتهم فقال تعالى مخاطبا نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (٢) ، فزهده الله في كل ما سواهم من البشر .

ولا شك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نال أعلى درجات المعية من الله ، فكان في كل حياته بدقائقها وثوانيتها لله - جل جلاله - وهذا ما لا يستطيعه أحد، إلا من أدخله الله في هذه المعية - ، وبذلك نال أعلى درجة في الإسلام لله ، من السابقين واللاحقين ، فاستحق بجدارة أن يكون أول المسلمين .

وهذا ما يدل عليه قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

قال سيد قطب - رحمه الله - : (( إنه التجرد الكامل لله ، بكل خلجة في القلب وبكل حركة في الحياة . بالصلاة والاعتكاف ، والمحيا والممات ، بالشعائر التعبدية ، وبالحياة الواقعية ، وبالممات وما وراءه . إنها تسيحة التوحيد

١ - سورة النساء آية ٦٩ .

٢ - سورة الكهف آية ٢٨ .

٣ - سورة الأنعام آية ١٦٢ .

المطلق ، والعبودية الكاملة ، تجمع الصلاة والاعتكاف والمحيا والممات ، وتخلصها لله وحده))<sup>(١)</sup> .

ولا شك أن من نال شرف هذه المعية كان أتقى الناس لله ، وأخشاهم له ، وأقومهم على أمره ، وأكثرهم معرفة بالله ، وأكرمهم على الله ، لا ترد له شفاعاة ، لو ردت شفاعاة أهل الأرض والسماء أجمعين ، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (( رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ))<sup>(٢)</sup> .

### سابعاً : الحكمة والعلم

لا شك أن العلم الذي يؤتية الله أهل محبته ورضوانه وصفوته من عباده ، هو من الثمار التي رفع الله بها الدرجات ؛ كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال ابن عجيبة - رحمه الله - : (( بامتثال أوامره وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، بالنصر وحسن الذكر في الدنيا ، والإيواء إلى غرف الجنان في الآخرة ﴾ و﴿ يرفع ﴾ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ خصوصاً ﴿ دَرَجَاتٍ ﴾ عالية ، بما جمعوا من أثري العلم والعمل ، فإن العلم مع علو رتبته يزيد مع العمل رفعة لا يدرك شأنها ، وفي هذه الدرجات قولان أحدهما : في الدنيا ، في الرتبة والشرف والتعظيم ، والآخر : في الآخرة ، وهو أرجح ))<sup>(٤)</sup> .

<sup>١</sup> - سيد قطب . في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٢٤٠ .

<sup>٢</sup> - النيسابوري . مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ٤ ص ٢٠٢٤ حديث رقم ٢٦٢٢ .

<sup>٣</sup> - سورة المجادلة آية ١١ .

<sup>٤</sup> - ابن عجيبة . البحر المديد ج ٧ ص ٣٤٣ .

وهذا العلم كما تشير الآية علم وهبي؛ لأنه يؤتاه الله لمن علمه وهو المعبر عنه بالحكمة في كثير من المواضع، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدَّكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾<sup>(١)</sup> .

قال البقاعي - رحمه الله - : ((واعلم أن الله عزيز حكيم يؤتي الحكمة وهي العلم بالأشياء على ما هي عليه ، المزين بالعمل ، والعمل المتقن بالعلم ))<sup>(٢)</sup> .

قال البروسوي : (( ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من عباده أي : يؤتيها إياه بموجب سعة فضله ، وإحاطة علمه ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴾ أي : يعط العلم والعمل ﴾ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ أي : خيرا كثيرا فإنه قد خير له خير الدارين ))<sup>(٣)</sup> .

وقد بين عظم مكانة أهل هذا العلم ومنزلتهم ؛ حيث أوحى كليمه موسى للتعلم من العبد الصالح - عليهما الصلاة والسلام - الذي قال الله - سبحانه - في حقه : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِبْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾<sup>(٤)</sup> .

وهذا العلم الذي نتكلم عنه : هو ما عرفه الراسخون في العلم ، وكشفوا عن حقيقته ، وهو المراد في الشرع ذكر السيوطي - رحمه الله - في الدر المنثور قال : (( وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال : العلماء بالله الذين يخافونه . وعن ابن مسعود قال : ليس العلم من كثرة الحديث ، ولكن العلم من الخشية . وعن يحيى بن أبي كثير قال : العلم من خشي الله ))<sup>(٥)</sup> ، كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾<sup>(٦)</sup> .

<sup>١</sup> - سورة البقرة آية ٢٦٩ .

<sup>٢</sup> - البقاعي . نظم الدرر ص ٥٢٤ ج ١ .

<sup>٣</sup> - البروسوي . روح البيان ج ١ ص ٥٢٧ .

<sup>٤</sup> - سورة الكهف آية ٦٥ .

<sup>٥</sup> - السيوطي . جلال الدين ، الدر المنثور ، ج ٧ ص ١٩ ، وانظر تفسير الطبري ، ج ٣ ص ٩٠ .

<sup>٦</sup> - سورة فاطر آية ٢٨ .

وعرف الإمام مالك العلم والحكمة بقوله (العلم والحكمة نور) <sup>(١)</sup>، ومعلوم أن النور يقذفه الله في قلب من آمن من عباده .

ولا شك أن أعظم ما خص الله به آدم - عليه السلام - هو هذا العلم اللدني الذي به رفع درجته على الملائكة ؛ حيث قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ قالوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون ﴾ <sup>(٢)</sup> فإنه بهذا العلم سما عليهم وشرف عليهم .

ولا شك أن علم الأنبياء كله من تعليم الله لهم ، وهو علم وهبي لا كسبي كما قال - سبحانه وتعالى - عن سيدنا يعقوب - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُو عَلِيمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وعلم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - هذا هو الذي ورثوه كما يشهد بذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم - (( العلماء ورثة الأنبياء )) <sup>(٤)</sup> ، ولذلك أحقهم الله بالنبيين وأعلى منازلهم.

١- ألعمرى . صالح بن محمد بن نوح : (ت ١٢١٨) ، إيقاظ هم أولي الأبصار ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٨هـ - ص ٢٤ .  
٢- سورة البقرة آية ٣١ - ٣٣ .  
٣- سورة يوسف آية ٦٨ .  
٤- صحيح ابن حبان ، ج ١ ص ٢٨٩ حديث ٨٨ .

## ثامنا : استحقاقهم البشارة من الله والكرامة.

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾<sup>(١)</sup> ، ذكر الطبري عن ابن عباس وغيره من الصحابة - رضي الله عنهم - في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ قال : (( هي الرؤيا الحسنة يراها العبد المسلم لنفسه ، أو لبعض إخوانه ، وذكر عن أبي جعفر قوله : وفيها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله ، كما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : (إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان .. قال فلا يزال يقال ذلك حتى تخرج )<sup>(٢)</sup> . ثم قال منها بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الثواب الجزيل كما قال - جل ثناؤه - ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> . وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا ، بشره بها. ولم يخص الله من ذلك معنى دون معنى ، فذلك مما عمه - جل ثناؤه - : أن ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وأما في الآخرة فالجنة ))<sup>(٤)</sup> .

و قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى

<sup>١</sup> - سورة يونس آية ٦٤ .

<sup>٢</sup> - الشيباني . أحمد بن حنبل : مسند أحمد ، ج ٢ ص ٣٦٤ حديث رقم ٨٧٥٤ .

<sup>٣</sup> - سورة البقرة آية ٢٥ .

<sup>٤</sup> - الطبري . تفسير الطبري ، ج ٦ ص ٥٨١-٥٨٢ .



يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ<sup>(١)</sup> ، وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ<sup>(٢)</sup> ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ<sup>(٣)</sup> ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ<sup>(٤)</sup> .

ولا شك أن البشارة تتلج الصدور وتفرح القلوب بما تزيد العبد ثباتا واستقامة ورضا وقناعة ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ قَبْدَلِكْ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ، قال الشوكاني - رحمه الله - (( المراد بالفضل من الله - سبحانه وتعالى - : هو تفضله على عباده في الأجل والعاجل مما لا يحيط به الحصر . والرحمة: رحمته لهم. ﴿قَبْدَلِكْ فَلْيَفْرَحُوا﴾ أي: إن فرحوا بشيء فليخصوا فضل الله ورحمته بالفرح؛ برسائل الجامعة والفرح: هو اللذة في القلب بسبب إدراك المطلوب . وقد ذم الله الفرح في مواطن كقوله ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾<sup>(٦)</sup> ، وجوزة في قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٧)</sup> ))<sup>(٨)</sup> .

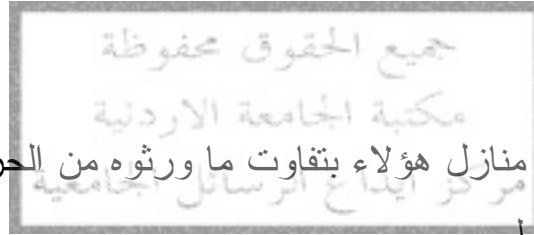
جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الأردنية  
مؤسسة أبحاث الرسائل الجامعية

<sup>١</sup> - سورة هود آية ٧٤ .  
<sup>٢</sup> - سورة الزمر آية ١٧ .  
<sup>٣</sup> - سورة آل عمران آية ١٢٦ .  
<sup>٤</sup> - سورة الأنفال آية ١٠ .  
<sup>٥</sup> - سورة يونس آية ٥٨ .  
<sup>٦</sup> - سورة القصص آية ٧٦ .  
<sup>٧</sup> - سورة آل عمران آية ١٧٠ .  
<sup>٨</sup> - الشوكاني . محمد بن علي ، فتح القدير ج ٢ ص ٦٣٦ .

وقد بين الله أن أكثر الناس كرامة عند الله هم أتقاهم الله ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾<sup>(١)</sup> .

وأعظم هذه الكرامة أن يجعل الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - مصدر خير ورحمة وأمان لقومه ومن هم في معيته كما قال - سبحانه وتعالى - مخاطباً نبيه - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : (( أنا أمانة لأصحابي ، فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمانة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ))<sup>(٣)</sup> .



وتتفاوت منازل هؤلاء بتفاوت ما ورثوه من الحرمة التي أورها الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - .

<sup>١</sup> - سورة الحجرات آية ١٣ .

<sup>٢</sup> - سورة الأنفال آية ٣٣ .

<sup>٣</sup> - النيسابوري . مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، ج ٤ ص ١٩٦١ حديث رقم ٢٥٣١ .

## المبحث الثاني

### الثمار الدنيوية التي وعد الله أهل الاستقامة بها :

لقد رتب الله ثمارا كثيرة على الالتزام بمنهج الاستقامة ، وهذه الثمار تعتبر كالنتيجة المترتبة على الاستقامة بأشمل معانيها ، وهي في نفس الوقت دليل فعلي وميزان قويم ؛ على صدق الالتزام بالاستقامة ، فإن التظاهر بالاستقامة لا يجلب أي ثمرة من الثمار التي وعد الله عبادة المخلصين والصادقين .

وإذا أردنا أن نستعرض هذه الثمار فإننا نجد أنها منتشرة في القرآن الكريم كنتيجة لكل ثوابت الاستقامة من الإسلام الحق ، والإيمان الصدق ، و التقوى الحق ، والإحسان الشامل في كل الأعمال والأقوال. فوظة  
وأعظم هذه الثمار التي يجنيها أهل الاستقامة في الحياة الدنيا قبل الآخرة ما يأتي :  
مركز أيداع الرسائل الجامعية

### أولا : تكفير السيئات وغفران الذنوب

مما لا شك فيه أن ارتكاب السيئات وكثرة الذنوب تورث في القلب ظلمة، وللبصيرة عمى كما قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾<sup>(١)</sup> قال الراغب : (( الرين صداً يعلو الشيء الجليّ قال - سبحانه - ﴿ بَلْ رَانَ... ﴾ أي صار ذلك كصداً على جلاء قلوبهم، فعمي عليهم معرفة الخير من الشر ))<sup>(٢)</sup> .

وقال الشوكاني : قال أبو عبيدة : (( ﴿ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ أي : غلب عليها ريناً وريونا ، وكل ما غلبك وعلاك فقد ران بك وران عليك . وقال الفراء : هو أنها كثرت منهم المعاصي والذنوب فأحاطت بقلوبهم ، فذلك الرين عليها. قال

<sup>١</sup> - سورة المطففين آية ١٤ .

<sup>٢</sup> - الأصفهاني . الراغب المفردات ص ٣٧٣ .

الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب ، قال مجاهد : القلب مثل الكف ، ورفع كفه فإذا أذنب انقبضت وضم إصبعه ، فإذا أذنب ذنباً آخر انقبض وضم أخرى ، حتى ضم أصابعه كلها حتى يطبع على قلبه. وقال: وكانوا يرون ذلك هو الرين ((<sup>(١)</sup>).

وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾<sup>(٣)</sup> .

روى النيسابوري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (( إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها قلبه ، وإن زاد زادت حتى يعلق بها قلبه ، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه ))<sup>(٤)</sup> .

والحياة في مثل هذه الحالة تكون مليئة بالأحزان ، والهموم ، والنكد ، والتخبط ، والحيرة ، والضلال ، والانزلاق في سبيل الشيطان ، حيث يسهل عليه السير في طريق الشرور والآثام ، الجالبة له ولأهل بيته كل الأذى والمصائب والآلام .

من هنا نلاحظ مدى عظم هذه النعمة ؛ حيث يزيل الله بمغفرته للعبد المنيب إليه والمقبل على طاعته كل آثار الذنوب والسيئات التي جناها على نفسه .

<sup>١</sup> - الشوكاني . محمد بن علي فتح القدير: ص ٥٣٢ ج ٥ ، انظر سيد قطب : إبراهيم حسين شاذلي ، ت ١٩٦٥ ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت - القاهرة الطبعة التاسعة ، ١٤٠٠-١٩٨٠ ، ج ٦ ص ٣٨٥٨ .

<sup>٢</sup> - سورة الحج آية ٤٦ .

<sup>٣</sup> - سورة طه آية ١٢٤ .

<sup>٤</sup> - النيسابوري . المستدرک علی الصحیحین ، ج ٢ ص ٥٦٢ حديث رقم ٣٩٠٨ .

وهذه أول ثمرات الاستقامة تحصل للعبد مع أول خطوة يخطوها بكل نية صادقة يتوجه بها إلى الله .

قال الله - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين<sup>(١)</sup> . قال الشوكاني في تفسير هذه الآية : (( قيل: هي الصغائر. وقوله ﴿ وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ قيل: هي الكبائر، والظاهر أن الذنوب تعم على كل ما يسمى ذنباً صغيراً أو كبيراً ، والإسراف ما فيه مجاوزة للحد ))<sup>(٢)</sup> . والآيات في هذا المقام كثيرة ، يطول بنا الأمر إذا أحصيناها ، ولكن يكفي الإشارة إلى أن هذه المغفرة جعلت في القرآن الكريم أعظم نعمة من كل ما حققه الذين جمعوا كل ما في الدنيا من زينة وحطام . قال - تعالى - : ﴿ وَلَئِنْ قُنَيْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِنْكُمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

## ثانيا : السعة مع الهناءة في العيش .

هذه ثمرة من الثمار المترتبة على الالتزام بالصراف المستقيم ، يقول الله - تعالى - : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقال - تعالى - : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ

<sup>١</sup> - سورة آل عمران آية ١٤٧-١٤٨ .

<sup>٢</sup> - الشوكاني . محمد بن علي فتح القدير ج١ ص ٦٣١ .

<sup>٣</sup> - سورة آل عمران آية ١٥٧ .

<sup>٤</sup> - سورة نوح آية ١٠-١٢ .

كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾ . وذلك بأن يبارك في الماء النازل من السماء ، و يبارك في النبات الخارج من الأرض وهو سر الهناءة في العيش كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ (٢) . فهذه البركات كثيرة غير محصورة ، منها المعنوي ومنها المادي .

قال البروسوي مفسرا للآية سابقة الذكر : (( لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب فكان ما أصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الأرض . وأكثر أهل التفسير على أن بركات السماء هي المطر، وبركات الأرض النبات والثمار )) (٣) .  
 وذكر الألووسي من جملة الأقوال التي ذكرها : (( أن المراد بالبركات السماوية والأرضية ، الأشياء التي تحمد عواقبها ويسعد في الدارين صاحبها ، وقد جاءت البركة بمعنى السعادة في كلامهم ، فلتحمل هنا على الكامل من ذلك الجنس ولا يفتح إلا للمؤمن )) (٤) .

### ثالثا : عناية الله ورعايته وولايته :

مما لا شك فيه أن هذه الأشياء من أجل النعم لأهل الاستقامة في الحياة الدنيا ، فعناية الله ورعايته لعبده تحفظه من كل الشرور والآثام ، وتحفظه من دهاء ومكر الأعداء من شياطين الجن والإنس .  
 وولاية الله له تخرجه من كل الظلمات ظلمات النفس ، والهوى ، والعصبية ، وسوء الأخلاق ، إلى نور الهداية ؛ حيث السكينة تملأ القلب ، والرحمة تشرح

١ - سورة الأعراف آية ٩٦ .

٢ - سورة المائدة آية ٦٦ .

٣ - البروسوي . روح البيان ج ٣ ص ٢٦٤ .

٤ - الألووسي . روح المعاني ج ٩ ص ١٧ .

الصدر ، وحيث محبة الخير للكل ، والرفق بالخلق والإحسان إليهم ، هو دينهم وطابعهم الذي يفطرون عليه قال - تعالى - : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (١) .

ولا شك أن هذه الآية تشمل بالإضافة إلى الثمار الدنيوية الكثير من الثمار الدينية، حيث محبة الإيمان ، والمسارة إلى عمل الصالحات، كما قال سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (٢) .

قال سيد قطب في تفسير هذه الآية: (( إن الإيمان نور يشرق به كيان المؤمن أول ما ينبثق في ضميره ، نور يكشف حقائق الأشياء ، وحقائق القيم وحقائق التصورات ، فيراها قلب المؤمن واضحة بغير غبش ، بينة بغير لبس ، وبهذا النور يكشف الطريق إلى الناموس الكوني . فيطابق المؤمن بين حركته وحركة الناموس الكوني من حوله ومن خلاله ؛ ويمضى في طريقه إلى الله هيناً ليناً لا يتعسف ولا يصطدم بالنتوءات ، ولا يخبط هنا وهناك . فالطريق في فطرته مكشوف معروف ، وهو نور واحد يهدي إلى طريق واحد ... ، وما يترك الإنسان نور الله الواحد الذي لا يتعدد ، نور الحق الواحد الذي لا يلتبس، حتى يدخل في الظلمات من شتى الأنواع وشتى الأصناف وكلها ظلمات والعاقبة هي اللاتئة بأصحاب الظلمات)) (٣) .

وهذا مصداق قوله سبحانه : ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾ (٤) .

١ - سورة البقرة آية ٢٥٧ .

٢ - سورة الحجرات آية ٧ .

٣ - سيد قطب . في ظلال القرآن ، ج ٣ ص ٤٢٨-٤٢٩ .

٤ - سورة الزمر آية ٢٢ .

قال أبو السعود: (( ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ ﴾ أي : ولكنه تعالى جعل الإيمان محبوبا لديكم ﴿ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ حتى رسخ حبه فيها ؛ ولذلك أتيتم بما يليق به من الأقوال ، والأفعال ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ ﴾ ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من آثارها وأحكامها ))<sup>(١)</sup> .

### رابعاً : تزكية النفس وتطهير القلب

حيث تزكو النفس ويتطهر القلب من كل آثار الشرك الجلي ، والخفي وذلك بما ينزله الله تعالى على قلوبهم من أنوار هدايته ، ويعلمه بفضله أسرار حكمته ، قال - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾<sup>(٢)</sup>

يبين ابن منظور معنى الزكاء فيقول : (( الزكاء : النماء والريع ، وأرض زكية : طيبة سميحة ، والزكاء : زكاة المال معروفة ، وهو تطهيره ، والزكاء صفة الشيء ، وزكا الرجل : تتعم وكان في خصب ))<sup>(٣)</sup> .

وقال الشوكاني مفسرا لهذه الآية : (( ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أي : يطهرهم من دنس الكفر و الذنوب...، وقيل يجعلهم أزكيا القلوب بالإيمان ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ المراد بالكتاب القرآن ، والحكمة السنة ، كذا قال الحسن. ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ أي: وإن كانوا من قبل بعثته فيهم في شرك وذهاب عن الحق))<sup>(٤)</sup> .

<sup>١</sup> - أبو السعود . إرشاد العقل السليم ج ٦ ص ١١٥ .

<sup>٢</sup> - سورة الجمعة آية ٢ .

<sup>٣</sup> - ابن منظور . لسان العرب ، ج ٦ ص ٦٤ - ٦٥ بتصرف .

<sup>٤</sup> - الشوكاني . محمد بن علي فتح القدير ج ٥ ص ٢٩٩ .



وقال أبو السعود فيها: (( التزكية : هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية ، وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية ؛ الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة ))<sup>(١)</sup> .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال ابن عاشور - رحمه الله: - (( أي: لولا فضله بأن هداكم إلى الخير ، ورحمته بالمغفرة عند التوبة ، ما كان أحد من الناس زاكيا ؛ لأن فتنة الشيطان فتنة عظيمة ، لا يكاد يسلم منها الناس لولا إرشاد الدين ))<sup>(٣)</sup> .

وقال سيد قطب : (( فنور الله الذي يشرق في القلب يطهره ويزكيه ، ولولا فضل الله ورحمته لم يزك من أحد ولم يتطهر، والله يسمع ويعلم ، فيزكي من يستحق التزكية ، ويطهر من يعلم فيه الخير والاستعداد ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ))<sup>(٤)</sup> .  
وبين - جل جلاله - عظم ما خص به آل بيت النبوة الأخيار بقوله - سبحانه - : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾<sup>(٥)</sup> .

هذا التطهير الذي به يكونون أهلاً لحمل الأمانة ، وإرث الرسالة ، بكل ما تضمناهما من شرف ورفعة، و منزلة وعظيم مكانة .

قال البيضاوي : (( وتخصيص أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما لما روي عن عائشة أنها قالت : (خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ،

<sup>١</sup> - أبو السعود . إرشاد العقل السليم ، ج ٦ ص ٢٤٧ .

<sup>٢</sup> - سورة النور آية ٢١ .

<sup>٣</sup> - ابن عاشور . التحرير و التتوير ، ج ١٩ ص ١٨٧ .

<sup>٤</sup> - سيد قطب . في ظلال القرآن ، ج ٤ ص ٢٥٠٤ .

<sup>٥</sup> - سورة الأحزاب آية ٣٣ .

ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (١) ((٢) .

قال ابن عجيبة : (( وإنما قال ﴿عَنْكُمْ﴾ لأنه أريد الرجال والنساء )) (٣) .

فدلالة الآية عامة وليست خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابن عاشور - رحمه الله - : (( والمعنى : وما يريد الله مما أمركنّ ونهاكنّ إلا عصمتكنّ من النقائص وتحليتنّ بالكمالات ودوام ذلك ، أي : لا يريد من ذلك مقنا لكنّ ولا نكايه . والآية تقتضى أن الله عصم أزواج نبيه - صلى الله عليه وسلم - من ارتكاب الكبائر وزكى نفوسهنّ ذلك )) (٤) .

قال - تعالى - في شأن قرآنه العظيم ، وخزائن علمه في الكتاب المكنون :

﴿ إِنَّهُ لَفُرْقَانٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٢﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (٥) .

وهذه أعظم الثمار الدينية والدينية ؛ فإن المكانة التي نالها آدم - عليه السلام - ، وكل رسل الله ؛ بحمل الأمانة . لم تبلغها الملائكة الكرام بل أسجد الله الملائكة لآدم عليه السلام ، سجود إعظام وإكبار وإجلال اعترافاً بمنزلته عند الله ، وكرامته لديه .

**خامسا : إخراج العبد من كل ضيق ألم به ، وتفريج كل كرب عنه .**

قال - تعالى - : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا

يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٢﴾ ﴾ . وروى الطبري - رحمه الله - في

تفسيره عن ابن عباس قوله - رضي الله عنه - : (( نجاته من كل كرب في الدنيا

١ - مسلم . الصحيح ج ٤ ص ١٨٨٣ حديث رقم ٢٤٢٤ .

٢ - شيخ زاده . الحاشية على تفسير البيضاوي ج ٧ ص ٦٣٥ .

٣ - ابن عجيبة . البحر المديد ج ٦ ص ٢٥ .

٤ - ابن عاشور . التحرير والتنوير ، ج ٢٢ ص ١٤ .

٥ - سورة الواقعة آية ٧٧-٧٩ .

٦ - سورة الطلاق آية ٢-٣ .

والآخرة . وعن الربيع بن خثيم - رضي الله عنه - قال : من كل شيء ضاق على الناس . وعن قتادة - رضي الله عنه - قال : من حيث لا يرجو ولا يأمل<sup>(١)</sup> .  
وروى السيوطي - رحمه الله - عن عائشة - رضي الله عنها - : (( قال :  
يكفيه هم الدنيا وغمها ))<sup>(٢)</sup> .

وقال - سبحانه - في حق سيدنا يونس - عليه أفضل الصلاة والسلام -  
﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ، فجعلها الله باب رحمة  
وفضل لكل المؤمنين من بعده . قال الشوكاني - رحمه الله - : (( ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾  
بإخراجنا له من بطن الحوت حتى قذفه إلى الساحل ، ﴿وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي :  
نخلصهم من همهم بما سبق من عملهم وما أعدناهم لهم من الرحمة ))<sup>(٤)</sup> .

وقال - تعالى - : ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ  
مِّنَّا﴾<sup>(٥)</sup> ، ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ، ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ  
آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾<sup>(٧)</sup> ، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾<sup>(٨)</sup> .

وفي السنة الشريفة الكثير من الآثار الدالة على ذلك ، وقصة الثلاثة الذين  
أووا إلى الكهف وانسد عليهم وتوجهوا إلى الله بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم ما  
كانوا فيه من ضيق<sup>(٩)</sup> .

١ - الطبري . الطبري ، ج ١٢ ص ١٣٠-١٣١ ، حديث رقم ٣٤٢٨٣ ، ٣٤٢٨٤ ، ٣٤٢٩١ .  
٢ - السيوطي . الدر المنثور ج ٨ ص ١٨٥ .  
٣ - سورة الأنبياء آية ٨٨ .  
٤ - فتح القدير ج ٣ ص ٥٧٥ .  
٥ - سورة هود آية ٩٤ .  
٦ - سورة فصلت آية ١٨ .  
٧ - سورة هود آية ٥٨ .  
٨ - سورة الأنفال آية ٣٠ .  
٩ - العسقلاني . فتح الباري ج ٤ ص ٤٠٩ .

وإخراجه كذلك ليوسف -عليه السلام- من السجن سالما معافى ، دون أن يؤثر ذلك في شيء من يقينه بالله، وسلامة نفسه وجسده آية للمحسنين .

### سادسا: التمكين في الأرض ونصرتهم على الأعداء

وإذا علمنا أن العبادة بمعناها الواسع هي عنوان الصراط المستقيم ، أدركنا عظيم الثمرة ، وجلال العطاء الإلهي ، لأهل الاستقامة على أمره ، من حملة الرسالة، وورثة الأمانة ، وكيف يهيئ لهم أسباب التمكين والنصرة على الكافرين ؛ بما يؤيدهم به من آيات قدرته، ويكفيهم شرَّ أعدائهم من الكافرين والمنافقين .

قال تعالى ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٢) ، قال الشوكاني - رحمه الله - : (( قال الزجاج: الزبور جميع الكتب ؛ التوراة والإنجيل والقرآن ؛ لأن الزبور والكتاب في معنى واحد، يقال زبرت وكتبت، وقد اختلف في معنى ﴿ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ والظاهر أن هذا تبشير لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - بوراثة أرض الكافرين، وعليه أكثر المفسرين )) (٣) .

١ - سورة النور آية ٥٥

٢ - سورة الأنبياء آية ١٠٥-١٠٦ .

٣ - الشوكاني . محمد بن علي ، فتح القدير ج ٣ ص ٥٨٧ .

وقد مكن الله لنوح -عليه السلام- ولمن آمن معه في الأرض ، وأورثهم إياها بعد أن امتلأت بالكافرين ، ومكن لذي القرنين قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا<sup>(١)</sup> .

قال الشوكاني- رحمه الله - : (( أقدرناه بما مهدنا له من الأسباب ، فجعلنا له مكنة وقدرة على التصرف فيها ، وسهل عليه المسير في مواضعها ، وذلك له طرقها حتى تمكن منها أين شاء وكيف شاء ))<sup>(٢)</sup> .

وكذلك مكن الله لهود وصالح ومكن الله لموسى - عليهم أفضل الصلاة والتسليم - بعد أن كفاهم شر أعدائهم ، وأورثهم أرضا وملكا ، ومكن لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- في الأرض ونصره على الكافرين ، حتى بلغت دعوته مشارق الأرض ومغاربها .

وهذا مصداق قوله - تعالى- : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾<sup>(٣)</sup> ، قال الشوكاني- رحمه الله- : (( أي: نجعلهم الغالبين لأعدائهم القاهرين لهم .. أي: لننصر رسلنا، وننصر الذين آمنوا معهم ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ بما عودهم الله من الانتقام منهم بالقتل والسلب والأسر والقهر ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ وهو يوم القيامة))<sup>(٤)</sup> .

وقال سيد قطب- رحمه الله- : (( ... ولقد اطلعت منه البشرية على مثل؛ من نهاية الحق والباطل. نهايتهما في هذه الأرض ، ونهايتهما كذلك في الآخرة، ورأت كيف كان مصير فرعون وملئه في الحياة الدنيا، كما رأوهم يتحاجون في

<sup>١</sup> - سورة الكهف آية ٨٤-٨٥ .

<sup>٢</sup> - الشوكاني . فتح القدير ج ٣ ص ٤٢٤ ، سيد قطب . في ظلال القرآن ج ٥ ص ٤٠٨ بتصريف .

<sup>٣</sup> - سورة غافر آية ٥١

<sup>٤</sup> - الشوكاني . فتح القدير ج ٤ ص ٦٥٠ .

النار، وينتهون إلى إهمال وصغار، وذلك هو الشأن في كل قضية كما يقرر القرآن<sup>(١)</sup> . يقول - سبحانه - : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . ولا شك أن النصر على الأعداء شامل كذلك نصرهم على أنفسهم ، وعلى كيد الشياطين ومكرهم .

### سابعاً : الثبات في الشدائد

معلوم أن الشدائد محك الرجال، وقلّ من يثبت منهم في الفتن والبلاء، سواءً منها إغراءات الدنيا من المال ، والجاه ، والملك، والنساء ، أو بالضيق ، والشدّة ، والأذى ، وسلب الأموال والأوطان ، وقهر الأعداء . وقد جعل الله البلاء محور الامتحان لعباده ، بما هو محل رغبات النفوس، ليلبو شكرهم ، أو ما هو مكروه ليلبو صبرهم . وقد منّ الله على أهل الاستقامة ، بالثبات الحق ، في كل مواطن الابتلاءات مهما كلفهم من ثمن ، قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِّلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾<sup>(٣)</sup> . أخرج البخاري عن البراء بن عازب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :- ((المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِّلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ))<sup>(٤)</sup> . يقول سيد قطب : (( يثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا ، ويثبتهم بكلمات القرآن وكلمات الرسول، وبوعده الحق بالنصر في الدنيا، والفوز في الآخرة ، وكلها

<sup>١</sup> - سيد قطب . في ظلال القرآن ج٧ ص١٨٨ .

<sup>٢</sup> - سورة الروم آية ٤٧ .

<sup>٣</sup> - سورة إبراهيم آية ٢٧ .

<sup>٤</sup> - البخاري . الصحيح ج٤ ص ١٧٣٥ حديث رقم ٤٤٢٢ .

كلمات ثابتة صادقة حقه ، لا تتخلف ولا تتفرق بها السبل ، ولا يمس أصحابها قلق ولا حيرة ولا اضطراب))<sup>(١)</sup> .

وقد أعلمنا الله شدة الابتلاء بالكافرين ، ووسائلهم في تثبيط المؤمنين ، حتى يشعروا بالضرورة لموالاتهم ، أو التنازل عن شيء من دينهم في خطابه للنبي - صلى الله عليه وسلم - تحذيرا من ذلك ، وبيانا لفضله السابق قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿١﴾ إِذَا لَأَذْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، قال سيد قطب : (( يعدد السياق محاولات المشركين مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأولها محاولة فتنته عما أوحى الله إليه ، ليفتري عليه غيره ، وهو الصادق الأمين ، لقد حاولوا هذه المحاولة في صور شتى ، منها مساومتهم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التنديد بآلهتهم وما كان عليه أبائهم .. ، ومنها طلب بعض الوجهاء أن يجعل لهم مجلسا غير مجلس الفقراء .. ، والنص يشير إلى هذه المحاولات ولا يفصلها ، ليذكر فضل الله على الرسول في تثبيته على الحق ، وعصمته من الفتنة ، ولو تخلى عنه تثبت الله وعصمته لركن إليهم فاتخذوه خليلا. وللقي عاقبة الركون إلى فتنة المشركين ، وهي مضاعفة العذاب في الحياة والممات ، دون أن يجد له نصيرا منهم يعصمه من الله))<sup>(٣)</sup> .

وقال أبو السعود - رحمه الله - : (( أي : لولا تثبتنا لك لقاربت أن تميل إليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خداعهم وشدة احتيالهم ، لكن أدركتك العصمة

<sup>١</sup> - سيد قطب . في ظلال القرآن ج٤ ص٢٠٩٩ .

<sup>٢</sup> - سورة لإسراء آية ٧٤ .

<sup>٣</sup> - سيد قطب . في ظلال القرآن ج٤ ص٢٢٤٥ .

فمنعتك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون إليهم فضلا عن نفس الركون...، وهذا دليل على أن العصمة بتوفيق الله وعنايته<sup>(١)</sup> .

وقال الله - تعالى - مبينا منته وفضله في تثبيت المؤمنين يوم بدر : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ويقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> . ويقول سبحانه : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَكُم كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

ومظاهر هذا كثيرة في القرآن الكريم ، من فضل الله على سحرة فرعون لما آمنوا ثبتهم على الإيمان ، رغم كل صنوف التهديد والوعيد ، وكذلك أصحاب الأخدود .

### ثامنا : الأمن والطمأنينة

إن أعظم ما امتن الله به على عباده المؤمنين حقا بالله ، والموفون عهدهم بالله ؛ هو نعمة الأمن ، وهذه النعمة تشمل الكثير من المنن الإلهية ، التي تنتسج لها كلمة الأمن ، والحياة الدنيوية لا يمكن أن تستقر ويهنأ أهلها بها إذا فقدوا عنصر الأمن والطمأنينة ، فإن عدم أمن الإنسان على نفسه ، أو ماله ، أو عرضه ، أو

<sup>١</sup> - أبو السعود ج٤ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

<sup>٢</sup> - سورة أنفال آية ١١ - ١٢ .

<sup>٣</sup> - سورة آل عمران آية ١٢٣ .

<sup>٤</sup> - سورة التوبة آية ٢٥ .



أرضه ، يجعله في قلق دائم ، وتوتر أعصاب مستمر ، مما يفقد الحياة معناها ، والبناء ركنه الأساس .

والأمن شامل للعديد من مظاهر الحياة الكونية ؛ كالزلازل ، والبراكين، والأوبئة العامة ، وتسلب الأعداء، وكل صنوف العذاب التي أهلك الله بها الأقسام السابقين لما ظلموا وأفسدوا في الأرض ، فالاستقامة على الصلاح في القول والعمل، وتقوى الله أمان من كل أنواع الهلاك التي عاقب الله بها الظالمين . حيث قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (١) .

قال ابن عاشور - رحمه الله - : (( ﴿ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾ أشارت اللام إلى أن الأمن مختص بهم وثابت ، وهو أبلغ من أن يقال : آمنون . والمراد الأمن من عذاب الدنيا بالاستئصال ونحوه ، وما عذبت به الأمم الجاحدة ، ومن عذاب الآخرة..، والتعريف في ﴿ الْأَمْنُ ﴾ تعريف الجنس ، وهو الأمن المتقدم ذكره ، لأنه جنس واحد)) (٢) .

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلَهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (٣) ، قال سيد قطب - رحمه الله - : (( وهذه الإشارة تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم ؛ فالأمة التي يقع فيها الفساد بتعبيد الناس لغير الله ، في صورة من صوره ، فيجد من ينهض لدفعه هي أمم ناجية ، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير..، فأصحاب الدعوة إلى ربوبية الله وحده ، وتطهير الأرض من الفساد الذي يصيبها بالدينونة لغيره ، هم صمام الأمان للأمم والشعوب وهذا يبرز قيمة كفاح المكافحين لإقرار ربوبية الله وحده ، والواقفين للظلم والفساد بكل صورته ، إنهم

١ - سورة لأنعام آية ٨٢ .

٢ - ابن عاشور. التحرير والتوير ج٧ ص ٣٣٣ .

٣ - سورة هود آية ١١٧ .

لا يؤدون واجبه لربهم ولدينهم فحسب ، إنما هم يحولون بهذا دون أمهم وغضب الله ، واستحقاق النكال والضياع))<sup>(١)</sup> .

وقال - سبحانه و تعالى - : ﴿ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ أم أمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴿ (٢) ، ﴿أَمِنتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾<sup>(٣)</sup> .

والأمن كذلك شامل لأنواع كثيرة ؛ كالأمن النفسي ، والاجتماعي ، والغذائي ، والصحي ، والسياسي ، فإن عدم توفر عناصر الأمن هذه في الحياة تتغص العيش وتورث الهم والحزن ، وهذا ما بشر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المؤمنين حيث قال : ((والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ))<sup>(٤)</sup> ولقد امتن الله على عباده بهذه النعمة في قوله - سبحانه وتعالى - :

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> .

قال ابن عجيبة : (( أي اذكروا هذه النعمة، حيث كنتم بمكة وأنتم قليل عددكم مع كثرة عدوكم ﴿مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي أرض مكة ، يستضعفكم أهل قريش ويعذبونكم ويضيقون عليكم..، ﴿فَآوَاكُمْ﴾ إلى المدينة ، وجعلها لكم مأوى تتحصنون بها من أعدائكم ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾ أي : قواكم ﴿بِنَصْرِهِ﴾ على الكفار ، أو

<sup>١</sup> - سيد قطب . في ظلال القرآن ج٤ ص ١٩٣٣ .

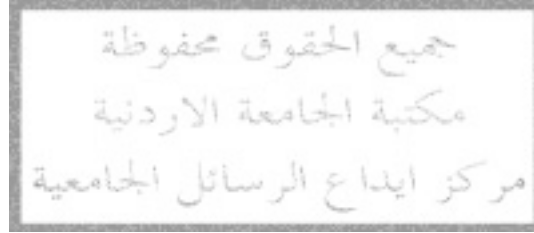
<sup>٢</sup> - سورة الملك آية ١٦-١٧ .

<sup>٣</sup> - سورة الإسراء آية ٦٨

<sup>٤</sup> - البخاري . الصحيح ج ٣ ص ١٣٢٢ .

<sup>٥</sup> - سورة الأنفال آية ٢٦ .

بمظاهرة الأنصار، أو بإمداد الملائكة يوم بدر ﴿وَرَزَقْنَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعمة. والخطاب للمهاجرين وقيل: للعرب كافة؛ فإنهم كانوا أذلاء في أيدي فارس والروم، يخافون أن يتخطفهم الناس من كثرة الفتن، فكان القوي يأكل الضعيف منهم، فأواهم الله إلى الإسلام، فحصل بينهم الأمن والأمان، وأيدهم بنصره، حيث نصرهم على جميع الأديان، وأعزهم بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ورزقهم من الطيبات حيث فتح عليهم البلاد، وملكوا ملك فارس والروم، فملكوا ديارهم وأموالهم ((<sup>١</sup>)).



<sup>١</sup> - ابن عجيبة البحر المديد ج٣ ص٢٠ - ٢١

### المبحث الثالث

#### الثمار الأخروية التي بشر الله المؤمنين بها

إن الثمار الأخروية التي رتبها الله جل جلاله على الاستقامة لا يستطيع أحد أن يحيط بها لأن معظمها قد أخفاه الله كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> ، ولكننا نحاول أن نشير إلى بعض هذه الثمار التي تضمنتها آيات الكتاب المبين والتي قد يصعب حصرها كذلك . وأكثر هذه الثمار التي ترداد ذكرها في الآيات هي دخول الجنة .

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقال - سبحانه - : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾<sup>(٦)</sup> .

<sup>١</sup> - سورة السجدة آية ١٧ .

<sup>٢</sup> - سورة التوبة آية ١١١ .

<sup>٣</sup> - سورة الحجرات آية ٤٥ .

<sup>٤</sup> - سورة البقرة آية ٨٢ .

<sup>٥</sup> - سورة البقرة آية ٢٢١ .

<sup>٦</sup> - سورة النساء آية ١٢٤ .

وقد كشفت الآيات عن صنوف النعيم الذي ينالونه في الآخرة من اللباس والمأكل والمشرب ، والهناءة في العيش والسلامة من كل ما يكدر صفوهم أو يحجب المسرة عنهم ، إلى غير ذلك من صنوف الكرامة والتكريم ، لكن الذي نريد أن نشير إليه بعض الخصوصيات لأهل الإحسان والاستقامة ومنها ما يلي :

### أولا : أمنهم من الخوف والحزن وتلقى الملائكة لهم بالبشرى والتكريم لأنهم وفد الرحمن الرحيم.

يقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ

هَذَا يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

قال أبو السعود - رحمه الله - : (( لا يحزنهم القزع الأكبر )) بيان نجاتهم من الأفراع بالكلية ، بعد بيان نجاتهم من النار، لأنهم إذا لم يحزنهم أكبر الأفراع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة . ﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ أي : تستقبلهم مهنتين لهم ﴿ هَذَا يَوْمَئِذٍ ﴾ أي : قائلين هذا اليوم يومكم ﴿ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا ، وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الإيمان والطاعات ، وهذا كما ترى صريح في أن المراد بالذين سبقت لهم الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالأعمال الصالحة))<sup>(٢)</sup> .

و قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ ﴾<sup>(٣)</sup>

قال أبو السعود : (( كأنه قيل: يوم يحشر المتقين أي نجعلهم ﴿ إِلَى الرَّحْمَنِ ﴾ إلى

<sup>١</sup> - سورة الأنبياء آية ١٠٣

<sup>٢</sup> - أبو السعود . تفسير أبو السعود ، ج ٤ ص ٣٦٠ .

<sup>٣</sup> - سورة مريم آية ٣٥

ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة ﴿وَقَدَّأ﴾ وافدين عليه ، كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم))<sup>(١)</sup> .

ولا شك أن هذا من أعظم التكريم والخصوصية فإن سوق الناس إلى المحشر تتفاوت فيه درجات التكريم على درجاتهم من التقوى والاستقامة ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup> قال أبو السعود - رحمه الله - : (( ﴿ مِنْ فَزَعٍ ﴾ أي : عظيم هائل لا يقدر قدره ؛ وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات ، وعن الحسن - رحمه الله تعالى - حيث يؤمر بالعبء إلى النار))<sup>(٣)</sup> .

و قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ أَهْوَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾<sup>(٤)</sup> و قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٥)</sup> .

### ثانيا : خصوصيتهم بظل العرش

فعلى الرغم مما يتعرض له الناس في المحشر من هول وشدة وكرب عظيم؛ حيث تدنوا الشمس من رؤوس الخلائق ، فإن هؤلاء يخصصهم الله بكرامة منه في الدار الآخرة ؛ بأن يظلهم بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، ويجلسهم على منابر من نور في عزة وكرامة .

روى ابن حبان في صحيحة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (( سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا

<sup>١</sup> - أبو السعود . تفسير أبو السعود ، ج ٤ ص ٦٥٩

<sup>٢</sup> - سورة النمل آية ٨٩

<sup>٣</sup> - أبو السعود ج ٥ ص ١٠٧

<sup>٤</sup> - سورة الأعراف آية ٤٩

<sup>٥</sup> - سورة الأحقاف آية ١٣

ظله إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعت امرأته ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه))<sup>(١)</sup> .

وروى كذلك عن أبي هريرة قال : (( قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يقول الله - تبارك وتعالى - أين المتحابون بجلالي اليوم أظلم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي ))<sup>(٢)</sup> .

وروى عن أبي هريرة أيضا أنه قال : (( قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء يغطيهم الأنبياء والشهداء قيل من هم لعلنا نحبه قال هم قوم تحابوا بنور الله لا أرحام ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> ))<sup>(٤)</sup> .

### ثالثا : الجزاء بأحسن الأعمال

إذا كان الجزاء في الدار الآخرة على الأعمال كلها حسنها وسيئها فإن الله - جل جلاله - قد كرم هؤلاء بأن يجزيهم بأحسن الأعمال التي كانوا يعملون ، وفي هذا تجاوز عن كل ما سواها ، وفيه مزيد من الإكرام ؛ حيث يكون الجزاء على أحسن الأعمال قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾<sup>(٥)</sup> .

<sup>١</sup> - صحيح ابن حبان ، ج ١٦ ص ٣٣٢ حديث رقم ٧٣٣٨ .

<sup>٢</sup> - صحيح ابن حبان ، ج ٢ ص ٣٣٤ حديث رقم ٥٧٤ .

<sup>٣</sup> - سورة يونس آية ٦٢ .

<sup>٤</sup> - صحيح ابن حبان ، ج ٢ ص ٣٣٢ حديث ٥٧٣ .

<sup>٥</sup> - سورة النور آية ٣٨ .

قال أبو السعود : (( لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ أي : يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وإيتاء الزكاة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى ﴿ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ أي : أحسن جزاء أعمالهم حسب ما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ﴿ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أي : يتفضل عليهم بأشياء لم توعدهم لهم بخصوصيتها أو بمقاديرها ولم تخطر ببالهم كفياتها ولا كمياتها، بل إنما وعدت بطريق الإجمال في مثل قوله : ﴿ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) .

- ثم أورد أبو السعود حديث البخاري قائلًا - روى البخاري في صحيحة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : (( قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : قال الله تعالى : ثم أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فافروا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) )) (٣) وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٤) )) (٥) .

و قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (٦) وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أَمَّنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ (٧) .

١ - سورة يونس آية ٢٦ .

٢ - سورة السجدة آية ١٧ .

٣ - البخاري . الصحيح ، ج ٣ ص ١١٨٥ حديث رقم ٣٠٧٢ .

٤ - سورة آل عمران آية ٣٧ .

٥ - أبو السعود . إرشاد العقل السليم ج ٤ ص ٤٦٦-٤٦٧ .

٦ - سورة الأحقاف آية ١٦ .

٧ - سورة الكهف آية ٨٨ .



### رابعاً : دخول الجنة بغير حساب

وهذه الخصوصية ينتج عنها خصوصية عدم الحساب فإن الذي غفر الله له كل ما سوا الأحسن لم يعد عنده شيء يحاسب عليه ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(١)</sup> .

قال أبو حيان - رحمه الله- : (( ذكر أن الصابرين يوفون أجورهم بغير حساب ، أي : لا يحاسبون في الآخرة ، كما يحاسب غيرهم ؛ أو يوفون ما لا يحصره حساب من الكثرة ))<sup>(٢)</sup> .

روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (( عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي ليس معه أحد ، إذ رفع لي يخلو عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى - صلى الله عليه وسلم - وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا يخلو عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا يخلو عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ))<sup>(٣)</sup> .

<sup>١</sup> - سورة الزمر آية ١٠ .

<sup>٢</sup> - أبو حيان الأندلسي الغرناطي . محمد بن يوسف : ت ٧٥٤ ، البحر المحيط في التفسير ، تحقيق : عرفان حسونة ، دار الفكر ١٤١٣ - ١٩٩٢ ، ج ٩ ص ١٩٠ .

<sup>٣</sup> - النيسابوري . مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج ١ ص ١٩٩ حديث رقم ٢٢٠ .

## خامسا : إسباغ نعمة الرضوان عليهم

فلقد نصت آيات الكتاب المبين على إسباغ الرضا عليهم قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾<sup>(١)</sup> .  
قال الشوكاني: (( ﴿ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ يعني: إذا أخبروا أن الله عنهم راض ، فهو أكبر عندهم من التحف و التسنيم .

-ثم ذكر الحديث الذي أورده البخاري - عن أبي سعيد الخدري أنه قال : (( قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ثم إن الله- تبارك وتعالى - يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، فيقول: هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك قالوا : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا))<sup>(٢)</sup> ((<sup>(٣)</sup> .

و قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾<sup>(٤)</sup> .

قال أبو السعود : (( بيان أنه عز وجل أفاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده ، وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه ، كما ينبىء عنه قوله- تعالى- ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ إذ لا شيء أعز منه حتى يمتد إليه أعناق الهمم ﴾ ذلك ﴾ إشارة إلى نيل رضوانه - تعالى- ﴿ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ لما أن عظم شأن الفوز

<sup>١</sup> - سورة التوبة آية ٧٢ .

<sup>٢</sup> - البخاري . الصحيح ، ج ١ ص ٢٧٧ حديث رقم ٧٧٣ .

<sup>٣</sup> - الشوكاني . محمد بن علي ، فتح القدير ، ج ١ ص ٣٨٢ بتصريف .

<sup>٤</sup> - سورة المائدة آية ١١٩ .

تابع لعظم شأن المطلوب الذي تعلق به الفوز وقد عرفت ألا مطلب وراء ذلك أصلاً<sup>(١)</sup> .

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالنَّاصِرِينَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٢)</sup> . وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾<sup>(٣)</sup> . وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾<sup>(٤)</sup>

سادسا : دوام النظر إلى وجه الله الكريم

يقول - سبحانه وتعالى - : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ، قال أهل التفسير الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم وقد نطقت الآيات الكريمة بذلك في الدار الآخرة . حيث روى الطبري - رحمه الله - في تفسيره : ((عن أبي بكر الصديق وعن عامر بن سعد وعن حذيفة وغيرهم من الصحابة - رضي الله عنهم - قالوا : الحسننة الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله ))<sup>(٦)</sup> .

<sup>١</sup> - أبو السعود . تفسير أبو السعود ، ج ٢ ص ٣٤٦ .

<sup>٢</sup> - سورة التوبة آية ١٠٠ .

<sup>٣</sup> - سورة الفتح آية ١٨ .

<sup>٤</sup> - سورة البينة آية ٨ .

<sup>٥</sup> - سورة يونس آية ٢٦ .

<sup>٦</sup> - الطبري . تفسير الطبري ، ج ٦ ص ٥٤٩-٥٥١ ، الألويسي . روح المعاني ، ج ١ ص ١٣٧ .

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ۝ ۱ ۝ .

قال أبو السعود : (( أي : وجوه بهية متهلة يشاهد عليها نضرة النعيم ﴿ إلى ربِّها نَاطِرَةٌ ﴾ ومعنى كونها ناظرة إلى ربها أنها تراه - تعالى - مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ، وتشاهده - تعالى - بلا كيف ولا على جهة )) (٢) .

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (( هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه حجاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب ؟ قالوا : لا . قال : فإنكم ترونه كذلك )) (٣) .

وهذه نعمة لا تضاهيها نعمة يعكس الله عليهم من أنوار هيئته وجلاله ما يزيدهم كمالا ورفعة ، وهم في رؤية الله على درجات كل على قدر مقامه ودرجته في الإحسان والتقوى .

### سابعا : بلوغهم المراتب العليا في الجنة

مما لا شك فيه أن الجنة درجات أدناها لعامة المؤمنين وأعلىها لخاصة الخاصة منهم فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأم حارثة حين سألته عن ابنها وكان قد أصيب يوم بدر (( يا أم حارثة إنها جنان كثيرة في الجنة وإن حارثة أصاب الفردوس الأعلى )) (٤) .

وتفاوت هذه المنازل حسب تفاوتهم في درجات القرب من الله ولا شك أن المقربين من الله لهم المنازل الرفيعة حيث يخصهم الله بمزيد أنسه وكرمه وهذا سر

١ - سورة القيامة آية ٢٢-٢٣ .

٢ - أبو السعود . تفسير أبو السعود ج ٦ ص ٣٣٧ .

٣ - البخاري . الصحيح ، ج ١ ص ٢٧٧ حديث رقم ٧٧٣ .

٤ - الشيباني . أحمد بن حنبل ، مسند أحمد ج ٣ ص ٢٨٣ حديث رقم ١٤٠٤٧ .

ما أشارت إليه الآيات الكريمة قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾<sup>(٢)</sup> . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾<sup>(٣)</sup> . وبين الشوكاني معنى جنات عدن حيث قال : (( والمراد بجنات عدن : هي أوسط الجنات و أفضلها ، يقال : عدن بالمكان يعدن عدنا، أي أقام . ومعدن الشيء : مركزه ومستقره ))<sup>(٤)</sup> .

### ثامنا : مرافقة النبي والرسول الكرام - عليهم الصلاة و السلام - في الجنة

ولا شك أن هذه من أعظم ما توجهت به إرادة المحبين للنبي - صلى الله عليه وسلم - وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أنها من أعز المطالب ، ويدل على ذلك ما رواه الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه عن ربيعة بن كعب الأسلمي - رضي الله عنه - أنه قال : (( كنت أبيت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي : سل فقلت أسألك مرافقتك في الجنة ، قال : ذلك قلت : هو ذاك ، قال : فأعنى على نفسك بكثرة السجود ))<sup>(٥)</sup> .

هذا غيظ من فيض جعلنا الله وإياكم من أهل مودته ومحبته ورزقنا خير ما أعدده لصفوة أحبائه وخاصته من عباده.

<sup>١</sup> - سورة المؤمنون آية ١١ .

<sup>٢</sup> - سورة الكهف آية ١٠٧ .

<sup>٣</sup> - سورة البينة آية ٨ .

<sup>٤</sup> - الشوكاني . محمد بن علي ، فتح القدير ج ٥ ص ٦٤٠ .

<sup>٥</sup> - النيسابوري . مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، ج ١ ص ٣٥٣ حديث ٤٨٩ .

## الفصل الرابع

### العواقب المترتبة على مخالفة الصراط

#### المبحث الأول : العواقب الدنيوية المترتبة على

#### مخالفة الصراط المستقيم

#### تمهيد

قبل أن أبدأ في هذا الفصل رأيت من المناسب أن أبين معنى العواقب في اللغة ، فأقول :

قال الراجب الاصفهاني : (( والعُقْبُ والعُقْبَى : يختصان بالثواب نحو قوله - تعالى - : ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾<sup>(١)</sup> و ﴿وَلَيْكَ لَهُمُ عُقْبَى الدَّارِ﴾<sup>(٢)</sup> والعاقبة إطلاقها يختص بالثواب نحو قوله سبحانه : ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup> أو بالإضافة قد تستعمل في العقوبة نحو قوله - سبحانه و تعالى - : ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأى﴾<sup>(٤)</sup> ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾<sup>(٥)</sup> ، والعقوبة والمعاقبة والعقاب

- 
- ١- سورة الكهف آية ٤٤ .
  - ٢- سورة الرعد آية ٢٢ .
  - ٣- سورة الأعراف آية ١٢٨ .
  - ٤- سورة الروم آية ١٠ .
  - ٥- سورة الحشر آية ١٧ .

يختص بالعذاب نحو قوله سبحانه : ﴿ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴾ (١) ﴿ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢) ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ (٣) ((٤).

وقال ابن منظور - رحمه الله - : (( العواقب : جمع عاقبة وعقب كل شيء وعاقبته وعقبائه : آخره ، وأعقبه بطاعته أي : جازاه . وجاء معقبا : أي في آخر النهار )) (٥) .

من الواضح أن العقوبات التي توعد الله بها الناكبين عن الصراط في الحياة الدنيا كثيرة ، فقد جعل نتائج الأعمال السيئة التي يتمثلون بها من معاندة للحق ومكر بالدين وتآمر على المؤمنين ، سوءاً يدور عليهم ، ووبالاً وخسرانا يلحق بهم في الدنيا والآخرة . قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٦) .

وقد تعددت الآيات التي تحدثت عن سوء العاقبة التي لحقت بالطغاة والمجرمين أمثال عاد وثمود وفرعون ونمرود، حيث جعل طغيانهم سببا في تدميرهم وهلاكهم ، قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿١٠﴾ وَثَمُودَ ﴿١١﴾ فَمَا أَبْقَىٰ ﴾ (٧) و قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١٠﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿١١﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿١٣﴾ وَفِرْعَوْنَ ﴿١٤﴾

١- سورة ص آية ١٤ .

٢- سورة البقرة آية ١٩٦ .

٣- سورة النحل آية ١٢٦ .

٤- الأصفهاني ، الراغب المفردات ص ٥٧٥ .

٥- ابن منظور . لسان العرب ج ٩ ص ٢٩٩ .

٦- سورة الفتح آية ٦ .

٧- سورة النجم آية ٥١ - ٥٢ .

ذِي الْاُوتَادِ ﴿١﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿٢﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿٣﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿٥﴾ (١) .

وفي قوله - سبحانه و تعالى - : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ تهديد ووعيد لأمثال هؤلاء في كل عصر و زمان ، أنه موقع بهم ما نزل بسائر غيرهم من العقوبات .

وما تناولته آيات الكتاب الكريم من أنواع البلاء التي تنزل بالكافرين وسوء العاقبة التي تنتظرهم جدير بالذكر والتنبيه ، لأنه من النذر التي توعد الله بها أعداء دينه وأعداء أوليائه المؤمنين الصادقين ، ومن هذه العواقب ما يأتي :

### أولاً : دحض حججهم وكشف باطلهم :

اقتضت سنة الله في خلقه أن يتصدى أعداء الله من المجرمين للرسول ولأتباعهم ، ويقفوا حجر عثرة أمام دعوتهم ، ليصدوا الناس عنهم ، وينفروهم من الاستماع إليهم والاقتراب منهم ؛ خوفا على سلطانهم أن يتزعزع ، وعلى هيبتهم أن تزول من القلوب ، قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ (٢) .

ومن الملاحظ أن أول ما يواجهونهم به : السخرية والاستهزاء ، ويتهمونهم بالسفه والجنون ، ذلك أنهم ينظرون إليهم بمقاييسهم الدنيوية ، فهم في ذروة نشوتهم في التحكم والسيطرة ، وإحكام القبضة على زمام الأمور كلها ، فإذا ظهر في هذه الأثناء رجل بمفرده يدعو إلى دين جديد ، يخالف كل ما اجتمعت عليه كلمتهم ، وليس لديه من الأتباع والأقوال ما يثر حفيظتهم ، ويشكل خطرا عليهم ، ولا عنده القوة والعون ، إلا اعتماده على الله الذي أرسله ، وهم لا يرون إلها غير الذي عبده

١- سورة الفجر آية ٥ - ١٤ .

٢- سورة الفرقان آية ٣١ .



، فسرعان ما يتبادر إلى أذهانهم أنه يفترى الكذب على الإله الذي عرفوه ، ولم يتصوروا وجودا لغيره له حكم أو نفوذ .

ومن ثمة يسخرون من هذا النبي ويتهمون به بالسفه والجنون ، لأنه لا يتأتى في حكم العقل لديهم أن يستطيع رجل بمفرده أعزل من كل شيء ، أن يواجه أمة بأسرها ، ويتحدى كل مقوماتها ، وهو متأكد من النصر عليها اعتمادا على القوة الغيبية . وليس أمامهم من أمثلة على الذين يعتمدون على القوى الغيبية سوى : الكهنة ، والسحرة ، وهم محط السخرية واللامبالاة في نظرهم .

من أجل ذلك كان لا بد من تأييد رسل الله بالآيات البيّنات ، التي تبرهن على صدقهم ، وتأييد الله لهم ، وتبديد من حولهم كل الشبهات ، وتلفت الأنظار نحو قدرة الله الواحد الحق ، وتكشف زيف ادعاء الألوهية والربوبية المزعومة لسواه ، وحين يتزلزل الباطل وتتداعى أركانه ، ويظهر الحق ويعلو شأنه ، يبدو أثره واضحا في العقول ، والإقبال متزايدا على اعتناقه والدخول فيه . الأمر الذي يشكل نقطة التحول في نوع الصراع والمواجهة .

هكذا انطلقت دعوة إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - ، فقد واجه نمرود بالحجة الواضحة القوية ، التي كشف بها زيف دعواه الربوبية ، وأثبت استحقاها لربه الذي أرسله ، حين خاطبه بقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

وإنما كانت حيرته وعدم قدرته على الرد ؛ لأنه لا يملك القدرة على تغيير مدار الشمس ، فالذي سيرها هو وحده الذي يملك القدرة على التصرف بها .

ولا يستطيع دعوى أنه الذي جعلها تطلع من المشرق ، كما ادعى الإحياء والإماتة بتأويل كان مستساغاً من جلسائه الحاضرين ؛ لأنها كانت تطلع كذلك قبل أن يولد ، وما زالت دون تغيير ، وأبى أن ينزل إلى مستوى من السفاهة يكون فيه محل سخرية من الناس أجمعين .

وبعد أن أبطل دعواه الربوبية ، واستحقاقه استعباد الناس بناء عليها ، عمد - عليه الصلاة والسلام - إلى إبطال ألوهية الأصنام التي عبدوها ، وقد توعدوه بالسوء يناله من قبلها ، فعمد إلى تحطيمها ، والإبقاء على كبيرها ، ليقيم عليهم الحجة بإرجاعهم إليها عند مراجعتهم إياها ، كما هو دينهم في التوسل بهذه الآلهة ، في كشف الضر عنهم ، وجلب الخير لهم .

وحقيقة إن عمله صلى الله عليه وسلم كان ينم عن حكمة وإلهام ، وقدرة في الكشف عن الحقيقة وتبديد كل الأوهام ، فجعله في مكانه من العقل والذكاء ما يفوق كل ذوي الأحلام .

فقد أثبت لهم بفعله هذا أنها لا تضر ولا تنفع ، فها هو عليه السلام سليم معافى لم يلحقه أي أذى ، وأثبت لهم أن هذه الأصنام لا تستطيع أن تدفع الضر عن نفسها ، فليس بمقدورها أن تستغيث فضلاً على أن تغيث .

وهذا ما أوصلهم إليه حقيقة حين قال لهم قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنَّ كَانُوا يَنْطِفُونَ ﴾ ﴿١﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢﴾ وقد أجابوه حين رجعوا إلى أنفسهم بالحجة التي ألزموا بها أنفسهم ﴿ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِفُونَ ﴾ ﴿٣﴾ .

وحيث أسقط في أيديهم ، وأفلسوا في الحجة ، عمدوا إلى ما لديهم من قوة ، أرادوا بها الثأر لآلهتهم ، واسترداد نفوذهم ، وأحكام سيطرتهم ، شأن أهل الباطل في

١- سورة الأنبياء آية ٦٣ - ٦٤ .

٢- سورة الأنبياء آية ٦٥ .

كل زمان ، قال - سبحانه و تعالى - على لسانهم : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾<sup>(١)</sup> و ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 لقد شاعت إرادة الله أن يظهر من آيات ربوبيته ما زادهم إبلاسا وبهتاناً ،  
 حين سلب من النار خاصية الإحراق ، وكان في هذا أبلغ الرد على نمروذ ، حيث  
 ادعى القدرة على الإمامة ، فقد بان عجزه عن ذلك رغم استعماله لأشد وأبشع وسائل  
 الموت . وبذلك قامت عليهم الحجة التي دفعت كل الباطل ، وبددت كل ما نسجوا  
 حوله من الخيالات والأوهام ، واستحقوا نقمة الله سبحانه .

### ثانياً: ولاية الطاغوت لهم .

قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> ومعلوم أن  
 الطاغوت : هو اسم لكل ما ساق صحابه إلى الطغيان ، ولما كان الشيطان هو  
 مصدر الشر كله ، ووراء كل طغيان يقع فيه الإنسان ، أطلق عليه هذا الوصف كما  
 ذكرنا ، وهو من جملة ما أورده المفسرون من الأقوال .  
 وإنما أفردناه من جملة الآثار من الرغم بصلته الظاهرة بما سبق ؛ لأننا  
 أردنا أن نوضح جانباً آخر من جوانب تسلطه على الكفار والأشرار ، حيث الأثر  
 السابق كان التسلط فيه على باطن الكفار .

فإن ولايته في هذا الجانب منصبه على الظاهر؛ حيث كان توليه من قبل  
 كفار قريش في دار الندوة للتشاور في سبيل التخلص من رسول الله - صلى الله  
 عليه وسلم - فإنه قد جاءهم في صورة شيخ نجدى ، وأرشدهم إلى أبشع صور

١ - سورة الأنبياء آية ٦٨ .  
 ٢ - سورة الأنفال آية ٣٠ .  
 ٣ - سورة البقرة آية ٢٥٧ .

الإجرام التي لم تهديهم أنفسهم الشريرة إليها ، وقد قبلوا ولايته ، وأطاعوا مشورته ، وأثنوا عليه ، وما ذلك إلا لأنه هداهم إلى أفضح طرق الشر التي كانوا يودون أن يهتدوا إليها ، من أجل ذلك كان حساب الكفار بأسوأ الذي عملوا ، قال الله - سبحانه و تعالى - : ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> .

وكذلك ظهوره لهم في غزوة بدر، وتشجيعه إياهم على القتال ليستأصل شوكة الإسلام ، وإغراؤه إياهم بالعون والإمداد بقوله - سبحانه و تعالى - : ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي لَأَجَارُكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِئْتَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٢)</sup> ، ثم تخليه عنهم في وقت الشدة .

ومثل هذه الولاية التي كانت في الأصنام ؛ حيث كان يخاطبهم من خلالها ويوجههم إلى طريق الغي والضلال ، والشر والفساد على مر العصور والأزمان . ومن مظاهر ذلك أيضا : عبادة الأشخاص الذين استحوذ عليهم ، والتمكن من قلوبهم ، والتسلط عليهم ، فهو المحرك لبواطنهم الفعال بجوارحهم .

قال الإمام محمد عبده - رحمه الله - : (( الطاغوت : المعبودات الباطلة ، السائقة إلى الطغيان ، فإذا كان الطاغوت من الأحياء الناطقة ورأى أن عابديه قد لاح لهم شعاع من نور الحق الذي ينبههم إلى فساد ما هم فيه ، بادر إلى إطفائه ، بل إلى صرفهم عنه ، بما يلقىه دونه من حجب الشبهات ، وأستار زخارف الأقوال التي تقبل منه لأجل الاعتقاد أو بنفس الاعتقاد ، وإذا كان الطاغوت من غير الأحياء ؛ فإن سدنة هيكله وزعماء حزبه لا يقصرون في تنميق هذه الشبهات ، وتزيين تلك الشهوات .

<sup>١</sup> - سورة فصلت آية ٢٧ .

<sup>٢</sup> - سورة الأنفال آية ٤٨ .

أقول - والقول لمحمد رشيد رضا - : بل هؤلاء الزعماء يعدّون من الطاغوت ، كما علم من تفسيره ، فإنهم دعاة الطغيان وأولياؤه . ثم قال الأستاذ محمد عبده - رحمه الله - : ﴿ الظُّلْمَاتِ ﴾ هي الضلالات التي تعرض على الإنسان في كل طور من أطوار حياته ؛ كالكفر والشبهات ، التي تعرض دون الدين ، فتصد عن النظر الصحيح فيه ، أو تحول دون فهمه والإذعان له ، وكالبدع والأهواء التي تحمل على تأويله وصرفه عن وجهه، وكالشهوات والحظوظ التي تشغل عنه ، وتستحوذ على النفس حتى تقذفها في الكفر ((<sup>(١)</sup>).

### ثالثاً : تسلط الشياطين عليهم

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾<sup>(٢)</sup> إن من أعظم العقوبات في الدنيا، وأشدّها على الغافل عن ذكر الله والمعرض عما أنزل من الحق ؛ يتمثل في تسلط الشيطان ، الذي لا خير من قبله يؤتى، بل لا ينتج عنه إلا الشر والضرر ، وأعظم الضرر الذي يسببه له ؛ سلبه أنوار الفطرة ، وتزيين السوء والمنكر له ، بحيث يتدرج به إلى دركات أسفل السافلين؛ الذين لم يتورعوا عن ارتكاب الفواحش وانتهاك الحرمات ، ما ظهر منها وما بطن.

وقد عقب سيد قطب على هذه الآية بقوله : (( ولقد قضت مشيئة الله في خلقه للإنسان ذلك ، واقتضت أنه حين يغفل قلبه عن ذكر الله يجد الشيطان طريقه إليه، فيلزمه ويصبح له قرينٌ سوء ، يوسوس له ويزين له السوء ، وهذا الشرط وجوابه هنا في الآية ؛ يعبران عن المشيئة الكلية الثابتة التي تحقق معها النتيجة بمجرد تحقق السبب كما قضاه الله في علمه . ووظيفة قرناء السوء من الشياطين ؛

<sup>١</sup> - رضا . محمد رشيد ، تفسير المنار ج ٣ ص ٣٥ .

<sup>٢</sup> - سورة الزخرف آية ٣٦ .

أن يصدوا قرناءهم عن سبيل الله ، بينما هؤلاء يحسبون أنهم مهتدون قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (١) ، وهذا أسوأ ما يصنعه قرين بقرين ، أن يصدّه عن السبيل الواحدة القاصدة ، ثم لا يدعه يفيق أو يتبين الضلال فيتوب ، إنما يوهمه أنه سائر في الطريق القاصد القويم ، حتى يحتدم بالمصير الأليم ، حيث قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ (٢) ﴾ (٣) .

وقد كشف قوله - سبحانه و تعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ (٤) ، صورة من صور أفعالهم مع هؤلاء الناكبين عن صراط الله المستقيم ، بما تحركه فيهم من نار الحقد والتسلط والاستعلاء ، وتؤججه في قلوبهم من نيران الغضب والانتقام من كل ما يعترض سبيلهم ، أو يلفت نظرهم إلى ما هو الحق والخير (٥) .

فالأز : كما ذكر ابن عاشور: (( الهز والاستفزاز الباطني مأخوذ من أزيز القدر إذا اشتد غليانها ، شبه اضطراب اعتقادهم وتناقض أقوالهم واختلاف أكاذيبهم بالغليان في صعود وانخفاض )) (٦) .

وقال أبو السعود : (( الأز والهز والاستفزاز : أخوات معناها شدة الإزعاج )) (٧) .

١ - سورة الزخرف آية ٣٧ .

٢ - سورة الكهف آية ١٠٣ - ١٠٤ .

٣ - سيد قطب . في ظلال القرآن ج ٢٥ ص ٨١ .

٤ - سورة مريم آية ٨٣ .

٥ - أبو السعود ج ٤ ص ٢٥٩ بتصريف .

٦ - ابن عاشور . التحرير والتتوير ج ١٦ ص ١٦٥ .

٧ - أبو السعود . تفسير أبو السعود ج ٤ ص ٢٥٩ .

وإذا كان هذا المعنى اللغوي يصور حالة من حالاتهم القلبية ، فإن ما يدعوهم إليه من إثارة نار الفتنة ، وإشعال الحروب ، والتكيل بما سواهم من المؤمنين ، والصد عن سبيل الله ؛ بتأجيج نار الأهواء والشهوات ، وفتح الباب على مصراعيه لإشاعة الفاحشة بين المؤمنين ، تحت كل الشعارات الزائفة من الحرية ، والديمقراطية ، وبمساواة الرجل بالمرأة ، وسن القوانين والتشريعات التي تكفل للفاسدين ارتكاب أبشع الفواحش ، التي تخالف فطرة الناس ، وتكون محل استهجان جميع العقلاء ، فإن دمار قوم لوط إنما كان استحقاقه بفعل الفاحشة ، التي بين الله أنه لم يسبقهم إليها أحد من العالمين .

قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .  
 كل هذا وغيره إنما هو نتيجة من نتائج تسلط الشياطين على قلوب الكافرين المؤدي بهم إلى هاوية الهلاك في الدنيا والآخرة .

#### رابعاً: سلب النعمة ورفع الأمن عنهم

إن من سنن الله الكونية التي سطرها في آيات كتابه المبين أنه ما من أمة أو جماعة وسَّع عليها من نعم الدنيا ، وأمدّها بأسباب القوة التي كانت سبباً في شعورها بالأمن والطمأنينة ، حيث كانت مرهوبة الجانب لا يفكر الأعداء في النيل منها أو الاعتداء عليها ، ثم كفرت باللّه و بطرت النعمة وأفسدت في الأرض وتصدت لرسول الله وقطعت السبل أمام ضعاف الناس ومنعتهم من الإقبال عليهم والسير في ركابهم ؛ إلا وسلب الله النعمة من بين أيديهم ، وسلط عليهم من البلاء والفتن

<sup>١</sup> - سورة الأعراف آية ٨٠ .

والكوارث ما كان سببا في ضياع قوتهم ، حيث تطمع الأعداء فيهم ويسلط عليهم من لا يرحمهم ، ويكويهم بنار الحقد والعذاب الذي أذاقوه لغيرهم .

وقد تضمنت آيات القرآن الكريم الوعيد الشديد لهؤلاء قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَنْسَكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وسور القرآن الكريم فياضة بالأمثلة التي تكون عبرة لكل من أراد أن يسلم بنفسه وقومه من شر سوء العاقبة التي حلت بمن قبلهم ؛ كقوم عاد الذين قالوا من أشد منا قوة ، وفرعون ونمرود ومن على شاكلتهم في العصور التي مضت . والقرون التي تلت .

قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦٦﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقال سبحانه : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَتَمُودَ ﴾<sup>(٥)</sup> . وقال سبحانه : ﴿ فَلَنْذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنْجَزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا

١ - سورة النحل آية ١١٢ .

٢ - سورة إبراهيم آية ٧ .

٣ - سورة القصص آية ٥٨ .

٤ - سورة هود ٥٩-٦٠ .

٥ - سورة فصلت آية ١٣ .



يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ . وقال سبحانه : ﴿ فَلْتُنَبِّئِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ ﴿٢﴾ .

### خامسا : ضنك العيش وعدم الهناءة فيه .

قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَتَحْسُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ ﴿٣﴾ .

قال ابن منظور - رحمه الله - : (( الضنك: الضيق في كل شيء . والضانك أصله في اللغة: العنف والشدة )) ﴿٤﴾ .

وبذلك يكون ضنك العيش هو شدته ، ويظهر ذلك إما بالصعوبة في تحصيله لعدم توفر أسبابه ، أو لقلّة الفرص المتاحة لنيله ، أو بعدم التمكن فيه بالرغم من توفره لعلّة من العلل في الإنسان نفسه ، أو لخوف من أذى يلحق به من العمل نفسه ، وقد جعل الله هذا من الجزاء للكافرين ، وقد جعل هذا من نصيب الكافرين في الحياة الدنيا ، جزاء بما اقترفت أيديهم .

ومن الملاحظ : أنه بالرغم من هذا التقدم الهائل في الصناعة ، والزراعة ، والتجارة ، إلا أن سبيل الحصول عليه عند الغالبية العظمى إنما يتأتى بالضانك والشدة ؛ حيث يشتغل العامل ليله ونهاره من أجل أن يسد حاجاته الضرورية ، ولا يجد مع ذلك قناعة ولا هناءة ، ثم في انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة ، لا يمكن أن يجد أصحابها هناءة في العيش مهما أوتوا من الأموال ، فضلا على ما يدخل هذه الأغذية من الآفات ؛ نتيجة للإعراض عن منهج الله - سبحانه و تعالى - والحلال والحرام ، ما يورث الأذى والضرر ، وينغص العيش عليهم .

١ - سورة فصلت آية ٢٧ .

٢ - سورة فصلت آية ٥٠ .

٣ - سورة طه آية ١٢٤ .

٤ - ابن منظور . لسان العرب ج ٨ ص ٩٣ .

قال الألوسي - رحمه الله - : (( والمتبادر أن تلك المعيشة له في الدنيا ، وروي عن عطاء وابن جبير - رحمهما الله - ووجه ضيق معيشة الكافر المعرض في الدنيا؛ أنه شديد الحرص على الدنيا ، متهاك على ازديادها، خائف من انتقاصها، غالب عليه الشح بها؛ حيث لا غرض له سواها ، بخلاف المؤمن الطالب للآخرة، وقيل : الضنك : مجاز عما لا خير فيه ، ووصف معيشة الكافر بذلك ؛ لأنها وبال عليه ، وزيادة في عذابه يوم القيامة ، كما دلت عليه الآيات ، وقيل غير ذلك من الأقوال ))<sup>(١)</sup> .

**سادسا: توالي المصائب عليهم والانتقام منهم بصنوف البلاء والعذاب .**

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال الألوسي - رحمه الله - : (( والمراد القارعة : الرزية التي تفرغ قلب صاحبها ؛ وهي هنا ما كان يصيبهم من أنواع البلايا والمصائب ؛ من القتل والأسر والنهب والسلب ، أو تحل مكانا قريبا من دارهم فيفزعون منها ، ويتطأير إليهم شررها ))<sup>(٣)</sup> .

ولا شك أن القوارع كثيرة يدخل في نطاقها الزلازل والبراكين ، والأعاصير والخسف ، والصواعق والحرائق ، وسائر الفتن المشعلة لنار العداوة والبغضاء المسببة للحروب بينهم ، وتدميرهم بأيديهم ، وبأيدي المؤمنين . قال

<sup>١</sup> - الألوسي . روح المعاني ج ١٦ ص ٧٧٨ .

<sup>٢</sup> - سورة الرعد آية ٣١ .

<sup>٣</sup> - الألوسي . روح المعاني ج ١٣ ص ١٩٨ - ١٩٩ .

سبحانه و تعالى : ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (١).

## سابعا : الغلبة عليهم وتمكين المؤمنين من

### بسط نفوذهم والسيطرة عليهم

فعلى الرغم من أن الكافرين يعدون العدة ، ويحرصون على استحواذ كل أسباب القوة ؛ للسيطرة على المؤمنين ، وينفقون الأموال الطائلة لتجنيد الأعوان و زرع بذور الفتنة ، إلا أن الله - سبحانه وتعالى - قد توعدهم بالخسران المبين ، وكتب عليهم الغلبة إلى يوم الدين ، ويكون هذا سببا في العذاب الشديد الذي يجره عليهم عدوانهم ، كما توعدهم الله بذلك في قوله - سبحانه و تعالى - : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٢).

قال صاحب المنار - رحمه الله - في تفسير قوله - سبحانه و تعالى - : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغْلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (٣) : (( أي: قل يا محمد لهؤلاء المغرورين بحولهم وقوتهم ، المعتزين بأموالهم وأولادهم ، أنكم ستغلبون في الدنيا ، وتعذبون في الآخرة . قال الأستاذ الإمام - رحمه الله - كان الكافرون يعتزون بأموالهم وأولادهم ، فتوعدهم الله - سبحانه و تعالى - وبين لهم أن الأمر ليس بالكثرة والثروة ، وإنما هو بيده - سبحانه و تعالى - .

١ - سورة الحشر آية ٢ .

٢ - سورة آل عمران آية ٥٦ .

٣ - سورة آل عمران آية ١٢ .

وقيل - القول لمحمد رشيد رضا - : هو للمشركين ، وقد غلبهم المؤمنون يوم بدر ، وأتم الله نعمته بغلبهم يوم الفتح ، ولم تغن عن الفريقين أموالهم ولا أولادهم ((<sup>(١)</sup>).

وقال البقاعي : (( فكان أول ذلك غلبته - صلى الله عليه وسلم - على مكة المشرفة ، وكان فتحها فتحاً لجميع الأرض لأنها أم القرى ))<sup>(٢)</sup> .

وعند قوله - سبحانه و تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْفُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُؤْفَوْنَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال البروسوي : (( ﴿ فَسَيُؤْفَوْنَهَا ﴾ بتمامها ﴿ ثُمَّ تَكُونُ ﴾ تلك الأموال ﴿ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود ﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ آخر الأمر وإن كانت الحرب بينهم سجالات قبل ذلك ))<sup>(٤)</sup> .  
وقال صاحب المنار : (( ﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ المرة بعد المرة ، وينكسرون الكرة بعد الكرة ))<sup>(٥)</sup> .

### ثامنا : التدمير والهلاك والاستئصال .

وهذا يشمل عذاب الاستئصال الذي وقع مع أقوام الأنبياء الكذابين ؛ كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم من الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ، فحين كذبت أقوامهم رسلها أنزل عليهم من أنواع العذاب الذي قطع دابرهم .  
قال أبو السعود مفسراً قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾<sup>(١)</sup> .

١- رضا . محمد رشيد ، تفسير المنار ج ٣ ص ١٩٣ - ١٩٤ .

٢- البقاعي . نظم الدرر ج ٢ ص ٣١ .

٣- سورة الأنفال آية ٣٦ .

٤- البروسوي . روح البيان ، ج ٣ ص ٤٣٩ .

٥- رضا . محمد رشيد ، تفسير المنار ج ٩ ص ٥٥٢ .

(( أي : ما من قرية من قرى الكفار ﴿ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا ﴾ أي: مخربوها البتة ؛ بالخسف بها ، أو بإهلاك أهلها بالمرّة ، لما ارتكبوا من عظام الموبقات المستوجبة لذلك ﴿ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ لأن الإهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ، ولا هو بطريق العقوبة ، وإنما هو لانقضاء عمر الدنيا ﴿ أَوْ مُعَذِّبُوهَا ﴾ أي : معذبوا أهلها ﴿ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ لا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط ، بل بما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات الأخروية أيضا ، ﴿ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ أي : مكتوبا لم يغادر منه شيء إلا بين فيه بكيفياته وأسبابه الموجبة له ، ووقته المضروب له))<sup>(٢)</sup> .

يقول البروسوي مفسرا قوله - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾<sup>(٣)</sup> : (( والمعنى أهلكناهم بالكلية ، واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم أحد ، ولا يسمع منهم صوت خفي ، وفي الآية وعد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ضمن وعيد الكفرة بالإهلاك ، وحث له على الإنذار . وأصل الركن هو الخفاء ، ومنه ركن الرمح إذا غيب طرفه في الأرض ، والركن : المال المدفون المخفي ))<sup>(٤)</sup> .

وفي تفسير قوله - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾<sup>(٥)</sup> . يقول الشوكاني - رحمه الله - : (( أي كم من قوم كفروا من بعد نوح ؛ كعاد وثمود ، فحلّ بهم البوار ونزل بهم سوط العذاب ))<sup>(٦)</sup> .

١ - سورة الإسراء آية ٥٨ .

٢ - أبو السعود . أرشاد العقل السليم ج ٤ ص ٣١٩ .

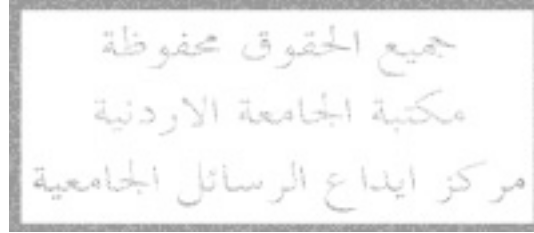
٣ - سورة مريم آية ٩٨ .

٤ - البروسوي . روح البيان ج ٥ ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

٥ - سورة الإسراء آية ١٧ .

٦ - الشوكاني . محمد بن علي ، فتح القدير ج ٢ - ص ٥٠٩ .

ومن جملة ذلك ما توعد الله - سبحانه و تعالى - به بني إسرائيل بسبب  
 إفسادهم في الأرض ، حيث قال - سبحانه - : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا  
 وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ (١) .  
 قال البروسوي - رحمه الله - : (( ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا ﴾ أي ليهلكوا ﴿ مَا عَلَوْا ﴾  
 كل شيء علوه واستولوا عليه، أو بمعنى مدة علوهم ﴿ تَتْبِيرًا ﴾ إهلاكاً فظيماً لا  
 يوصف )) (٢) .



١ - سورة الإسراء آية ٧ .  
 ٢ - البروسوي . روح البيان ج ٥ ص ١٦٠ .

## المبحث الثاني :

### العواقب الأخروية المترتبة على مخالفة الصراط المستقيم.

العواقب الأخروية التي توعد الله - عز وجل - بها الذين حادوا عن الصراط المستقيم من الكافرين والمنافقين كثيرة في القرآن الكريم ، و اقتصرنا على أشهرها وأهمها ، وإن كان الوعيد لهم بجهنم بكل مسمياتها يتضمن العديد من أنواع العذاب و صنوفه .

خصوصا في هذه الأحوال التي يظهر منها من الحسيس ، والتميز من الغيظ ، والشهيق ، والفوران ، والأغلال ، والعمد الممددة ، وما يكتنفها ويحيط بها من كل الوسائل التي تزيد على ألم العذاب ، آلام النفس ، والقلب ، والفؤاد . وهم فيها بكل أحوال البؤس والشقاء حيث يضطربون ، ويستغيثون ، ولا مجيبا إلا بما هو الأشد من العذاب نكاية بهم وبيانا لهوانهم ، فضلا عما يحمله كلام من ظلموهم في الدنيا واستعبدوهم من السماتة بهم ، ما يزيدهم حسرة في نفوسهم ، وخزيا من سوء أعمالهم .

ومن هذه العواقب التي تتضمن أنواعا من العذاب النفسي والجسدي ما يأتي :

#### أولا : الفزع والخوف

قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخْدُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾<sup>(١)</sup> . يقول ابن عاشور : (( والفزع هو نفرة النفس وانقباضها مما نتوقع أن يحصل لها من الألم ، و هو قريب من الجزع ))<sup>(٢)</sup> .

والفزع : هو أشد أنواع العذاب النفسي والقلبي ، وهو أشد حالات الخوف ، الذي يسبب القلق والاضطراب الحامل للإنسان على أن يندفع بكليته ، وبما أوتي من

<sup>١</sup> - سورة سبأ آية ٥١

<sup>٢</sup> - ابن عاشور . التحرير والتنوير ج ١٧ ص ١٥٦ .

وسائل للهرب من شرما يتوقع ، إذا كان لديه مجالا أو يملك شيئا من أسباب النجاة ، وكلما عزت عليه وسائل النجاة ، كلما ازداد حسرة ويأسا وهلعا وامتلا رعبا.

وهذا ما تصوره الآية الكريمة التي قدمناها ، حيث مع حصول الفرع منهم انعدمت أسباب النجاة فلا فوت لهم ، لأنهم في حيطة من الأهوال مع انعدام الأنصار والأعوان .

قال الشوكاني : (( واختلف في وقت الفرع : قال الحسن : هو فرعهم من القبور من الصيحة ، وقال قتادة : هو فرعهم إذا خرجوا من قبورهم ، وقال ابن مغل : هو فرعهم إذا عابوا عقاب الله يوم القيامة ))<sup>(١)</sup> .  
وبعضهم أطلق هذا العذاب وهو الأنسب ؛ حيث لم تحدده الآية الكريمة ، قال البقاعي : (( ﴿ إِذْ فَرَعُوا ﴾ أي : يفرعون بأخذنا في الدنيا والآخرة . ﴿ قَلَا ﴾ أي : متسبب عن ذلك الفرع ، أي أنه لا ﴿ قَوْتَ ﴾ أي : لهم منا لأنهم في قبضتنا ، لرأيت أمرا مهولا وشأنا فظيحا ))<sup>(٢)</sup> .

قال الطبري - رحمه الله - : (( ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك فتعابنهم ؛ حيث فرعوا من معابنتهم عذاب الله ﴿ قَلَا قَوْتَ ﴾ يقول : فلا سبيل حينئذ أن يفوتوا بأنفسهم أو يعجزونا هربا وينجوا من عذابنا ))<sup>(٣)</sup> .

أما تصوير صاحب الظلال - رحمه الله - لقوله - سبحانه و تعالى - ﴿ وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ قال : (( فرائع حيث يقول ولم يبعدوا في محاولتهم البائسة وحركتهم المذهولة ))<sup>(٤)</sup> .

<sup>١</sup> - الشوكاني . محمد بن علي ، فتح القدير ج٣ ص ٤٧٩ .

<sup>٢</sup> - البقاعي . نظم الدرر ج٦ ص ١٩٦ .

<sup>٣</sup> - الطبري . تفسير الطبري ج١٠ ص ٣٣٨ .

<sup>٤</sup> - سيد قطب . في ظلال القرآن ، ج٦ ص ٦٦٢ .



والظاهر أن الفرع درجات متفاوتة قد نص القرآن على الفرع الأكبر الذي يحفظ الله المؤمنين فيه ويجعلهم في أمن بتلقي الملائكة لهم وطمأنته إياهم قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

قال أبو السعود - رحمه الله - : (( بيان لنجاتهم للفرع بالكلية ، بعد بيان نجاتهم من النار . لأنهم إذا لم يحزنهم أكبر الأفرع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة ، وعن الحسن - رضي الله عنه - قال : أنه الإنصراف إلى النار . وعن الضحاك - رضي الله عنه - قال : حتى يطبق على النار ، وقيل : حيث يذبح الموت بصورة كبش أملح ))<sup>(٢)</sup> .

وقد نبه أبو السعود على أنه المراد من قوله سبحانه وتعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمُونٌ ﴾<sup>(٣)</sup> مبينا وجه تكبير الفرع بقوله : (( أي : عظيم هائل لا يقادر قدره ، وهو الفرع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة ، وظهور الحسنات والسيئات ، وهو الذي في قوله سبحانه و تعالى ﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ ﴾<sup>(٤)</sup> ثم يقول : وأما الفرع الذي يعتري كل من في السماوات والأرض غير من استثناه الله سبحانه و تعالى ؛ فإنما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والأحوال ، ولا يكاد يخلوا منه أحد بحكم الجبلية ، وإن كان آمناً من لحوق الضرر ))<sup>(٥)</sup> .

## ثانياً: الذل الهوان

<sup>١</sup> - سورة الأنبياء آية ١٠٣ .

<sup>٢</sup> - أبو السعود . تفسير أبو السعود ج٤ ص ٣٦٠ .

<sup>٣</sup> - سورة النمل آية ٨٩ .

<sup>٤</sup> - سورة الأنبياء آية ١٠٣ .

<sup>٥</sup> - أبو السعود . تفسير أبو السعود ج٥ ص ١٠٨ .

الذل كما قال الراغب : (( هو ما كان عن قهر ))<sup>(١)</sup> .

قال أحمد الزاوي في ترتيب القاموس : (( هان هونا : بالضم ، وهوانا ومهانة : ذلّ . والهوان : يفيد مع المذلة الحقارة ))<sup>(٢)</sup> . وفي معجم ألفاظ القرآن : (( هان هونا بضم الهاء: ذلّ وحقر ))<sup>(٣)</sup> .

وقال محمد رشيد رضا : (( ومن آثار الذل الضعف عن الحماية ، والرضا بالضم والمهانة ))<sup>(٤)</sup> .

وقال ابن عاشور : (( والذلة : الصغار وهي بكسر الذاو وهي ضد العزة ))<sup>(٥)</sup> . قال البقاعي : (( هي اسم من الذل وهو صغار في النفس عن قهر وغلبة ))<sup>(٦)</sup> .

قال سبحانه و تعالى : ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾<sup>(٧)</sup> ، وقد بينت الآيات أن هذا العذاب زائد على دخول النار والخلود فيها كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾<sup>(٨)</sup> .

وذكر صاحب المنار عن هذه الآية قال : (( قال الأستاذ الإمام: أراد الله بالعذاب المهين : عذاب الروح بالإهانة . يعني - رحمه الله - : أن بدن هذا العاصي يعذب بالنار من حيث هو حيوان يتألم ، وروحه تتألم بالإهانة من حيث هو إنسان يشعر بمعنى الكرامة والشرف ))<sup>(٩)</sup> .

- ١ - الأصفهاني . الراغب ، المفردات ص ٣٣٠ .
- ٢ - الزاوي . الطاهر أحمد ، ترتيب القاموس ج ٤ ص ٥٤٧ .
- ٣ - معجم ألفاظ اللغة العربية ج ٢ ص ٨٠٨ .
- ٤ - رضا . محمد رشيد ، تفسير المنار ج ٣ ص ٢٢٥ .
- ٥ - ابن عاشور . التحرير والتنوير ج ١ ص ٥٠٦ .
- ٦ - البقاعي . نظم الدرر ج ١ ص ١٤٨ .
- ٧ - سورة البقرة آية ٩٠ .
- ٨ - سورة النساء آية ١٤ .
- ٩ - رضا . محمد رشيد ، تفسير المنار ج ٤ ص ٣٥٤ ، وانظر البروسوي . روح البيان ج ٢ ص ٢١٤ .

قال ابن عجيبة: (( يهينهم ويخزيهم يوم يعز المؤمن ))<sup>(١)</sup> .

وقد بين الله - سبحانه وتعالى - أن هذا العذاب جزاء لشنيع أعمالهم الزائدة على الكفر قال- سبحانه وتعالى :- ﴿ الَّذِينَ يَخْلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال محمد رشيد رضا في هذه الآية : (( أي : هيأنا لهم بكرهم وكفرهم وبخلهم وعدم شكرهم عذابا ذا إهانة يجمع لهم فيه بين الألم ، والمهانة ، والذلة ، جزاء كبرهم . قال - سبحانه وتعالى - ﴿ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ولم يقل لهم ؛ للإيدان بأن هذه الأخلاق والأعمال إنما تكون من الكفور لا من المؤمن الشكور ))<sup>(٣)</sup> .

### ثالثا: طمس الوجوه واسودادها

قال - سبحانه وتعالى - ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

قال ابن عاشور : (( والبياض والسواد ، بياض وسواد حقيقيان يوسم بهما المؤمن والكافر يوم القيامة ، وهما بياض وسواد خاصان ))<sup>(٥)</sup> .

قال ابن عجيبة : (( يوم تبيض وجوه المؤمنين المتقين على التوحيد ، وتسود وجوه الكافرين المتفرقين فيه ، أو تبيض وجوه المخلصين ، وتسود وجوه أهل البدعة ، وبياض الوجوه وسوادها ؛ كنايةتان عن ظهور بهجة السرور ، وكآبة

١- ابن عجيبة ، البحر المديد ج١ ص ٤٠٤ .

٢- سورة النساء آية ٣٧

٣- رضا . محمد رشيد تفسير المنار ج٥ ص ٨١

٤- سورة آل عمران آية ١٠٦ .

٥- ابن عاشور . التحرير والتنوير ج٤ ص ٤٤ .

الخوف منه . وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي  
النور بين يديه وبيمينه ، وأهل الباطل بأضداد ذلك ))<sup>(١)</sup> .

أقول : والأولى أن يحمل لفظ اسوداد الوجه على الحقيقة والمجاز معا ؛  
لأنهم كانوا في حياتهم مهتمين بصورتهم الظاهرة ، وأخذ كل زينة ممكنة لتحسين  
هياتهم أمام أتباعهم فخرا وخيلاء على الناس ، كما أنهم كانوا يحرصون على رفعة  
مكانتهم الدنيوية وعزتهم فيها ، فكان الجزاء في إذلالهم وتشويه صورهم على  
خلاف ما يحبون ويشتهون ، ويدل على هذا قوله - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَوَجُوهُ

يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهُقُهَا قَنَرَةٌ ﴾<sup>(٢)</sup>

قال البغوي: (( ﴿ وَوَجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ سواد وكآبة مما يشاهدونه من  
الغم والهـم ﴿ تَرْهُقُهَا قَنَرَةٌ ﴾ تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف ))<sup>(٣)</sup> .

وقال الخازن - رحمه الله - : (( والفرق بين الغبرة والقنرة؛ أن الغبرة ما  
كان أسفل في الأرض ، والقنرة ما ارتفع من الغبار فلقق بالسماء ))<sup>(٤)</sup> .

قال صاحب المنار: (( والقنر : الدخان الساطع من الشواء والحطب ،  
وكل غبرة فيها سواد .

وقال في تفسير قوله - سبحانه و تعالى - : ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا  
مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> . (( أي : كأنما قد  
لوجوههم قطع من أديم الليل ، حالة كونه حالكا مظلما ، ليس فيه بصيص من نور

<sup>١</sup> - ابن عجيبة. البحر المديد ج٤ص٣٩٢ .

<sup>٢</sup> - سورة عبس آية ٤٠ - ٤١ .

<sup>٣</sup> - البغوي . معالم التنزيل ج٤ ص ٤٥٠ .

<sup>٤</sup> - الخازن . علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم : ت٧٢٥ ، تفسير الخازن المسمى لباب  
التأويل في معاني التنزيل ، تحقيق : عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان  
الطبعة الأولى ١٤١٥ - ١٩٩٥ ، ج٧ص١٧٦ .

<sup>٥</sup> - سورة يونس آية ٢٧ .

قمر طالع ، ولا نجم ثاقب ، فأغشتها قطعة بعد قطعة ، فصارت ظلمات بعضها فوق بعض ، وإنه لتشبيهه عظيم في بلاغة المبالغة في خذلانهم وفضيحتهم التي تكسف نور الفطرة ، والظاهر أن سواد وجوههم حقيقي ومجازي))<sup>(١)</sup> .

قال ابن عاشور : (( « مُظْلِمًا » حال من الليل ، فالمراد من الليل ؛ الشديداً الإظلام باحتجاب نجومه وتمكن ظلمته ، شبهت فترة وجوههم بظلام الليل ))<sup>(٢)</sup> .

أما طمس الوجوه فهو تغير صورتها والذهاب بمعالمها قال - سبحانه و تعالى - متوعدا أهل الكتاب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ آمِنُوا بَمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾<sup>(٣)</sup> .

ذكر الرازي - رحمه الله - في تفسيره وجوها لطمس الوجوه منها تقبيح صورتها ، كما يقال طمس الله وجهه ، وقبح الله وجهه ، بمعنى : تقبيح صورتها .

وقال ابن عاشور : (( « مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ » تهديد ووعد . والمعنى : آمنوا في زمن يبتدئ من قبل الطمس ، أي : من قبل زمن الطمس على الوجوه . وهذا تهديد بأن يحل بهم أمر عظيم ، وهو يحتمل الحمل على حقيقة الطمس ؛ بأن يسلط الله عليهم ما يفسد به محياهم - والمُحْيَا : جماعة الوجه<sup>(٤)</sup> ، فإن قدرة الله صالحة لذلك ، ويحتمل أن يكون الطمس مجازا ؛ على إزالة ما به كمال الإنسان من استقامة المدارك ، فإن الوجوه مجامع الحواس .

وقد يطلق الطمس مجازا على إبطال خصائص الشيء المؤلف منه ، ومنه طمس القلوب ، أي : إبطال آثار التمييز والمعرفة منها ﴿ فَنَرُدُّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾ أي : من قبل أن يحصل الأمران الطمس والرد على الأدبار ، أي : تتكيس الرؤوس إلى

<sup>١</sup> - رضا . محمد رشيد تفسير المنار ج ١١ ص ٣٠١-٣٠٢ .

<sup>٢</sup> - ابن عاشور . التحرير والتوير ج ١١ ص ١٤٩ .

<sup>٣</sup> - سورة النساء آية ٤٧

<sup>٤</sup> - ابن منظور . لسان العرب ج ٣ ص ٤٢٩ .

الوراء ، ويحتمل أن يكون مجازاً بمعنى القهقري أي : إصارتهم إلى بسئس المصير))<sup>(١)</sup> .

والذي أورده الإمام الطبري رواية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - يؤكد إرادة الحقيقة قال : (( « مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا » وطمسها أن تعمى ﴿ فَنَرُدُّهَا ﴾ يقول : أن نجعل وجوههم من قبل أفئيتهم فيمشون القهقري ونجعل لأحدهم عيين في قفاه ))<sup>(٢)</sup> .

ويؤكد أن من معاني طمس الوجوه إزالة كل مظاهر الواجهة فيها ، من السمع والبصر والكلام ، وتشويهها، قال - سبحانه و تعالى - ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضَلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال ابن عجيبة : (( « عَلَى وُجُوهِهِمْ » أي : كابين عليها سحبا ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾<sup>(٤)</sup> ، أو مشيا إلى المحشر بعد القيام ، الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ))<sup>(٥)</sup> .

قال ابن عاشور : (( وهذا جزاء مناسب للجرم ، لأنهم روجوا الضلالة بصورة الحق ، ووسموا الحق بسمات الضلال ؛ فكان جزاؤهم أن حولت وجوههم أعضاء مشي عوضا عن الأرجل ، ثم كانوا ﴿ عُمِيًّا وَبُكْمًا ﴾ جزاء أقوالهم الباطل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعلى القرآن ﴿ وَصُمًّا ﴾ جزاء امتناعهم عن سماع الحق قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي

١ - ابن عاشور. التحرير والتوير ج٥ ص ٧٩ .

٢ - الطبري . تفسير الطبري ج٤ ص ١٢٤ .

٣ - سورة الإسراء آية ٩٧ .

٤ - سورة القمر آية ٤٨ .

٥ - ابن عجيبة. البحر المديد ج٤ ص ١٢٧ - ١٢٨ .

أَذَانًا وَقَرُّ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ»<sup>(١)</sup> ، ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾<sup>(٣)</sup> ، أي : قد كان أعمى عن الحق ، فهو في الحشر يكون محروما من متعة النظر، وهذه حالتهم عند الحشر ((<sup>(٤)</sup>).

### رابعاً: الخسران في الدنيا والآخرة

قال الراغب - رحمه الله - : (( : الخسران : نقصان رأس المال . يستعمل في المال والجاه والصحة والسلامة والعقل ، والإيمان والثواب ، وهو الذي جعله الله الخسران المبين ))<sup>(٥)</sup> .

مركز ايداع الرسائل الجامعية  
مكتبة الجامعة الاردنية  
جميع الحقوق محفوظة

إن الذي يشغل بال الكافر ، الذي انحصر همه في الحياة الدنيا ؛ الكسب والربح ؛ بزيادة رأس المال الذي يحقق به كل ما يتمناه في الحياة ؛ من جاه عريض ، وسلطان ، ونيل كل ما يرغب من متاع الحياة الدنيا . وهو حينما يقف إلى جانب المجرمين من أعداء الرسل ؛ فلأنه يظن أنه الطريق العملي لتحقيق كل أحلامه الموجودة في أيديهم ، وينظر في المقابل بالسخرية إلى هؤلاء الأفراد الذين اتبعوهم فعرضوا أنفسهم للأذى ، وممتلكاتهم للسلب والنهب، على أنهم لا عقل لهم ؛ لما أوقعوا أنفسهم بأيديهم في خسران كبير؛ حيث فقدوا

<sup>١</sup> - سورة فصلت آية ٥ .

<sup>٢</sup> - سورة طه آية ٢٥ .

<sup>٣</sup> - سورة الإسراء آية ٧٢ .

<sup>٤</sup> - ابن عاشور. التحرير والتتوير ج١٥ ص ٢١٧ .

<sup>٥</sup> - الأصفهاني . الراغب ، المفردات ص ٢٨١ .

نفوذهم ومكانتهم الإجتماعية ، وكل ما كسبوه في حياتهم ، في مقابل لا شيء في ظنه وتصوره.

من أجل ذلك جاءت الآيات القرآنية تكشف عن حقيقة الخسران الذي أوقع الكافر فيه نفسه ؛ من فقدانه لنور الفطرة ؛ الذي هو السبيل إلى صلاح كل شيء في الإنسان ، من النفس فيزيكيا ، والعقل فينيره ، والصدر يشرحه ، والبصيرة يوّدها، كل هذا حيث يشرق نور الإيمان ويضيء له جوارحه.

وفي نظرة سريعة يمكن توضيح الخسارة العظيمة الذي تلحق به في عاقبة الأمر ؛ حيث ترك موالاة رب العالمين واتخذ من دونه أولياء ، فإنه بمجرد تحقيق وعد الله لرسله والمؤمنين ؛ بنصره وتأييده وإظهار نوره على الدين كله ، ينكشف له حقيقة ما استظل به ؛ حيث خسر نفسه حين يقتل دفاعا عن الآلهة المزعومة ، وخسر ماله الذي أنفقه في هذا السبيل ، وخسر كل جاه ومكانة حرص عليها ، ولم يعد له من ذكر على لسان عباد الله إلا بالمقت والذم قال - سبحانه وتعالى - :  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾<sup>(١)</sup> .

بينما الذي آمن بالله واتبع رضوانه ؛ فشرح صدره ، ونور قلبه ، وأيقن بوعد الله له بالفوز العظيم في الدنيا والآخرة بالنصر ، وإيداله بالخوف أمنا والذل عزا وسيادة ، أو بالشهادة في سبيله التي هي أعلى وسام يناله المؤمن لما فيه من الحياة الأبدية والنعيم المقيم، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿أَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ

<sup>١</sup> - سورة الأنفال آية ٨٦ .



﴿مُيِّن﴾<sup>(١)</sup> ، ﴿وَلْيُمْكِّنْ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾<sup>(٢)</sup> .

قال - سبحانه و تعالى - : ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾<sup>(٣)</sup> . قال البروسوي - رحمه الله - : (( لأنه ضيع رأس ماله بالكلية ، وبذل مكانه بالجنة بمكانه في النار ))<sup>(٤)</sup> .

وقال البقاعي : (( ولأنه تولى من لا خير عنده ))<sup>(٥)</sup> .

قال صاحب المنار : (( من يتخذ الشيطان وليا له - وتلك حالة من التمرد والبعد عن أسباب رحمة الله وفضله - وإغوائه للناس ، وتزيينه لهم الشرور ، وسوء التصرف في فطرة الله وتشويه خلقه ، بأن يواليه ويتبع وسوسته فقد خسر خسرانا بينا ظاهرا في معاشه ومعاده ، إذ يكون أسيرا للأوهام والخرافات يتخبط في عمله على غير هدى ، فيفوته الانتفاع التام بما وهبه الله من العقل وسائر القوى والمواهب ))<sup>(٦)</sup> .

قال - سبحانه و تعالى - : ﴿الَّذِينَ اتَّيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٧)</sup> .

قال ابن عاشور - رحمه الله - : (( أي : الذين خسروا أنفسهم منهم فهم لا يؤمنون به ، بل يكفرون كبيرا وعنادا ، فهم لذلك ينكرون ما يعرفون ، وهي أنهم خسروا أنفسهم ، فهم يؤثرون ما لهم من الجاه والمكانة والرياسة في قومهم على الإيمان بالرسول النبي الأمي ، الذي يجدونه مكتوبا عندهم لعلمهم بأن هذا الإيمان

<sup>١</sup> - سورة الزمر آية ٢٢ .

<sup>٢</sup> - سورة النور آية ٥٥ .

<sup>٣</sup> - سورة النساء آية ١١٩ .

<sup>٤</sup> - البروسوي . روح البيان ج١ ص ٣٥١ .

<sup>٥</sup> - البقاعي . نظم الدرر ج٢ ص ٣٢١ .

<sup>٦</sup> - رضا . محمد رشيد ، تفسير المنار ج٥ ص ٣٤٨ .

<sup>٧</sup> - سورة الأنعام آية ٢٠ .

يسلبهم تلك الرياسة ، ويجعلهم مساوين لسائر المسلمين في جميع الأحكام. وروى أن خسران النفس هو عبارة : عن خسرانها في الآخرة فقط ، والخسران هو أمكنتهم التي كانت معدة لهم بالجنة لو آمنوا بالرسول . وإعطائها للمؤمنين ((<sup>(١)</sup>).

قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وذهب محمد رشيد رضا إلى شموله للدنيا والآخرة فقال : (( أي : خسر أولئك الكفار الذين كذبوا بقاء الله - سبحانه و تعالى - كل ما ربحه وفاز به المؤمنون ؛ بقاءه من ثمرات الإيمان ، وعبادة الله ، ومناجاته في الدنيا ؛ كالقناعة والإيثار والرضى من الله في كل حال ، والشكر له عند النعمة ، والصبر والعزاء والطمأنينة عند المصيبة ، وغير ذلك من المزايا التي تصغر معها المصائب والشدائد ، ويكبر قدر النعم والمواهب . ومن ثمرات الإيمان في الآخرة ؛ من الحساب اليسير والثواب الكبير، والرضوان الأكبر، وهو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، كل ذلك مما يخسره المكذبون بقاء الله ؛ بسبب تكذيبهم لأنهم يخسرون في الحقيقة أنفسهم))<sup>(٣)</sup>.

وقد بين القرآن الكريم أن الخسارة التي تلحقهم يوم القيامة هي الخسارة الحقيقية ، التي لا يشبهها خسارة ، حيث قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾<sup>(٤)</sup>.

<sup>١</sup> - ابن عاشور . التحرير والتنوير ج ٧ ص ٢٨٢ .

<sup>٢</sup> - سورة الأنعام آية ٣١ .

<sup>٣</sup> - رضا . محمد رشيد ، تفسير المنار ج ٧ ص ٢٩٥ .

<sup>٤</sup> - سورة الزمر آية ١٥ .

قال البروسوي : (( أي : الكاملين في الخسران ؛ الذي هو عبارة عن إضاعة ما يهم وإتلاف ما لا بد منه. وفي التأويلات النجمية : الخاسر في الحقيقة ؛ من خسر دنياه بمتابعة الهوى ، وخسر عقباه بارتكاب ما نهي عنه ، وخسر مولاه بتولي غيره ))<sup>(١)</sup>.

قال البقاعي - رحمه الله - : (( **الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ** ﴾ أي : بدخولهم النار. ولما كان أعز ما على الإنسان بعد نفسه أهله الذين عزه بهم قال **﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾** أي : لأنهم كانوا مثلهم فحالهم في الخسارة كحالهم ، ولا يمكن لأحد منهم أن يواسي صاحبه بوجهه . فإنه لكل منهم شأن يغنيه . **﴿أَلَا ذَلِكَ﴾** أي : الأمر العظيم البعيد الرتبة في الخسارة جدا أي : وحده الخسران ، للمبالغة وزاد في تقريعهم بالغواية بقوله **﴿الْمُيِّنُ﴾** ))<sup>(٢)</sup>.

### خامسا : الجزاء بأسوأ الأعمال

لما كان الكافر في الدنيا يحمل أشد الكره والعداء للرسول وأتباعهم ، ويحرص ما وسعه الجهد على أن يقضي عليهم ، ولا يتذرع عن استعمال أقصى ما يملك من وسائل القوة والتعذيب لقهري إرادتهم ، وتصفييتهم من الوجود ، كان جزاءه بأسوأ الذي عمل هو الجزاء الموافق لما يضره من الشر ، ويسعى إليه جاهدا من وسائل الدمار والتكليف بالمؤمنين الذين يقفون في وجهه أطماعه ، ولا يقبلون المساومة على دينهم ، ومقدساتهم ، كما أن الله - سبحانه وتعالى - يجازي المؤمنين الصادقين بأحسن ما كانوا يعملون ؛ لأن حرصهم على مرضاة الله كان يدفعهم دوما إلى تحسين أعمالهم ، والمسارة في الخيرات ، وفي نيتهم ما دامو في الحياة أن يستمروا على عمل الخير ويحسنوا فيه . لذلك جازاهم الله بأحسن أعمالهم ، وكتب لهم الخلود الذي ليس فيه إلا المزيد من النعيم المتجدد . كما أن الكافر الذي بيت في

<sup>١</sup> - البروسوي . روح البيان ج ٨ ص ١٩١ .

<sup>٢</sup> - البقاعي . نظم الدرر ج ٦ ص ٤٣٢ .

نفسه وأصر بالقول والفعل على تصعيد عداؤه للرسول وأتباعهم ، وإصراره على ذلك ما عاش وملك من القوة ، استحق أن يجازى بأسوأ العذاب مع تجده واستقراره كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿فَدُوقُوا قَلْنُ نَزِيدَكُمْ إِيَّا عَذَابًا﴾<sup>(١)</sup> .

أما عن السؤال عن أعمالهم الحسنة التي كانت تظهر منهم من صلة الرحم ، وحفظ للجوار ، وإغاثة للملهوف ، وإكرام الضيف ، فهي أعمال أضاعوها بسوء طويتهم وفساد نيتهم ، فإنهم ما قصدوا بها تلبية أمر الله ، ولا أرادوا بها ما عند الله ؛ وإنما كان مرادهم منها الفخر والرياء والشهرة. وهذا يبطل لأعمال المؤمنين فضلا عن الكافرين فإن الله - جل جلاله - لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم . وقد نطقت الآيات بمضمون ما قدمنا ومن ذلك قول الله - سبحانه و تعالى - : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال البقاعي - رحمه الله - (( ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الدنيا بالحرمان وما يتبعه من فنون الهوان وفي الآخرة بالنيران))<sup>(٤)</sup> . قال ابن عجيبة : (( ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم وهو الكفر . وقيل: انه لا يجازيهم بمحاسن أعمالهم كإغاثة الملّهوف ، وصلة الأرحام ، وقرى الضيف لأنها محبطة بالكفر، وإنما يجازيهم على أسوأها))<sup>(٥)</sup> .

١ - سورة النبأ آية ٣٠ .

٢ - سورة الفرقان آية ٢٣ .

٣ - سورة فصلت آية ٢٧ .

٤ - البقاعي . نظم الدرر ج٦ ص ٥٦٩ .

٥ - ابن عجيبة . البحر المديد ج٦ ص ٣٤٢ .

قال البروسوي : (( عَذَابًا شَدِيدًا )) لا يقادر قدره كما دل التنكير والوصف ، وهذا تهديد شديد ؛ لأن لفظ الذوق إنما يذكر في القدر القليل يؤتي به لأهل التجربة ، وإذا كان الذوق هو قدر قليل عذابا شديدا ، ففس عليه ما بعده ))<sup>(١)</sup>.

### سادسا: مضاعفة العذاب يوم القيامة

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَذُ فِيهِ مَهَانًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال الراغب : (( والضعف هو من الألفاظ المتضايقة التي يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر ؛ كالنصف والزوج . وهو تركب قدرين متساويان و يختص بالعدد ؛ فإذا قيل : أضعفت الشيء وضعفته وضاعفته ضمت إليه مثله فصاعدا . قال بعضهم : ضاعفت أبلغ من ضعفت<sup>(٤)</sup> ، وتقول : ضاعفته ، أي : جعلته أكثر من درهمين . ولهذا قرأ أكثرهم ﴿ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾<sup>(٥)</sup> . ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾<sup>(٦)</sup> والمضاعفة على قضية هذا القول تقتضي أن يكون عشر أمثالها ، وقوله - سبحانه وتعالى - ﴿ فَأْتَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنْ

<sup>١</sup> - البروسوي . روح البيان جـ ٨ ص ٣٣٩ .

<sup>٢</sup> - سورة الفرقان آية ٦٩ .

<sup>٣</sup> - سورة هود آية ٢٠ .

<sup>٤</sup> - وعلق محقق الكتاب هنا قائلا: وهذا قول أبي عمرو بن العلاء . فقد قال مكي : إن أبا عمرو حكى أن ضاعفت أكثر من ضعفت ، لأن ضعفت معناه مرتان . وحكى أن العرب تقول : ضعفت درهمك أي : جعلته درهمين .

<sup>٥</sup> - سورة الأحزاب آية ٣٠ .

<sup>٦</sup> - سورة الأنعام آية ١٦٠ .

النَّارِ ﴿١﴾ فَإِنَّهُمْ سَأَلُوهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ عَذَابًا بِضَلَالِهِمْ ، وَعَذَابًا بِإِضْلَالِهِمْ ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ - سبحانه وتعالى - : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ (٢) ، وقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، أي : لكل منهم ضعف ما لكم من العذاب . وقيل : أي لكل منهم ومنكم ضعف ما يرى الآخر ، فإن من العذاب ظاهرا و باطنا ، وكل يدرك من الآخر الظاهر دون الباطن فيقدر أن ليس له العذاب الباطن )) (٤) .

قال ابن عاشور - رحمه الله - : (( : فأما مضاعفة العذاب ؛ فهو أن يعذب على كل جرم مما ذكر عذابا مناسبا ، ولا يكتفي بالعذاب الأكبر عن أكبر الجرائم وهو الشرك ، تنبيها على أن الشرك لا ينجي صاحبه من تبعات ما يقترفه من الجرائم و المفسد . وذلك لأن دعوة الإسلام للناس جاءت بالإقلاع عن الشرك وعن المفسد كلها ، وقوله ﴿ مَهَانًا ﴾ (٥) حالة قصد منها تشنيع حالهم في الآخرة . أي يعذبوا ويهانوا إهانة زائدة على إهانة التعذيب بأن يشتم ويحقر )) (٦) .

وقد بينت الآية في سورة النمل بعض أسباب المضاعفة حيث قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ (٧) .

قال البروسوي : (( ومن المعلوم أنه ما من ضال إلا أنه يعمل على إضلال غيره ممن له سلطان عليه ؛ من الأبناء وغيرهم ، فلذلك استحق هذه المضاعفة بتعذيبه عن نفسه وعن أضلهم ، وهو مطلب الذين ضلوا بسببهم ، وهو ما حكاه الله

١ - سورة الأعراف آية ٣٨ .

٢ - سورة النحل آية ٢٥ .

٣ - سورة الأعراف آية ٣٨ .

٤ - الأصفهاني. الراغب ، المفردات ص ٥٠٨ بتصرف.

٥ - سورة الفرقان آية ٦٩ .

٦ - ابن عاشور . التحرير والتوير ج ١٩ ص ٧٥ .

٧ - سورة النحل آية ٢٥ .

على لسانهم في قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾<sup>(١)</sup> ، أي مثلي العذاب الذي أوتيناه لأنهم ضلوا وأضلوا ، فضعف لضلالتهم في أنفسهم عن طريق الهداية وضعف لإضلالهم غيرهم عنها ))<sup>(٢)</sup> .

### سابعاً: النسيان والإهمال

إهمال الشخص الذي تدفعه الضرورة والحاجة إلى غيره ، وعدم الاكتراث به ، من أشد العقوبات النفسية ، التي لا تقل في درجة العذاب النفسي عن العذاب الجسدي ، والكافر حينما يفاجئ بالحقيقة ، ويشهد في أرض الواقع ألا سبيل للخلاص مما يلاقه إلا الله - سبحانه وتعالى - فإنه يلجأ إليه لجوء المضطر ، أملا في أن يكلمه ويستجدي عطفه ، ويقدم الأعذار التي يتصور أنها تقبل ، ولكنه رغم كل محاولات واستغاثاته لا يرى جوابا ، ولا من يكثرث به وبأحواله ، وقد تولت آيات كثيرة الكشف عن هذه الحقيقة وبينت أنها الجزاء الموافق لأحوالهم في الحياة الدنيا ؛ حيث أهملوا النذر الإلهية التي ساقها على السنة من أرسلهم الله إليهم ، واستخفوا بما أنزل من الرسالات ، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> .

قال صاحب المنار - رحمه الله - : (( ونسيان الله لهم ؛ هو عبارة عن مجازاتهم على نسيانهم إياه ، بحرمانهم من فوائد ذكره وفضيلة التقرب إليه بالإِنفاق والجهاد في سبيله ، وغير ذلك من توفيقه ولطفه في الدنيا ، وحرمانهم من الثواب

١ - سورة الأحزاب آية ٦٨ .

٢ - البروسوي . روح البيان ج٧ ص ٢٩٠ .

٣ - سورة الأعراف آية ٥١ .

٤ - سورة التوبة آية ٦٧ .

على ذلك في الآخرة . فالمراد بالنسيان لازمه ، وهو جعلهم كالمنسي الذي لا يتعهد ولا يعتنى بشأنه لا كالمنسي مطلقاً ))<sup>(١)</sup> .

قال صاحب الظلال - رحمه الله - : (( ﴿ نَسُوا اللَّهَ ﴾ فلا يحسبون إلا حساب الناس وحساب المصلحة ، ولا يخشون إلا الأقوياء من الناس يذلون لهم ويدارونهم . ﴿ فَنَسِيَهُمْ ﴾ الله فلا وزن لهم ولا اعتبار ، وإنهم كذلك في الدنيا بين الناس ، وإنهم كذلك في الآخرة عند الله ))<sup>(٢)</sup> .

يقول - سبحانه و تعالى - : ﴿ فذُوقُوا بِمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال البروسوي : (( ﴿ إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾ تركناكم في العذاب ترك المنسي بالكلية ، استهانة بكم ومجازة لما تركتم ، وفي التأويلات : إنا نسيناكم من الرحمة كما نسيتمونا من الخدمة ))<sup>(٤)</sup> .

هذا فضلا عن صنوف العذاب الأخرى ؛ كإحساسهم بالجوع والعطش ، وما يقدم لهم من الشراب الذي يقطع الأمعاء من شدة حرارته ، والطعام مرّ المذاق كريحه الرائحة من شجرة الزقوم الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، بل يزيدهم ألما وعطشا ، فيضطرون إلى شرب الحميم الذي يضاعف العذاب ويزيد من اللوعة والمرارة قال - سبحانه و تعالى - : ﴿ لَا يَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۚ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۚ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾<sup>(٥)</sup> .

بالإضافة إلى زيادة أجسامهم طلبا في زيادة الألم والإحساس بالعذاب حتى إن ضرر الكافر يكون كجبل أحد فيما ورد من الآثار النبوية فروى مسلم في

<sup>١</sup> - رضا . محمد رشيد ، تفسير المنار جـ ١٠ ص ٤٦٥ .

<sup>٢</sup> - سيد قطب . في ظلال القرآن جـ ١٠ ص ٦٧٣ .

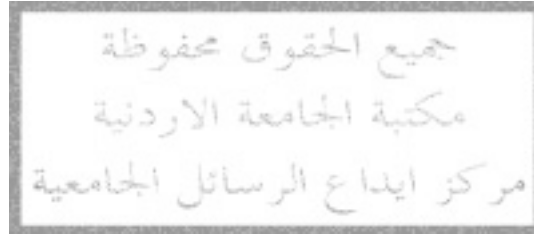
<sup>٣</sup> - سورة السجدة آية ١٤ .

<sup>٤</sup> - البروسوي . روح البيان جـ ٧ ص ١٤١ .

<sup>٥</sup> - سورة النبأ آية ٢٣-٢٥ .



صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (( قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث ))<sup>(١)</sup> وزيادة على ذلك صنوف العذاب التي تبقى في ازدياد ولا يعلمها إلا الله ، فقد قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وقد أجمعت أقوال المفسرين على أن هذه الآية أشد آيات الوعيد على الكفار في القرآن الكريم.



١- النيسابوري . مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ج٤ ص٢١٨٩ حديث رقم ٢٨٥١ .  
٢- سورة النبأ آية ٣٠ .

## الخاتمة :

لقد تبين لي من خلال بحثي في موضوع الصراط المستقيم في القرآن الكريم ومقوماته والثمار المترتبة عليه قضية هامة ، وهي خاصية القرآن الكريم في معالجته للموضوعات التي يتناولها ، فإنه يعطي الكلمة من الوسع ما يجعلها من جوامع الكلم ، ويكشف عن جوهر حقيقتها الغائبة عن الأذهان التي لا تتدبر القرآن كما ينبغي ، وضلت عن منهج البحث الموضوعي الذي يلقي الضوء على الكلمة من كل جوانبها وفي كل مجالات تناولها في الإستعمال . الأمر الذي يعطي مجالاً أوسع للتدبر ، وصورة أوضح و أكمل للمعنى الذي تحمله ، والحقيقة التي تهدي إليها .

وتوصلت في بحثي هذا إلى أن الصراط المستقيم يشمل عدة معاني وهي : الإسلام ، والقرآن ، العبادة ، طريق الهداية ، الطريق الموصلة إلى الله عز وجل ، العلم بالله عز وجل والفهم عنه ، طريق الجنة ، أعيان من هداهم الله ، قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا ، صراط الأولين في تحمل المشاق العظيمة ، النبي وصاحبه أبي بكر وعمر وأخيار أهل البيت .

وتبين لي أن هذا الصراط يقوم على أربع ركائز رئيسية، وهي بمثابة الأعمدة للبناء وهي : الإسلام، و الإيمان، و التقوى، و الإحسان .

وتوصلت كذلك إلى أن الذي يلتزم بالسير على هذا الصراط يجني ثمار هذا الالتزام ، وأول هذه الثمار هي الثمار الدينية وتشمل : الهداية الربانية إلى كل خير في الدنيا والآخر، زيادة الإيمان الموصل إلى مرتبة اليقين، تنوير القلب وجلاء البصيرة ، الدخول في معية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، محبة الله ورضوانه، الدخول في معية الله، الحكمة والعلم، استحقاقهم البشارة من الله والكرامة.

أما ثاني هذه الثمار التي يجنيها فهي الثمار الدنيوية وهي : تكفير السيئات وغفران الذنوب، السعة مع الهناءة في العيش ،عناية الله ورعايته وولايته، تزكية النفس وتطهير القلب، إخراج العبد من كل ضيق ألم به وتفريج كل كرب عنه، التمكين في الأرض ونصرتهم على الأعداء ،الثبات في الشدائد ، الأمن والطمأنينة .

وثالث هذه الثمار هي الثمار الأخروية التي بشر الله المؤمنين بها وهي: أمنهم من الخوف والحزن وتلقى الملائكة لهم بالبشرى، والتكريم لأنهم وفد الرحمن الرحيم ، خصوصيتهم بظل العرش، الجزاء بأحسن الأعمال، دخول الجنة بغير حساب، إسباغ نعمة الرضوان عليهم ، دوام النظر إلى وجه الله الكريم، بلوغهم المراتب العليا في الجنة، مرافقة النبي والرسل الكرام في الجنة وتوصلت كذلك إلى أن الذي يخالف السير على هذا الصراط يعاقب على عدم السير عليه وأول هذه العواقب هي العواقب الدنيوية وهي: دحض حججهم وكشف باطلهم ، ولاية الطاغوت لهم، تسليط الشياطين عليهم، سلب النعمة ورفع الأمن عنهم ، ضنك العيش وعدم الهناءة فيه، توالي المصائب عليهم والانتقام منهم ،الغلبة عليهم وتمكين المؤمنين من بسط نفوذهم والسيطرة عليهم، التدمير والهلاك والاستئصال .

وثاني هذه العواقب هي العواقب الأخروية التي وهي : الفرع والخوف، الذل الهوان، طمس الوجوه واسودادها، الخسران في الدنيا والآخرة، الجزاء بأسوء الأعمال، مضاعفة ،العذاب يوم القيامة، النسيان والإهمال .

ولاشك في أن القرآن الكريم بحاجة إلى الخدمة الجليلة من كل الباحثين و المتخصصين ، خصوصا في هذا الزمان الذي عمت فيه الفتن ، واستشرى فيه الظلم و الفساد ، وليس غيره المؤهل لنفخ روح الحياة في الأمة ، والأخذ بيدها إلى بر السلامة و الأمان ، وتجنبيها كل الشرور و الآثام .

## • قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن تيمية ، تقي الدين أحمد، (١٩٩٠). **دقائق التفسير**. الطبعة (٢) . دمشق : مؤسسة علوم القرآن .
- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم، (١٩٩٦). **اقتضاء الصراط المستقيم**. الطبعة (٥) . الرياض : شركة الرياض للنشر والتوزيع .
- ابن حنبل ، احمد بن محمد، (١٩٨٣). **الورع**. الطبعة (١) . بيروت : دار الكتب العلمية.
- ابن العماد ، شهاب الدين ، ( ١٩٨٦ ) . **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** . الطبعة (١) . دمشق : دار ابن كثير .
- ابن عاشور، محمد الطاهر، ( ١٩٨٤ ) . **تفسير التحرير والتنوير**. تونس: دار التونسية .
- ابن عجيبة ، أحمد بن محمد المهدي، (٢٠٠٢) . **البحر المديد** . الطبعة (١). بيروت : دار الكتب العلمية .
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، (١٩٩٨) . **تفسير القرآن العظيم** . الطبعة (١) . بيروت : شركة دار الأرقم للطباعة والنشر .
- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن محمد ، (١٩٩٢) . **لسان العرب** . الطبعة (٢) . بيروت : دار إحياء التراث العربي .
- أبو السعود ، محمد بن محمد ، (١٩٩٩) . **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** . الطبعة (١) . بيروت : دار الكتب العلمية.
- أبو حيان، محمد بن يوسف، (١٩٩٢) . **البحر المحيط في التفسير** . دار الفكر.
- أبو فرحة ، الحسيني، (١٩٨٧) . **الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي للآيات القرآنية** . الطبعة (٣) . الهرم: دار أبو المجد للطباعة .
- أبو يعلى، احمد بن علي بن المثنى، (١٩٨٤). **المسند** . الطبعة (١) . دمشق: دار المأمون للتراث .
- الأصبهاني، احمد بن عبد الله، (١٩٩٦) . **المسند المستخرج على صحيح مسلم** . الطبعة الأولى . بيروت : دار الكتب العلمية.
- الألوسي ، شهاب الدين محمود، (١٩٩٩) . **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** . الطبعة (١) . بيروت : دار إحياء التراث العربي.

- البخاري . محمد بن إسماعيل، (٢٠٠١) . التاريخ الكبير . الطبعة (١) . بيروت : دار الكتب العلمية .
- \_\_\_\_\_، (١٩٨٧) . صحيح البخاري . الطبعة (٣) . بيروت : دار ابن كثير .
- البروسوي ، إسماعيل حقي ، (٢٠٠١) . روح البيان . الطبعة (١) . بيروت : دار إحياء التراث العربي .
- البستي ، محمد بن حبان ، (١٩٩٣) . صحيح ابن حبان . الطبعة (٢) . بيروت : مؤسسة الرسالة .
- البغوي ، الحسين بن مسعود ، (٢٠٠٠) . تفسير البغوي معالم التنزيل . الطبعة (١) . بيروت: دار الكتب العلمية .
- البقاعي ، إبراهيم بن عمر، (١٩٩٥) . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . الطبعة (١) . بيروت: دار الكتب العلمية .
- البيضاوي، عبد الله بن عمرو، (١٩٩٨) . أنوار التنزيل واسرار التأويل . الطبعة (١) . بيروت : دار إحياء التراث العربي .
- البيهقي ، احمد بن الحسين ، (١٩٩٣) . سنن البيهقي . مكة المكرمة: مكتبة دار الباز .
- الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (١٩٩٦) . الجواهر الحسان في تفسير القرآن . الطبعة (١) . بيروت: دار الكتب العلمية .
- الجرجاني، علي بن محمد ، (١٤٠٥) . التعريفات . الطبعة (١) . بيروت: دار الكتاب العربي .
- الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن، (١٩٨٤) . زاد المسير في علم التفسير . الطبعة (٣) .
- الحاكم ، محمد بن عبد الله، (١٩٩٠) . المستدرک على الصحيحين . الطبعة (١) . بيروت : دار الكتب العلمية .
- حسن ، عزت محمد، (١٩٨٤) . نعم الله في خلق الإنسان كما يصوره القرآن الكريم . الطبعة (١) . الرياض: مكتبة المعارف
- الخازن ، علاء الدين علي بن محمد ، (١٩٩٥) . تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل . الطبعة (١) . بيروت: دار الكتب العلمية .
- الدار قطني، علي بن عمر، (١٩٨٥) . علل الدار قطني . الطبعة (١) . الرياض: دار طيبة .
- الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن، (١٤٠٧) . سنن الدارمي . بيروت: دار الكتاب العرب .

- دحلان ، احمد بن زيني، (١٩٦٥). تقريب الأصول لتسهيل الوصول لمعرفة الله والرسول .
- دراز، محمد عبد الله، (١٩٣٣). النبأ العظيم . دمشق : مطبعة السعادة .
- الذهبي ، شمس الدين محمد، (ت٧٤٨هـ) . تذكرة الحافظ . بيروت: دار الكتب العلمية .
- الرازي ، فخر الدين ، (١٩٩٧) . التفسير الكبير . الطبعة (٢). بيروت: دار إحياء التراث العربي .
- الراغب ، الحسين بن محمد ، (١٩٩٢) . المفردات في غريب القرآن . الطبعة (١) . بيروت: دار القلم .
- رضا ، محمد رشيد، (١٩٩٩) . تفسير القرآن الحكيم . الطبعة (١) . بيروت: دار الكتب العلمية .
- الزاوي ، الطاهر أحمد، (١٩٧٩). ترتيب القاموس المحيط . بيروت: دار الكتب العلمية .
- الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، (٢٠٠١). مناهل العرفان في علوم القرآن . الطبعة (١). بيروت: دار قتيبة .
- الزمخشري ، محمود بن عمر، (١٩٦٠) . أساس البلاغة. القاهرة : دار ومطابع الشعب .
- زناتي، أحمد ، (١٩٨٣) . الهداية إلى الصراط المستقيم . بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع .
- السلمي ، محمد بن عيسى ، (١٩٩٨) . سنن الترمذي . بيروت: دار إحياء التراث العربي .
- سيد الحيدري ، إبراهيم فصيح، (١٩٨٦) . الصراط المستقيم في الدين المحمدي القويم . الطبعة (١). تركيا: مكتبة الحقيقة .
- سيد قطب ، إبراهيم حسين شاذلي، (١٩٨٠). في ظلال القرآن . الطبعة (٩). القاهرة: دار الشروق .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، (١٩٥١). الإتيان في علوم القرآن . الطبعة (٣). مصر: شركة ومطبعة مصطفى البابي .
- السيوطي، جلال الدين، ( ١٤٢١هـ) . الدر المنثور في التفسير بالمأثور . الطبعة (١). بيروت: دار إحياء التراث .
- الشاطبي ، إبراهيم بن موسى، (١٩٩٩) . الموافقات في أصول الشريعة . بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

- الشوكاني ، محمد بن علي، ( ١٩٩٧ ). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. الطبعة (٢). دمشق: دار الوفاء للطباعة والنشر.
- الشيباني ، أحمد بن حنبل (١٩٩٨). مسند أحمد . مصر: مؤسسة قرطبة .
- شيخ زاده، محيي الدين محمد ، (١٩٩٩) . حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي . الطبعة (١). بيروت: دار الكتب العلمية .
- الصابوني، محمد علي، (١٩٨١) ٠ صفوة التفاسير . الدوحة: مطبعة الدوحة.
- الطبراني ، سليمان بن أحمد ، ( ١٩٨٣ ) . المعجم الكبير. الطبعة (٢). الموصل: مكتبة العلوم والحكم .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير، (١٩٩٩) . جامع البيان في تأويل القرآن المسمى تفسير الطبري . الطبعة (٢). بيروت: دار الكتب العلمية .
- العسقلاني، ابن حجر، (١٩٩٦) . تهذيب التهذيب . الطبعة (١). بيروت: مؤسسة الرسالة لحقوق محفوظة
- علي ، عبد الجليل عبد الرحيم ، (١٩٩٢). التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان مع القراءة بين الوسائل الربانية و الأسباب البشرية المادية. الطبعة (١). بيروت: دار الكتب العلمية
- القرطبي ، محمد بن أحمد ، (١٩٣٩) . الجامع لأحكام القرآن . القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية .
- القرطبي ، محمد بن أحمد، ( ٢٠٠١ ) . تفسير القرطبي . الطبعة (١). بيروت: دار الكتب العلمية.
- القزويني، محمد يزيد (٢٠٠٠). سنن ابن ماجه . الطبعة (١). بيروت: دار الفكر .
- القشيري ، عبد الكريم بن هوازن، (٢٠٠٠). لطائف الإشارات . بيروت: دار الكتب العلمية.
- القصري ، محمد عبد الجليل ، (١٩٩٥). شعب الإيمان . الطبعة (١) . بيروت: دار الكتب العلمية .
- القونوي ، عصام الدين اسماعيل ، ( ٢٠٠١ ) حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي . الطبعة (١). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الكومي ، أحمد السيد، ( ١٩٨٢ ) . التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. الطبعة (١).
- كينيث، مورغان ، (١٩٦٣) . الإسلام الصراط . بغداد: شركة النبراس .

- اللجمي ، أديب، (١٩٩٤) . **معجم اللغة العربية** . الطبعة (٢) . بيروت: دار المحيط للنشر .
- الماوردي ، علي بن محمد ، (١٩٩٣) . **مصحف التهجد** . الطبعة (١) . بيروت: دار الصفاة للطباعة والنشر .
- المباركوري ، محمد عبد الرحمن، (١٩٩٧) . **تحفة الأحوزي** . بيروت: دار الكتاب العلمية .
- المراغي ، أحمد مصطفى، (١٩٩٨) . **تفسير المراغي** . الطبعة (١) . بيروت: دار الكتب العلمية.
- مسلم ، مصطفى محمد، (١٩٩٠) . **مباحث في التفسير الموضوعي** . دمشق: مطبعة دار القلم .
- المقدسي ، موفق الدين ، (١٩٩٩) . **الصرائط المستقيم في إثبات الحرف القديم** . الطبعة (١) . الإمارات : مكتبة الفرقان .
- المقدسي ، عبد الله بن احمد، (١٤٠٥) . **المعني** . الطبعة (١) . بيروت: دار الفكر .
- المناوي، عبد الرؤوف، (١٣٥٦) . **فيض القدير** . الطبعة (١) . مصر: المكتبة التجارية الكبرى .
- النسفي ، عبد الله بن أحمد ، (١٩٩٥) . **تفسير النسفي** . الطبعة (١) . بيروت: دار الكتب العربية .
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (١٩٩٨) . **صحيح مسلم** . بيروت: دار إحياء التراث العربي .
- الهمذاني ، شجاع شيروية ، (١٩٨٦) . **الفردوس بمأثور الخطاب** . الطبعة (١) . بيروت: دار الكتب العلمية .
- الهيثمي، علي بن أبي بكر، (١٤٠٧) . **مجمع الزوائد** . القاهرة: دار الريان للتراث .
- الواحدي ، علي بن أحمد النيسابوري، (١٤١٥) . **الوسيط في تفسير القرآن المجيد** . الطبعة (١) . بيروت: دار الكتب العلمية .



**STRAIT PATH IN THE HOLLY QURA'N**  
**- Subjective study -**

**By**  
**HUSSEIN ABDEL JALIL ABDEL RAHEEM ALI**

**Supervisor**  
**Dr. Ahmed Ismaeel Nofal**

**Abstract**

This theses contains revealing the most important and dangerous cause that concord the human mind long ago and still does , which is seeing the light to the strait path " Alserat Almostakeem" . That is the aim of all heaven messages and the main difference of all religions and human groups .

This theses aimed at viewing this cause as possible as it can in a comprehensive point of view that demonstrate it's truth and consequents , in this life and the life after . All that through he verse of the holly Qora'n , which always gives us the light through the efforts of its honest holders who pray for God on the efforts of its honest hoders who pray for God on the basis of knowledge and wisdom and who can hold it with the best way .